ٱلدّرس ٱلصّوتيّ عند رضيّ ٱلدّين ٱلأستراباذيّ ٦٨٨ هـ

رسالة تقدّم بها

حسن عبدٱلغنيّ محمّد جواد ٱلأسديّ

الى مجلس كلّيّة ٱلآداب بٱلجامعة ٱلمستنصريّة وهي جزء من متطلّبات درجة ٱلماجستير في ٱللغة ٱلعربيّة

تحت إشراف

ٱلأستاذ ٱلدّكتور هادي نهر

١٤١٦ هـ　　　　١٩٩٥ م

✿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي

بِالصَّلِحِينَ ✿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ

صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ✿ وَاجْعَلْنِي

مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ✿

(سورة الشعراء، الآية ٨٣-٨٥)

اشهد ان اعداد هذه الرسالة جرى باشرافي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابهـــــــا .

التوقيـــع :

الاســم : الاستاذ الدكتور هادي نهـــر

(المشرف)

٢٤ - ٢ - ١٩٩٦

بناء على التوصيات المتوافرة ، ارشـــح هـــذه الرسالـــة للمناقشـــة .

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور نبهان ياسين

رئيس قسم اللغة العربيـــة

ومسؤول الدراسات العليـــا

نحن اعضاء لجنة المناقشة نشهد اننا قد اطلعنا على الرسالة المقدمة من الطالب (حسن عبد الغني محمد جواد الاسدى) الموسومة بـ(الدرس الصوتي عند رضي الدين الاستراباذى ٦٨٨ هـ) وناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيةوادابها .

التوقيـــع :
الاســـم :الاستاذ الدكتورهادى نهر
(المشرف)
عضــوا
١٩٩٦-٢-٢٤

التوقيـــع :
الاســـم : الاستاذ الدكتورغالب فاضل المطلبي
عضــوا
١٩٩٦/٢/٢٤

التوقيـــع :
الاســـم : الاستاذ الدكتورعبد اللهاحمد الجبورى
(عضــوا)
١٩٩٦-٢-٢٦

التوقيـــع :
الاســـم : الاستاذ الدكتوررشيد عبد الرحمن العبيدى
رئيس اللجنة
١٩٩٦/٢/٢٦

التوقيـــع :
الاســـم : الاستاذ الدكتورسامي مكي العاني
عميـــد كليـــــــة الاداب

محتويات البحث

الموضـــوع	الصفحـــة
المقدمة	هـ ـ ز
التمهيد	١
الفصل الاول : مواضع الدّرس الصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضي الدين	٣
المبحث الأول : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفي رضي الدّين.	٤
المبحث الثّاني : مصادر الثّقافة الصّوتيّة لرضي الدين .	٧
المبحث الثّالث : منهج رضي الدّين في درسه الصّوتيّ:	١٠
ـ المنهج النظرى (الاسس الفكرية)	١٠
ـ المنهج العمليّ .	١١
المبحث الرّابع: المصطلحات الصوتيّة عند رضي الدّين:	١٤
ـ مصطلحات مخرجيّة	١٦
ـ مصطلحات الصّفات الصّوتيّة :	٢٠
١ . الصّفات الصّوتيّة المفضلة :	٢٠
آ . صفات المجموعات	٢١
ب . الصّفات المفردة .	٢٣
٢ . الصّفات الصّوتيّة غير المفضلة :	
آ . صفات المجموعات .	٢٥
ب. الصّفات المفردة	٣٧
ـ مصطلحات التّجاور والتّركيب	٣٧
ـ المصطلحات العامـــة	٥٥
ـ نتائج الفصل الاول	٦١
الفصل الثاني : اتّجاهات الدّراسة الصّوتيّة :	٦٤
الاتّجاه الأوّل : الاصوات في حالة الافراد:	٦٥
١ . إنتاج الأصوات	٦٥
٢ . أجزاء آلة الصّوت	٦٨
٣ . التّمايز الصّوتي عند الرّضيّ	٧١
١ـ آلية المخارج	٧١
ـ وقفة مع المخارج الصّوتيّة	٧٧
ـ الأصوات المتفرعة	٧٩
٢ـ آلية الصّفات الصّوتيّة	٨١

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
آ . فضيلة الحرف	٨٥
ب ـ الجهر والهمس	٨٥
جـ ـ الشدّة والرّخاوة ومابينهما	٩٠
د ـ الإطباق والانفتاح	٩٢
هـ ـ المدّ	٩٣
الاتّجاه الثّاني : الأصوات في حالة التّجاور والتّركيب (التعاملية) :	٩٨
آ . الإدغام	٩٨
ب . مظاهر أخرى للمماثلة	١٠٣
جـ . المماثلة التّناسبيّة	١٠٤
د . المماثلة الجزئيّة	١٠٥
هـ . ظاهرة المخالفة الصّوتيّة	١٠٧
و ـ ظاهرة الإبدال	١٠٩
ز ـ القلب المكانيّ	١١١
ح ـ الحذف .	١١٤
الاتّجاه الثّالث : الأصوات في نظام الأداء	١١٥
آ . الرّضيّ والبنية المقطعيّة العربيّة	١١٥
ب . ظاهرة الاعلال .	١٢٣
نتائج الفصل الثّاني	١٢٧
الفصل الثّالث : علاقات النّظام الصّوتيّ :	١٣٠
التّمهيد	١٣١
البحث الأوّل : علاقة النّظام الصّوتيّ بالنّظام النّحوي	١٣٥
١ . الحركات دالّة المعنى الوظيفيّ (الطاريء)	١٣٥
٢ . التّنوين علامة التّمام النحويّ	١٣٩
٣ . حالة الوقف	١٤١
البحث الثّاني : علاقة النّظام الصّوتيّ بالنظام الصّرفي :	١٤٥

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
١ . الحركات والبنى الصّرفيّة	١٤٥
٢ . التغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ	١٤٥
المبحث الثالث : علاقة الأصوات باللهجات والقراءات القرآنيّة :	١٤٩
١ـ الميل نحو الكسر	١٤٩
٢ـ الميل نحو الضّمّ	١٥١
٣ـ الميل نحو الفتح	١٥٢
٤ـ التّخفيف	١٥٤
٥ ـ الإدغام (إدغام المتماثلين)	١٥٧
٦ـ المماثلة الصّوتيّة	١٥٨
آ ـ إدغام المتقاربين	١٥٨
ب ـ المماثلة التّناسبيّة	١٦١
جـ ـ الإتباع	١٦١
د ـ المماثلة الجزئيّة	١٦٢
٧ـ ظاهرة الإبدال	١٦٤
٨ـ السّلوك الصّوتيّ للّهجات والبنية الصّرفيّة	١٦٧
آ ـ تفريعات لهجة تميم	١٦٧
ب ـ تخفيف الهمزة	١٧٠
٩ـ السّلوك الصّوتيّ للّهجات والوقف	١٧٣
نتائج الفصل الثّالث	١٧٨
نتائج الدّراسة	١٨٢
ثبت المصادر والمراجع	١٨٥
الملخص باللغة الانكليزية	١٩٤

ملحق بمحتويات البحث :

"المصطلحات الصوتية عند رضي الدين"

ت	المصطلح	الصفحة	ت	المصطلح	الصفحة	ت	المصطلح	الصفحة	ت	المصطلح	الصفحة
١	آلة الحروف	١٦	٢٠	الخفاء	٢٨	٥٩	الإظهار	٤٢	٨٨	لا أبنية ولا أحوال الأبنية	٥٢
٢	آلة الصوت	١٦	٢١	الذلاقة	٢٠	٦٠	الاستبدال	٤٢	٨٩	المتقاربة	٥٢
٢	آلة اللغة	١٧	٢٢	الرخاوة	٢٠	٦١	الإعلال	٤٤	٩٠	المحرك	٥٢
٤	الأدخل	١٧	٢٣	الشدة	٢٠	٦٢	التقاء الساكنين	٤٤	٩١	المجانسة	٥٢
٥	الأعلى	١٧	٢٤	شبه النفخ	٢١	٦٢	التقاء المثلين	٤٤	٩٢	المضارعة	٥٢
٦	الاعتماد	١٨	٢٥	الصحيح	٢١	٦٤	الإمالة	٤٤	٩	مقاطع الكلام	٥٤
٧	الأترك	١٨	٢٦	العلة	٢٢	٦٥	البيان	٤٥	٩.	المناسبة	٥٤
٨	أوضاع آلة الحروف	١٨	٢٧	القلقلة	٢٢	٦٦	بين بين المشهور	٤٥	٩٥	نسق واحد	٥٤
٩	الحيز	١٩	٢٨	القوة	٢٢	٦٧	بين بين البعيد	٤٦	٩٦	نقل الحركة	٥٥
١٠	المخرج	١٩	٢٩	ما بين الشديدة والرخوة	٢٤	٦٨	بين اللفظين	٤٦	٩٧	الوقف	٥٥
١١	المدرجة	١٩	٤٠	المد	٢٤	٦٩	التبيين	٤٦	٩٨	الوقف الصناعي	٥٥
١٢	المرتفعة	٢٠	٤١	المصمتة	٢٥	٧٠	تجانس الصوت	٤٦	٩٩	الإشباع	٥٥
١٢	المستفلة	٢٠	٤٢	المنخفضة	٢٦	٧١	التخفيف	٤٧	١٠٠	التصويت	٥١
١٤	الوضع	٢٠	٤٢	المنفتحة	٢٦	٧٢	تخفيف الهمزة	٤٨	١٠١	جرس الحرف	٥٦
١٥	فضيلة الحرف	٢٠	٤٤	النفخ	٢٦	٧٢	الترقيق	٤٨	١٠٢	جري الصوت	٥٦
١٦	الاستطالة	٢١	٤٥	الهمس	٢٦	٧٤	التسهيل	٤٨	١٠٢	جري النفس	٥٧
١٧	الإطباق	٢١	٤٦	المهتوت	٢٧	٧٥	التضعيف	٤٨	١٠٤	جوهر الحرف	٥٧
١٨	التجهير	٢٢	٤٧	الهاوي	٢٧	٧٦	تقريب الصوت	٤٩	١٠٥	الحرف	٥٨
١٩	الغنة	٢٢	٤٨	الابتداء	٢٧	٧٧	تناسب الأصوات	٤٩	١٠٦	الدرج	٥٨
٢٠	اللين	٢٢	٤٩	الإبدال	٢٨	٧٨	تنافر	٤٩	١٠٧	الصوت	٥٨
٢١	التأفيف	٢٢	٥٠	الإتباع	٢٨	٧٩	الحذف الإعلالي	٥٠	١٠٨	الصوت الساذج	٥٨
٢٢	التفشي والحرارة	٢٤	٥١	أحوال الأبنية	٢٨	٨٠	الحذف للانبساط	٥٠	١٠٩	مادة الحرف	٥٩
٢٢	التكرير	٢٤	٥٢	اختلاف الأبنية والأمثال	٢٩	٨١	الحذف الترخيمي	٥٠	١١٠	المتفرع	٥٩
٢٤	الاستعلاء	٢٥	٥٢	الإخفاء	٢٩	٨٢	الحذف شيئاً	٥٠	١١١	مركب الصوت	٥٩
٢٥	الإطلاق	٢٥	٥٤	الإدغام	٤٠	٨٢	حرف تناسب (متوسط)	٥١	١١٢	النبر	٦٠
٢٦	الانحراف	٢٥	٥٥	الازدواج	٤١	٨٤	الساكن	٥١	١١٢	النفس	٦٠
٢٧	التفخيم	٢٦	٥٦	الاستثقال (الثقل)	٤١	٨٥	السلاسة	٥١			
٢٨	ترقيق	٢٦	٥٧	الإشراب	٤٢	٨٦	الفصل	٥٢			
٢٩	الجهر والهمس	٢٦	٥٨	الإشمام	٤٢	٨٧	القلب	٥٢			

ٱلرّموز ٱلْمستعملة في الحواشي :

ش ش = شرح شافية ٱبن ٱلْحاجب لرضيّ ٱلدّين ٱلأستراباذيّ ، تح : محمّد نور ٱلْحسن ومحمّد الزفزاف ومحمّد محيي ٱلدّين عبد ٱلْحميد ؛ (وهي ٱلنّسخة ٱلْمعتمدة في ٱلدّراسة) .

ش ك = شرح الكافية وهو (كتاب ٱلْكافية في ٱلنّحو ، شرحه رضي ٱلدّين ٱلإستراباذيّ ، دار ٱلْكتب ٱلْعلمية ، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م) .

ملاحظة :

١ـ ٱستعمال " حاشية ٱلْمصطلح " أُريد به : ٱلْحاشية ٱلّتي وضعتُها لتوثيق ٱلْمصطلح في كتب ٱلْمتقدّمين أو ٱلْمتأخرين عن ٱلرّضيّ ، ورقم ٱلإحالة إلى هذه ٱلْحاشية يكون دائماً آخر رقم يخصّ ٱلْمصطلح المعين .

٢ـ لأسباب فنية جرى ٱستعمال إحالات متعدّدة تحمل ٱلرّقم نفسه مع رجوعها إلى ٱلْحاشية ٱلْمعينة بالرّقم .

٣ . عند وجود رقمي احالة متتابعة في نهاية المصطلح فان الرقم الاول متعلق بالكلام المذكور في نهاية المصطلح ، اما ثاني الرقمين فهو يحيل الى حاشية المصطلح (توثيق المصطلح) .

##############

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحمد لله مستحقّ ٱلْحمد ، أحمده حمداً كثيراً مباركاً ، وأُصلي وأُسلّم على خير صفوته من خلقه محمّد ، وأهل بيته ، ٱلطّيّبين ٱلأطهار ، وعلى أصحابه ٱلْمنتجبين ٱلأخيار ، " ٱللَّهُمَّ أَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْوَهْمِ ، وَأَكْرِمْنِي بِنُورِ ٱلْفَهْمِ ، ٱللَّهُمَّ ٱفْتَحْ عَلَيْنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا خَزَائِنَ عُلُومِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ " .

أَمَّا بَعْدُ : فهذه دراسة صوتيّة تحاول أن تُبرز مادة ٱحتوتها دفتا موٴلّفين تراثيين أَلّفهما العالم ٱلشّهير رضي الدّين الأستراباذي النّحويّ ٱلْمتوفى سنة ٦٨٨ هـ (على ٱلأرجح) شرح فيهما متني ٱبن ٱلْحاجب ٱلشّافية وٱلْكافية ، وكان قد أشار عليّ بها ٱلأستاذ ٱلدّكتور غالب فاضل ٱلْمطلبيّ عندما أتيته طالباً موضوعاً للدّراسة يكون مكمّلاً لدراسة ٱلْماجستير ، وقد أتمّ الدكتور فضله بوضع ٱلْخطة ٱلأوّليّة للدّراسة .

لقد جاءت رغبتي ٱلشّخصيّة عاملاً فاعلاً في أسباب ٱختيار ٱلْموضوع وقد أعان توفر هذه ٱلرّغبة سببان يتعلقان بالرّضيّ ومادته ، فهذا العالم يأتي بين متأخري نحاة ٱلْعربيّة ليكون في ٱلثّلّة المقدّمة إلى جنب ٱلْخليل وسيبويه ، وثراء مادته ٱلصّوتيّة وعمقها في كتابيه ، خاصّة مادة شرح ٱلشّافية ، إذْ بإمكان هذه ٱلْمادة أنْ تقدّم تصوّراً واضحاً لفروع ٱلْجانب ٱلْوظيفيّ من ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة ، وهو ٱلْفرع ٱلّذي برع فيه علماء ٱلْعربيّة مبكراً ، وما قدّمته هنا يوٴيّد ذلك ، ولكنّ هذا التّصوّر - وإنْ تعلّق مجمله بٱلْعربيّة ٱلْمشتركة لغة ٱلْقرآن ، وشعر ماقبل الاسلام - إلّا إنّنا نجد مادة ٱستطراديّة كثيرة خصّ بها أمثلة متعدّدة من ٱلأداء ٱللغوي ٱلْمحليّ (ٱللهجات) ، أيام جمع ٱلْمادة ٱللغويّة عند علماء ٱلْعربيّة ٱلْمتقدّمين ٱلّتي ربّما فاقت ٱلْمادة ٱلْمقدّمة ٱلْخاصّة بٱلْعربيّة ٱلْمشتركة (كما حدث في موضوعات ٱلإبدال وٱلإدغام وٱلْوقف وغيرها) ، ومع عظم هذه ٱلْمادة فلم تكن الهدف لدراسته بقدر ماكان ذكرها تقريراً لسلوك ٱلْعربيّة ٱلْمشتركة ، ومحاولة ٱلْوقوف على قوانينها ٱلْمحدّدة ووصم مظاهرها بٱلشّذوذ ، وٱلضّعف ، وٱلْخروج عن العربيّة .

وجاءت الدّراسة في تمهيد وفصول ثلاثة ، جعلت ٱلتّمهيد موضحاً لبيان ٱلْهدف ٱلّذي أسعى إليه ، وٱلْمنهج ٱلّذي أروم ٱلتّمسّك به عند تناول ٱلظّاهرة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ :

أمّا ٱلْفصل ٱلأوّل فقد جاء معبّراً عن أفكار ممهّدة للدّرس تحت عنوان : " مواضع ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضي ٱلدّين " ، وهو وقفة لا ينبغي إهمالها ، وٱلتّجاوز عنها خاصّة مبحث " ٱلْمصطلحات " ٱلّذي كوّن ٱلْمادة ٱلأعظم لهذا ٱلْفصل ، ويعود ذلك إلى طبيعة فهم ٱلْمصطلح وٱلْمنهج ٱلّذي ٱتّبعته فيه من

جهة،وإلى طبيعة بقيّة مباحث ٱلْفصل من جهة أخرى؛ومباحث ٱلْفصل هي :

ٱلْبحث ٱلْأوّل : مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة في موٴلفيْ رضي ٱلدّين .

ٱلْبحث ٱلثّاني : مصادر ٱلثّقافة ٱلصّوتيّة لرضي ٱلدّين .

ٱلْبحث ٱلثّالث : منهج رضي ٱلدّين في درسه ٱلصّوتيّ .

ٱلْبحث ٱلرّابع: ٱلْمصطلحات ٱلصّوتيّة ٱلّتي ٱستعملها رضيّ ٱلدّين .

ثم يأتي ٱلْفصل ٱلثّاني بعنوان : "ٱتّجاهات ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة" للوقوف على جوانب ٱلدّرس ٱلْمختلفة ٱلّتي تناولها ٱلرّضيّ وكونت ثلاثة ٱتّجاهات هي مباحث هذا ٱلْفصل، وهي :

" ٱلِاتّجاه ٱلْأوّل : ٱلْأصوات في حالة ٱلْإفراد "

" ٱلاتّجاه ٱلثّاني : ٱلْأصوات في حالة ٱلتّجاور وٱلتّركيب (ٱلتّعامليّة) "

" ٱلاتّجاه ٱلثّالث: ٱلْأصوات في نظام ٱلأداء "

وتمثّل مادّة هذا ٱلْفصل محور ٱلدّرس عند ٱلرّضيّ ،فحالة ٱلإفراد تتعلّق بعملية إنتاج ٱلأصوات ومتعلّقاتها من تشريح آلة ٱلصّوت وٱلّتي ٱلْمخارج وٱلصّفات ٱلّتي هي مراتب ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ،لذلك ٱلصّوت ٱلْمتشابه ٱلْأفراد ٱلذي يعبّر عنه بٱلصّوت ٱلسّاذج أو سَاذِج ٱلصّوت " . ثم حالة ٱلتّجاور وٱلتّركيب (ٱلتّعامليّة) وتمثّل محل ٱلظّواهر ٱلصّوتيّة ٱلتي ناقشها ٱلرّضيّ وجاء هذا ٱلِاتّجاه عنده معبّرا عن حالة نطقيّة أي:بمعنى أنّه لم يقل إنّها نتاج ٱلتّعامل بين ٱلْأصوات ٱلْمتجاورة بل إنّ ٱلْمتكلم - لسبب يذكره ٱلرّضيّ يعمل تلك ٱلظّواهر ، إلاّ أنّ ٱلفهم ٱلْواقعيّ ٱقتضى أنْ أعبّر عنها بٱلتّعامليّة،وإنّي أعتقد أنّ ذلك لايتعارض وفهم ٱلرّضيّ،لأنّ ماذكره للظّاهرة لايتعدّى كونه محاولةً لتبرير تلك ٱلتّحوّلات ،ولم يكن ٱلْغرض بيان حقيقة مايحدث ، كما أنّ مايقدّمه ههنا من تعليلات كان ركيزة لي في بيان ٱلتّعامليّة في فهم ٱلظّواهر،وهي مايدخل تحت ٱلْمماثلة ٱلْكليّة كالْإدغام وما أطلقتُ عليه ٱلْمماثلة ٱلتّناسبيّة،وٱلْمماثلة ٱلْجزئيّة وٱلْمخالفة وٱلْإبدال وٱلْقلب ٱلمكانيّ وٱلْحذف .

أمّا ٱلِاتّجاه ٱلثّالث فقد جاء للوقوف على فهم ٱلرّضيّ لسلوك ٱلْأصوات داخل بناء ٱلْكلمة وٱلسّلسلة ٱلْكلاميّة،وكيفيّة ٱلتّتابع ٱلّذي ترتضيه فيما بينها (صوامتها وصوائتها) في بداية ٱلْعمليّة ٱلْكلاميّة وعند ٱلدّرج ؟ ويكوّن موضوعا " ٱلْتقاء ٱلسّاكنين وٱلِابتداء " ٱلْمصدر ٱلْمهم لمعلومات هذا ٱلِاتّجاه . ثم ٱلْفصل ٱلثّالث (ٱلْأخير) وهو فصل ٱلعلاقة ٱلْمتبادلة بين ٱلْأنظمة ٱللغويّة تحت عنوان (علاقات ٱلنّظام ٱلصّوتيّ)،وقد صوّر

ٱلْبحث ٱلْأوّل : علاقة ٱلنّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلنّحويّ وٱلْبحث ٱلثّاني : علاقة ٱلنّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلصّرفيّ " حاجة منهجيّة في فهم ٱلظّاهرة ٱللّغويّة (وهي منهج ٱلنّحو ٱلْوصفي ٱلْحديث) أُحاول رصدها عند ٱلرّضيّ وٱلْوقوف على مواضع إدراكه لها ؛ وكانت المعالم ٱلنّظرية هنا في نظري أهمّ ممّا يقدّم من تطبيقات ؛ لِأنّ في ذلك تفسير إدراكاً قد لا يتوافر لِلعالم فيما يقدّمه من تطبيقات .

أمّا ٱلْبحث ٱلثّالث وهو " علاقة ٱلْأصوات بٱللّهجات وٱلْقراءات ٱلْقرآنيّة " ؛ فيشكّل رصداً مكملاً لجوانب ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ حيث نلحظ فيه سلوك ٱلْأصوات في مظاهرها ٱلتّعاملية وعلاقاتها ٱلصّرفيّة وٱلنّحويّة في ٱلْمستويات ٱلْأدائيّة ٱللّهجيّة .

وقد حرصتُ عند نهاية كلّ فصل من ٱلْفصول ٱلْمذكورة على ذكر مجموعة من ٱلنّتائج تألّف ٱلْخطوط ٱلْأساسيّة لمحصلة ٱلْفصل ٱلْمعين، ثمّ جعلتُ في خاتمة ٱلْفصول نتائج عامّة تمثل أهم نتائج الدراسة .

وقد اعتمدتُ في دراستي هذه على عمل جداول مختلفة، ورسوم توضحيّة ساعدتني على ٱلْخروج بنتائج ربّما تكون أكثر علميّة ودقّة تمثّل معطيات رضي ٱلدّين في كتابه ٱلْآنفي ٱلذّكر . وبعد فإنّي قَدِمتُ إلى جانب من ٱلدّراسة ٱللّغوية لا يخلو من صعوبة كامنة في طبيعة دراسته ومنهجه زيادةً على قلّة ٱلْوعي بخطورته في ٱلْبحث ٱللّغويّ ٱلْمعاصر ، وقد سعيت فيه سعياً مخلصاً ؛ فإنْ وُفّقت فمِنَ ٱللّه وإعانته وبما أولاني ٱلْأستاذ ٱلْجليل ٱلدّكتور هادي نهر ٱلْمشرف على ٱلبحث ٱلذي أُقدّم له شكري مع ٱمتنانٍ وعرفانٍ كبيرين لِمَا أعانني في ٱلاعتماد على ٱلنّفس وبلوغ أقصى ٱلْجهد بتوجيهاته ٱلّتي اعتزّ بها كثيراً ، وإلّا فحسبي أن ينظر إلى هذا ٱلْعمل بعين صاحبه ٱلّذي يعتقد فيه تقصيراً يحاول أنْ يزيله بإرشادات ٱلنّاظر إليه وتوجيهاته ٱلْمقوّمة ، ممن يرجو إلّا يبخل عليه بها .

ومن ٱلْواجب ههنا أن أشير إلى ٱلشّكر وٱلامتنان ٱلذي أحمله لِلأُستاذ ٱلْفاضل ٱلدّكتور غالب فاضل ٱلْمطلبيّ ٱلّذي لم يبخل ولا يزال بتوجيهاته ٱبتداء باختيار الموضوع ووضع خطته ٱلْأوّليّة .

ويرتبط بهذا ٱلْواجب أن أقدّم شكري وٱحترامي لِلْأُستاذ ٱلْفاضل ٱلدّكتور غانم قدوري ٱلْحمد لاجابته في ٱلْحصول على بعض ٱلْبحوث ٱلصّوتيّة وأُقدّم شكري وتقديري أيضاً إلى كلّ من مدّ لي يد ٱلْعون وٱلْمساعدة قولاً وعملاً وأخصّ منهم منتسبي ٱلْمكتبة ٱلْمركزيّة بٱلْجامعة ٱلْمستنصريّة، وفي مقدّمتهم مديرها ٱلْفاضل ٱلْأستاذ محمد عبود ٱلزّبيديّ وأيضاً منتسبات مكتبة كلية ٱلْآداب بٱلْجامعة لتيسيرهم ٱلْحصول على مصادر ٱلدّراسة في سنتي ٱلْماجستير . هذا : " وَلِلّهِ ٱلْحَمْدُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ "

بغداد
١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

حسن ٱلْأسديّ

التمهيـــــد

يأتي بحثي هذا ضمن الدّراسات الوصفيّة ذات الصّفة التّقويميّة الّتي تعمل على الإفادة من إفرازات النّتاج الفكريّ المعاصر، للوصول إلى إبراز مواطن التّفاعل بينَ النّتاجين : القديم المتمثّل في الفكر الصّوتيّ عند رضي الدّين الأستراباذيّ (معبراً عن التّراث العربيّ الإسلاميّ) ، والحديث فيما توصّلتْ إليه الدّراسات اللِسانيّة المعاصرة المُستندة إلى كمٍ هائلٍ من الأفكار والنّظريّات وتفاعلاتها مع التّقنية الحديثة بمختبراتها وأجهزتها الخاصّة ؛ تحدوني في هذا الرّغبة الصّادقة إلى الابتعاد عن التّعسف والتّكلف الّذي قد يُصاحب مثلَ هذه الدّراسات، إنّني أسعى عبرَ تفاعلٍ بينَ النّتاجين إلى تحديدِ معالمِ (النّظريّة الصّوتيّة العربيّة) .

ولا أعدو (في منهجي هذا) أنْ أسير في مظهر من مظاهر اللِسانيّات المعاصرة الّذي تَجلّى " في الحركة الاستبطانيّة الّتي تشهدُها الدّراساتُ التّاريخيّة ، والمحاولاتُ التّنظيريّة العامة ، وذلك أنّ الفكر اللِسانيّ الغربيّ قد اتّجه أخيراً ـ فيما اتّجهَ إليه ـ إلى إعادةِ قراءة تراثه اللاتينيّ نافذاً من خلاله إلى التّراث اليونانيّ أحياناً . وهذا المنهج (السّلفيّ) أو (العوديّ) كما يَصطلحُ زكي نجيب محمود هو بمثابة البحث في خبايا التّراث اللُغويّ بغيةَ إدراكِ أسرارِ العلم اللِسانيّ الحديث من جهةٍ ، وتقييم التّفكير التّاريخيّ في الظّاهرة اللُغويّة بمنظورٍ حديثٍ من جهة أخرى "(١) زيادةً على ما سبق ؛ فإنّ هذا المنهج كانَ مظهراً من مظاهرِ الحركة الاستشراقيّة من خلال ماقدَّمَتْهُ من دراساتٍ ، وفي هذا السّياق يشيرُ أحدُ الغربيّين(٢) إلى أنّه بفعلِ تلكَ المهارة الّتي تمتعَ بها النُّحاة العرب في مشاهدة اللُغة ووصفها ، وبشكل خاصٍ وصفهم الدّقيق للصّوتيّات الشّامل الّذي يَكادُ يكونَ تقديماً حديثاً ـ قد أدى إلى أنْ ينشغلَ بعضُ المستعربينَ الأوربيّين بنظام الصّوتيّات (أو بنظام لفظ الحروف في العربيّة التّقليديّة) انشغالاً تفصيليّاً، ونذكرُ بهذا الخصوص دراسات (شادة) و (بريفمن) و (كانتينو) ..

---

(١) التّفكير اللسانيّ : ١٤ .

(٢) وهو : أ . د لفكانك روشيك ينظر بحثه : النّحاة العرب القدامى، وعلم اللُغة الحديث : ١٦ .

وعلى الرّغم من أنّ ظهور علم الأصوات العربيّ يمتدّ إلى عمقٍ تاريخيٍّ يسبق الرّضيّ بقرونٍ متعدّدةٍ ، فإنّ هذا لم يكنْ مانعاً له من أنْ يقدِّم لنا أفكاراً وتصوّراتٍ صوتيّة جدّ خطيرة كانت مطيّتنا في انشاء هذا الدّرس منهجاً وتطبيقاً ، مع إغناءِ جوانبه المختلفة ممّا سنقفُ عليه خلال مباحثَ دراستنا هذهِ الّتي تكوّن موضوعاتُ أحوالِ الأبنية،وماليسَ بأبنية ولا أحوال أبنية في شرح الشّافية مصدرَ الثّراء الأعظم لِلمادة الصّوتيّة حتّى إنّني رأيتُ لأجل هذا أنْ أطلقَ عليها المباحث الصّوتيّة في شرح الشّافية (وسنقفُ على هذا بمزيدٍ من التّفصيل في مبحث : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في الفصل الأوّل) .

وبعدُ، فإنّني في فقرات بحثي هذا وحواشيه سأورد بعض آراء علماء العربيّة المتقدّمين : الخليل،وسيبويه،وابن جني،وغيرهم ، وكذلك آراءَ المحدثين ما أجد حاجة إلى ذلك .

+++++++++++++

ٱلْفصل ٱلْأوّل

مواضع ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلْأوّل : مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة في مؤلفي رضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلثّانيَ : مصادر ٱلثّقافة ٱلصّوتيّة لرضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلثّالث : منهج رضيّ ٱلدّين في درسه ٱلصّوتيّ

ٱلْمبحث ٱلرّابع : ٱلْمصطلحات ٱلصّوتيّة ٱلّتي ٱستعملها رضي ٱلدّين

المبحث الأوّل
مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفيّ رضي الدّين

أقتصرُ هنا على الإشارة إلى مواضعَ الدّراسة الصّوتيّة في شرح الشّافية، وأُهمِلُ ماجاء منها في شرح الكافية لندرتها أولاً، وتناثرها ثانياً ؛ إذ إنّها لاتعطينا فائدةً منهجيّة بورودها متناثرة في موضوعات الدّراسة النّحويّة ؛ أمّا في شرح الشّافية فالمسألة مختلفة تماماً ؛ إذ نقفُ فيه أمام كمٍّ هائل من المعلوماتِ الصّوتيّة ذاتَ المواضع المحدّدة ، الّتي يُمكِنُنا من خلالها أنْ نخرجَ بحصلة منهجيّة تبيّن النّمط الّذي تسيرُ عليه الدّراسة الصّوتيّة عند الرّضيّ .

وتبدو مباحثُ أحوال الأبنية في شرح الشّافية مع المباحثِ الّتي ليست بأبنية ولا أحوال أبنية مكوّنة ثقل المادة الصّوتيّة (وقد توارَدت هذه في القسم الأخير من الكتاب) يشارِكُها مبحثُ (القلب المكانيّ)[1] ، الّذي ذكره في بداياتِ الكتاب الخاص بالأبنية، والأرجح عندي أنّ ذكره هناك بعيداً عن أحوال الأبنية لم يكن إلاّ من تداعيات الميزان الصّرفيّ ووزن الأبنية، وكان الأجدر بالرّضيّ أنْ يجعله منها .
وأحوال الأبنية عند الرّضي هي الّتي قال عنها : " وإنّما يَدْخُلُ في أَحْوالِ الأَبْنِيَةِ : الابْتِداءُ، والإمالةُ، وتَخْفيفُ الهَمْزَةِ، والإعلالُ، والإبْدالُ، والحَذْفُ ، وبعضُ الإدغامِ، وهو إدْغامُ بَعْضِ حُروفِ الكَلِمَةِ في بَعْضٍ . . . وكذا التقاءُ السّاكِنَيْنِ ، وهو إذا كانَ السّاكِنانِ في كَلِمَةٍ "[2] ، أمّا بقيّة المباحثِ الّتي قالَ عنها إنّها ليست بأبنية ولا أحوال أبنية الّتي تدخل هنا هي : الوقفُ، والإدغامُ في كلمتين، والتقاءُ السّاكنين فيهما[2] .

ممّا سبق نخلص إلى أنّ مواضع الدّراسة الصّوتيّة قد ركزت في المباحث الآتية من شرح الشّافية، وهي : (عمومُ الإدغام، وعمومُ التقاء السّاكنين، والابتداءُ، والإمالة، وتخفيفُ الهمزة، والإعلالُ، والابدالُ والحذفُ، والوقفُ، والقلبُ المكانيّ) . وهي ماسأطلق عليها تسمية المباحثِ الصّوتيّة أو المباحث العشرة .

---

(١) اصطلاح (القلب المكانيّ) لم يستعمله الرّضيّ أبداً، واكتفى بمصطلح (القلب) فقط ينظر ش ش ١ / ٢١ ومصطلح القلب .

(٢) ش ش ١ / ٥٠ .

وألحظُ هنا اصطلاح الرّضيّ عليها بـ (أحوال الأبنية، وما ليس بأبنية ولا أحوال أبنية) فيبدو موفقاً جداً وخطيراً، إذ فيهما إدراك كامل للأساس الصّوتيّ لهذه المباحث الّتي كانَ من الممكن جداً أن تتطورَ إلى علم متكامل يدرسُ الأصوات اللّغويّة، ومظاهر التّحوّلات الصّوتيّة داخل البِنْية، وخارجها، ونظام الأداء التّشكيليّ . غير أنّ اقتصار نَظْرته للأصوات في حدودِ البِنية والتّجاور على ما هو أكبر من البِنية حال دونَ ذلك، وقد عملَ هذا (ومن خلال هذه النّظرة) على الرّبط الشّديد بين الأفكار الصّوتيّة، والوحدة الأساسيّة لعلم الصّرف (أي : الكَلمة) فجعلَ من علم الأصوات العربيّ يدورُ داخل الكلمة، ويقف عن الاكتمال كأحدِ العلومِ اللّغويّة الأخرى ؛ ولا أعني هنا فقط دورَ الرّضيّ بل أعني دور سيبويه، والرّضيّ تلميذ نجيب له، واستفاد من أفكاره كثيراً حين وظّف عمل أستاذه الخليل في توزيع الأصوات بحسب مخارجها وأحيازها لفهم الإدغام ، وهو ما ظلّ ملازماً الدّراسات الصّوتيّة في المؤلفات النّحويّة أو الصّرفيّة حتى زمن الرّضيّ ، الّذي عمل على تعميق الفائدة من المبحثين الأساسيّين في الإدغام، وهما مبحث مخارج الأصوات، ومبحث الصّفات في دراسة تحوّلات البِنية اللّغويّة جميعها (أعني : الإدغام، والإبدال، والإعلال ، والإمالة، وتخفيف الهمزة، وغيرها) حيث برزت منهجيّته الصّوتيّة بشكل واضح على غيره من العلماء (سيبويه، ومن أتى بعده) .

وربّما أكون أكثر اعتدالاً لو أطلقتُ على هذه المباحث العشرة أو المباحث الصّوتيّة تسمية (المباحث الصّرفيّة-الصّوتيّة)(١) ؛ للتّفاعل الواضح بين علم الأصوات، وعلم الصّرف ، وتعلّق أحدهما بالآخر في هذه المباحث الّتي أختم وقفتي معها بالخروج إلى بعض الأفكار المنهجيّة الخاصة بالدّراسة الصّوتيّة، ومواضعها أضيفها إلى ما سبق وهي : ـ

١ ـ إنّ موضوعات الإدغام والتقاء السّاكنين، والوقف، والابتداء ، أقيمتْ على تصوّر صوتيّ محضٍ لتجاوزها حدود البِنية المفردة إلى السّلسلة الصّوتيّة على غير ما هو الحال في بقيّة الموضوعات الّتي تكونُ تسمية (الصّرفيّة-الصّوتيّة) أكثر تعبيراً عن طبيعة النّظرة لتحوّلاتها الصّوتيّة .

---

(١) في المصطلح، يُنظر: مقدمة الفصل الثّالث .

(*) وهو التصور الخاص بالدراسات الصرفية عند علماء العربية المتقدمين ، ويرى المحدثون أن الوحدة الأساسية لعلم الصرف هي المورفيم .

٢ـ تجزئة الظواهر الصوتيّة في المباحث العشرة (السّابقة) المتمثلة بتناول كلّ مبحثٍ على حدة ، وعدم محاولة وضعها في إطارٍ جامعٍ لمناقشة ظواهرها قد أفقدت المادة الصّوتيّة إمكانيّة تحوّلها إلى كيانٍ مستقلّ هو علم الأصوات، أو علم أحوال الأبنية .

٣ـ التّقييد الموضعيّ لأخطر موضوعين في الدّراسات الصّوتيّة القديمة، والمعاصرة، وهما: موضوع المخارج الصّوتيّة، وموضوع الصّفات اللّذان يرصدان مراتب التّمايزات الصّوتيّة المختلفة إذ لم يُغادرا بداية موضوع الإدغام في المؤلفات النّحويّة والصّرفيّة ومعجم مؤلّف الرّضيّ، وقد أسهم هذا التّقييد الموضعيّ في عدم تبلور العلم المستقل للأصوات ؛ على الرّغم من وجود مفاهيمَ كافيةٍ لتشكيل جميع فروعه، (وحسبنا هنا ماقدّمه علماء التّجويد، ومعهم ابن سينا من استقلاليّة واضحة لعلم الأصوات .

٤ـ استطراداً مع ماسبق، أُشير إلى أنّ مبحث الإدغام باحتوائه على موضوعيْ المخارج، والصّفات قد كوّن ثقلَ هذا الدّرس الذي أسعى إلى إخراجه، فزيادةً على مساهمته الفعّالة في فهم التّحوّلات الصّوتيّة لمختلف الموضوعاتِ فقد قدّم لنا التّصوّرات الخاصة بالجهاز النّطقيّ، وكيفيّة إنتاج الأصوات اللغويّة وغير اللغوية، وقدّم لنا مراتبَ التّمايز بين الأصوات بالاعتماد على آليّة المخارج الموزعة على طول الجهاز النّطقيّ، والصّفات الصّوتيّة لجميع الأصوات (ماكانت عامّة لها، وماكانت خاصّة ببعضها) .

٥. يقدّم لنا الرّضيُّ في التقاء السّاكنين، والابتداء تصوّراتٍ مهمّةً جداً تخصّ النّظام المقطعيّ للعربيّة الفصحى مع شيءٍ ممّا تميّزت به بعضُ لهجاتها في أنظمتها المقطعيّة ؛ زيادةً على هذا، فإنّي وجدتُ مواضعَ أخرى أُقيمت على تصوّراتٍ مقطعيّةٍ ، خاصةً ماكان في ظاهرة الإعلال، وبعضِ مظاهرِ الوقف .

+‡‡‡‡‡‡‡‡+

المبحث الثاني

مصادر الثقافة الصّوتيّة لرضيّ الدّين

تمثّل الدّراسة الصّوتيّة للخليل وسيبويه ثروة مهمّة للدّراسات العربيّة اللاحقة وقد حرص علماء العربيّة على ورود منبعيها الغنيين حتّى إنّ النّظرة العامّة للدّراسة الصّوتيّة التّراثيّة تعطينا انطباعاً أنّ اولئك العلماء لم يستطيعوا إلاّ متابعة أحدها ، ولم يقدموا إلاّ إضافات اتاحتها أعمال هذين العلمين .

والرّضيّ هنا واحد من أولئك الّذين تابعوا سيبويه بشكل خاصّ غير أنّ ذلك لايعني توقفه عند سيبويه فقط ، بل تجاوز ذلك الى مجمل التّراث العربيّ السابق لعصره ، وقد قمت باستقراءٍ لمواضع ذكره لأسماء الاعلام وكتبهم ، و اقتصر في هذا الاستقراء على مواضع الدراسة الصوتية من اعمال هذا الرجل وهي الموضوعات العشرة الّتي سبق الوقوف عندها في المبحث الاول من هذا الفصل الخاصّ بمواضع الدّراسة الصّوتيّة . وقد توصّلت إلى ما يأتي :-

١- يعمد الرّضيّ إلى ذكر أسماء الرّجال دونَ أسماء كتبهم خلا مواضع قليلة لاتتجاوز خمسةَ مواضعَ [(١)] ذكرفيها كتابَ التّكملة لأبي عليّ الفارسيّ والفصيح لثعلب ، وماكانَ من ذكره لصاحبِ المفصل ، وحاشية كتاب ابن برمان ، والكافية للمصنف مع إحالات متعدّدة إلى كتابه شرح الكافية .

٢- التّوثيق والإحالة تردان في صيغ مُتعدّدة من نحو قوله : " وَعِبَارَةُ سِيبَوَيه " و " ... عِنْدَ الزَّجَاجِ ، والسّيرافيّ ، كَمَا مَرَّ في شَرْحِ الكَافِية " و " ذَهَبَ ابْنُ جِنّيّ ... " و " قَوْلُ صَاحِبِ المُفَصَّلِ " و " عَدَّهَا السّيرافي " و " أَنْشَدَ أَبُو عَلِيّ ... " ، [(٢)] إذ يبدو تعدّدها تلبيةً لمتطلبات السّياق الّذي ترد فيه .

٣- بلغَ مجموعُ مصادره بحسب ماتوصّلتُ إليه (٣٣) مصدراً ، والملاحظ هنا أنّ هذا العددَ لايُعبّر عن مجموع مصادره بدقّةٍ حيثُ أجد ما يقودني إلى القول بأخذه عن مصادرَ أُخرى ، لعلَّ أبرزَها كتبُ الخِلافِ وكتبُ الموسوعاتِ اللّغويّةِ الّتي تجمعُ الآراء . وذلك من خلالِ نسبتهِ إلى المدارس اللّغويّة المعروفة من نحو نسبته إلى (الكُوفيينَ) أو (الكوفيّة) و (أهل البَصرة) أو (البصريّة) ، وينسبُ أيضاً إلى (بعضِ البَغَادِدَة) ، وأيضاً بعض عباراتِهِ من نحو : " غَيْرِ سيبويهِ " و " قالَ بَعْضُهُم " و " سَائِرِ النّحاة " و " عُلماءُ هذا الفَنّ " (٣) .

---

(١) المواضع على الترتيب : ش ش ٢٨٣/٢ ، ٢٤٦/٢ ، ١٨٩/٣ ، ٣٦/٣ ، ٢٥٦ / ٢٩٤/٣ .

(٢) المواضع على الترتيب : ش ش ٢٥٣/٣ ، ٢ / ٢٤٢ ، ٢٥١/٢ ، ٣٦/ ١٨٩ ، ١٨٩/٣ ، ٢٠٦/٣ ، ٣٦/ ٢٠٥ .

(٣) ينظر فيما سبق : ش ش ٦٥/٣ ، ٦٦ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٢ / ٢٥٩ ، ٧٧/٣ ، ٢٥٨/٢ ، ٨٣/٣ ، ١١٨/٣ ، ٢٧٤/٣ ، ٢٥٣/٣ .

وقد تكونُ من مصادره كتبُ القراءات القرآنية، وكتبُ أهل التّجويد، وكتب الأشعار، والدواوين من خلال ما نجده في مادة المباحث من قراءات، ومصطلحات صوتيّة عُرِفَت عن مؤلفي هذين النمطين من العلوم ذات الصّلة الوثيقة بالدّراسة الصّوتيّة؛ كذلك ما نجده من أشعار يستشهد بها على الاستعمالات الصّوتيّة .

٤ـ يُمكننا أنْ نحدّدَ طبيعةَ مصادره في دراسته الصّوتيّة من خلال ما ذكره من أسماء أعلامها، وتأتي المؤلفاتُ النّحويّة التي ذُكِرَت فيها المادةُ الصّوتيّةُ متصلةً بالمادة الصّرفيّة والنّحويّة بذكره لأسماء (سيبويه، والمبرد، وأبي عليّ، والسّيرافيّ، وابن جنّي، والزّمخشريّ، وابن يعيش)، وكذلك بذكره لعبد القاهر الجرجانيّ، وابن كيسان، وكتب القراءات بما ذكره من أسماء القرّاء الذين تحصّل جماعةُ الإقراء على ذكر قراءاتهم: منهم من السّبعة من نحو: أبي عَمْرو بن العلاء، وحَمْزَة، والكِسائيّ، ونافع ... وغيرهم)، أو مَن كان من غير السّبعة كـ عمرو بن عُبيد، وأبي أيوب السّجستانيّ، ويعقوب الحضرميّ، وغيرهم (١)، وأزيد هنا ما كان في مؤاخذته على شرّاح كلام الشّاطبيّ في شاطبيّته .

والرّسائل اللّغويّة، وكتبها بذكره لأسماء أبي الخطاب، والأصمعيّ، وقطرب، وثعلب في الفصيح، ولا يفوتني أنْ أذكر ثقافته المنطقيّة التي أورد مترجمو حياته أنّه عمل في ميدانها بما قدّمه من بعض المؤلفات (٢)، وقد بدت هذه الثّقافة متفاعلةً مع الأفكار الصّوتيّة من خلال بعض مصطلحاته، كمصطلحي (جوهر الصّوت) و (الصّوت السّاذج) وبعض الاستعمالات الأخرى .

٥ـ يبرزُ سيبويه على جميع مصادره بكثرة ما يُنْقَل عنه، وما تبنّاهُ من أفكاره التي لم يشر إليه فيها، وقد بلغَ تردّدُ سيبويه في المباحث العشرة (١٣٠) مرّة، أي ما يزيد على نصف المجموع الكليّ لمصادر الدّراسة الصّوتيّة البالغ (٢٢٨) مرّة، وفي هذا ما يؤكّد (بشكل واضح) ما زعمه بعضهم بشأن الرّضيّ " إنّه ليس في المتأخرين مَن أطّلع على تدقيقات كتاب سيبويه مثله " (٣) .

---

(١) ينظر : المبحث الثالث من الفصل الاخير .
(٢) ينظر : هدية العارفين ، ٢/١٣٤ .
(٣) مفتاح السّعادة : ١/١٨٤ .

وجاء بعد سيبويه الأخفش بـ (٢٥) مرة، ثمّ الخليل بـ (٢٣) مرة، فالسّيرافيّ بـ (٢٠) مرة، فأبو علي الفارسي بـ (١٥) مرة، فالمازنيّ بـ (١٣) مرة ، فالفراء بـ (١٢) مرة، فالكسائيّ بـ (١٠) مرّات، فالمبرد وابنُ جنّيّ في (٩) مرات، ويلحظ الفارق الواسع بين سيبويه ومن يليه .

٦ـ يعدّ سيبويه والسّيرافيّ أبرز مصدرين في موضوعيْ المخارج الصّوتيّة والصّفات ؛ فلسيبويه (١٣) مرةً وللسّيرافيّ (٧) مرات من أصل (٢٨) مرةً ، ذكرفيها مصادره ؛ ويأتي بعدهما كلّ من الخليل وابن جنّيّ مرتين لكلٍّ منهما ، وبعدهما الفراء والأخفش والزّمخشريّ بمرة واحدة لكلّ منهم .

٧ـ وجدت الرّضيّ كثيراً ما يهمل الإشارة إلى مصادر مادته الصّوتيّة ، ويتجلّى ذلك في موضوعيْ الإبدال والإدغام بشكل واضح .

٨ـ تعدّد مواطن الجدال، وتعارض الآراء أمكنةً تبرز فيها أسماء مصادر الرّضيّ .

٩ـ نخرج من كلّ ما سبق بمحصلة تشير إلى تنوّع مصادر ثقافة الرّضيّ الصّوتيّة ؛ وإذا كان التّراث المعرفيّ التّخصصيّ قد يشكّل أمام بعضهم مشكلة معرفيّة ، وفنية خطيرة قد تميل به إلى الجمود والتّحجر، فإنّها في الوقت نفسه قد تشكّل ثراءً علميّاً يمكّن الباحث أنْ يبني موضوعه بناءً محكماً يقوم على التّحقيق والتّدقيق ؛ وذلك ما أعتقده هنا مع الرّضيّ .

//////////////////

المبحث الثالث

منهج الرّضيّ في درسه الصّوتيّ

المنهج في أبسط تصوّراته،وأشملها : " طريقة يصل بها الإنسانُ إلى الحقيقة " (١)، وأرى أنّ تصوّر المنهج يجب أن يستند إلى أساسين: الأوّل منهما نظريّ يأخذ بعين الاعتبار الأسس الفكريّة المعتمدة في الوصول إلى الحقيقة، وأعتقد أنّ ما وضعه بعض الغربيّين من تعريف المنهج يوضح هذا الأساس حيث قال في تعريفه للمنهج : " مجموعة العمليات الزّمنيّة الّتي يُحاوِل من خلالها علمٌ من العلوم بلوغَ الحقائق المتوخاة مع إمكانيّة تبيانها والتّأكّد من صحتها " (٢)،
أمّا الأساس الثّاني للمنهج،فهو المنهج العمليّ الّذي يمثّل المجالَ التّطبيقيّ للأسس الفكريّة الممثّلة للمنهج الأوّل (النّظريّ)،وأعرّف هذا المنهج بأنّه: مجموعة الوسائل الفنيّة الّتي يتّخذها العلم في عرض مادته،وإيصال حقائقه،ونتائجه .
ويعتقدُ الباحثونَ بوجودِ علاقةٍ وثيقةٍ بينَ نتائج البحث والمنهج المختار (٣)؛ ولهذا فالمنهجَ أهمّ أركان نجاح البحث والباحث ، وأُحاول هنا أن أقفَ على معالم منهج الرّضيّ بقسمَيْه،معتمدي في ذلك المباحث العشرة الّتي سبق ذكرُها .

المنهج النّظريّ (الأُسس الفكريّة) :

١- لايرى الرّضيّ استقلالاً واضحاً لدراسته الصّوتيّة عن دراسته الصّرفيّة ، والدّراسة الصّوتيّة توظّف لفهم تحولات الأبنية اللّغويّة .

٢- الخلطُ بين أنماط الأداء الفنيّ للّغة العربيّة المشتركة ،وعلى هذا أتى رصدُه للمظاهر الصّوتيّة . وقد تمثّل هذه الخلط بذكره لشواهد قرآنيّة ،وشعرية،ونثرية ..

وربما أدرك علماء العربيّة هذا الخَلط،وخطورته ،وأنّ لكلّ نمط من هذه الأنماط اعتباراته الّتي لها أثرٌ بالغ في خصائص بنيته الصّوتيّة والمقطعيّة ؛ فقالوا في الشعر بالضّرورة الّتي يتحلّل بها الشّعراء من هيمنة معايير هذا الخلط الّذي يصفهم علماء العربيّة من خلاله بالشّذوذ .

---

(١) منهج البحث الأدبيّ : ١٧ .
(٢) عن : منهج البحث النّحويّ في القرن الثّالث : ٤ .
(٣) ينظر: نفسه : ٤ .

٣ــ ٱلْخلط بين أنماط الأداء في ٱلْعربيّة ، فالدّرس ٱللغويّ العربيّ عامّـة لم يخلص لنمط أدائيّ واحد ، فإلى جانب أداء ٱلْعربيّة ٱلْمشتركـة نجد مظاهر لطرائق أخرى لهجيّة ، وتبعته ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة بل إنّها ربّما تكون أكثر خلطاً من بقيّة جوانب الدّرس ٱللُّغويّ ، فنجد ظاهرة (تخفيـف ٱلْهمزة) ، وهي حجازيّة ، ونجد أيضاً (ٱلْإمالة) ، وهي تميميّة ، ويولّـد هــذا تعسفاً في فهم ٱلظّاهرة ٱلصّوتيّة ، وبعداً عن ٱلْوقوف علـى حقيقتها ، لأنّنا وجدنا أنّ ٱلنّظر إليْها يتمّ عبر طريق أدائيّ آخر قد يكـون هو ٱلْفصحى ، أو ما ٱختارته ٱلْفصحى من لهجة معينة ، وذلك موقف معياريّ تجاه ٱلظّواهر ٱلصّوتيّة ممّا لا ينسجم مع متطلبات نظر ٱلْباحث ٱللّغـويّ ويحولُ دونَ فهم ٱلظّاهرة ٱلمعيّنة فهماً واقعيّاً .

المنهج العَمَليّ :

١ــ يرى الرّضيّ ٱقتصار ٱلْمباحث ٱلصّوتيّة تحت عنوانين داخل علم ٱلصّرف همـا : أحوال الأبنية ، وماليس بأبنية ولا أحوال أبنية (وقد سبق أنْ وقفت عند هـذا في مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة ، فتنظر) ، وبحسب ما أرى ٱلرّضيّ أكثر ادراكاً مـن ٱبن ٱلْحاجب الّذي جعل من أحوال الأبنية شاملاً لجميع ٱلدّراسة ٱلصّرفيـّة بمافيها جوانبها ٱلصّوتيّة (١) .

٢ــ لقد سَاير ٱلرّضيّ ٱبنَ ٱلْحاجب في كيفيّة تتابع موضوعات ٱلدّرس ، وكيفيّة ٱلدّخـول في ٱلموضوع ٱلمعيّن في ٱلإطار ٱلْعام ، إذ يبدو هذا ٱلسّلوك طبيعيـّاً ، ومنسجماً مع ٱلتّيار ٱلتّأليفيّ ٱلْقائم على ٱلْمتون ٱللُّغويّة ، وخاصةً مع ٱرتباطـه بدواع تعليميّة .

٣ــ يقومُ منهج الرّضيّ في عرض ٱلْمادة الصّوتيّة على :

آــ مقدمات نظريّة : تشمل ٱلْحدود ، وٱلتّقسيمات مع إدراج بعض الأمثلـة للإيضاح .

ب ــ ٱلْأمثلة التّطبيقيّة : وهي موضع رصد ٱلْمادة ٱلتّطبيقيّة المثّلة للواقـع

---

(١) ينظر : ش ش ١ / ٤ ، وأيضاً حاشية ٱلصّفحة .

اللغويّ العربيّ . ونجدُ فيها كثيراً من التّطبيقات الممثّلة لأساليب كلاميّة محليّةٍ هي اللّهجات والقراءات القرآنيّة : الّتي هي كيفيــة اداء كلمات القرآن الكريم منسوبة لناقلها (*) .

وهنا يبرز مجال الإبداع لهذه الشّخصيّة في طرح الأفكار من خلال الشّـــرح والتّعليق والتفصيل وكيفيّة الولوج في جوانب الموضوع واستيعاب دقائقه .
وهذا المنهج حصيلة نظرة تمّ فيها جمعُ مناهج جميع المباحث الصّوتيـــّـــة العشرة في شرح الشّافية فقطْ ، ويتسنّى لي من هذا أنْ أعدَّ هذه الحصيلـــة منهجاً له رسمه الصّوتيّ .

٤ـ يعمد الرّضيّ في بعض مباحثه إلى أنْ يأتيَ بمقدمةٍ طويلةٍ يكـــادُ يستغـــرقُ فيها جوانب الموضوع في إطار عامٍ مع ذكـــر الأمثلة المناسبة نجد هذا السّلوك في مبحثي الابتداء والتقاء السّاكنين ؛ كما نجد سلوكاً معاكساً لذلكَ يميـــلُ فيه إلى الاقتصار على بعض الأسطر أوْ يدخلُ بشكل مباشر إلى كلام ابـــــن الحاجب الّذي جعلَه أساساً لفقراتِ موضوعه ؛ وفي بعض المواضع يهملُ وضـــع الحدود تماشياً مع المصنّف ، وهـذا في : الوقف والإمالة وتخفيف الهمزة .

٥ـ نتبيـّــن من عرض الآراء (داخل المادة الصّوتيّة) منهجاً يقومُ على التّحقيـق والتّدقيق والمناقشة إذ يذكر الآراء المؤيّدة والمعارضة فيختار منها مايـراه مناسباً أو يرفضها جميعاً ويتبنّى رأياً جديداً ؛ فمن ذلك مايذكره فـــي مخارج الحروف فبعدَ أنْ يذكر وجهة الخليل في المخارج الصّوتيّة وتوزيـــع الأصوات عليها ثمّ يذكر مخالفة الفراء لسيبويه في بعض المخارج يخلص إلـــى رأي يتبنّى مقولة سيبويه فيقول : " وَأَحْسَنُ الْأَقْوَالِ مَاذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ ، وَعَلَيْـــهِ الْعُلَمَاءُ بَعْدَهُ " (١) .
وفي القلب (٢) ، بعدَ أن يذكرَ رأي الخليل الّذي يذهب فيه إلى أنّ القلـــب قياســـيّ فيما أدّى تركه إلى اجتماع همزتين يذكر معارضة رأي سيبويـه

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٤ .

(٢) ش ش ١/ ٢٤ ـ ٢٥ (وهو القلبُ المكانيّ) .

(*) ينظر: معجم القرآنيين : ٦١ .

له ثمّ يذكر رأيه قائلاً : " وليس ما ذهب إليه الخليل بمتين " (١) ويذكر حجته في هذا ، ثمّ لا يلبث أن يبرّر دعوى الخليل حتّى أنّه ليذكر عن سيبويه رأياً يتفق فيه الخليل معهما فيما خالفاه من عدم قياسيّة القلب .

وفي الوقف بعد ما يذكر الرّأي في قوّة كيفيّات الوقف بالرّوم والإشمام والتّضعيف ، وإنّ التّضعيف هو الأقوى (وعلى ما يبدو فإنّ ذلك رأي سيبويه) (*) يعقّب عليه بذكر رأيه المخالف . (٢) (٣)

وبعد ، فإنّ هذا المنهج ينسجم مع منهج المحقّقين ممن عاش بينهم من علماء النّجف الأشرف التي يعدّ الرّضيّ " ألمع نحاتها ظهوراً وأوسعهم شهرة وأبعدهم صيتاً " (٤) .

٦ـ من ضروريات نجاح المنهج وسائل إيصاله التي تتمثّل في اللّغة المستعملة أو الوسائل التطبيقيّة في عرض المادة ؛ وقد تميّزت لغة الرّضيّ بوضوحها وقوّتها مع دقّة عالية في الإتقان حاكها بما أوتي من ملكة أصقلها البحث المنطقي والعلم بمداخل الكلام ومخارجه أهّله لأنّ ينتقد بعض عبارات ابن الحاجب صاحب العبارة الموجزة الدّقيقة في الشّافية والكافية فيصفها بالإلباس أو الرّكاكة أو زيادتها عن حدّها (٥) .

ومن الطّبيعيّ بعد ما سبق أن نجد أسلوب المنطقيّين متمثّلاً في جملة أساليب عرضه بوضع الإشكالات والإجابة عنها وذلك فيما عرف بالفنقلة أي : فإن قلت ... قلت (٦) وهو أسلوب المجادلة والمحاججة .

كذلك لا نعدم عند الرّضيّ أن يشرح معنى بعض الكلمات (٧) .

أمّا شواهده فكانت معبّرة عن اختلاط أنماط اللّغة الفنيّة فنجد الشّواهد القرآنيّة ، والشّعريّة والمقولات النّثريّة وشواهد أخرى لهجيّة وشواهد القراءات القرآنيّة .

---

(١) ش ش ١/ ٢٥ .
(٢) ينظر ش ش ٢/ ٣١٥ـ ٣١٦
(٣) للمزيد ينظر ش ش ٣/ ٢٥٣ و ٣/ ٢٩ .
(٤) مراكز الدراسات النحوية : ٦٨ .
(٥) ينظر ش ش ٣/ ٢٣٥
(٦) ينظر ش ش ١/ ٢٧ ، ٢٨ ، ٣/ ٩٧ ـ ٩٨ ، ١٠١ .
(٧) ينظر ش ش ٣/ ٢١٧ .
(*) ينظر الكتاب ٤/ ١٦٨ .

المبحث الرّابع
المصطلحات الصّوتيّة الّتي استعملها رضيّ الدّين

تمهيد :

يقول أحد الباحثين : " مفاتيح ٱلْعلوم مصطلحاتُها ، ومصطلحات ٱلْعلوم ثمارُها ٱلْقصوى ، فهي مجمع حقائِقها ٱلْمعرفيّة وعنوان ما به يميّز كلّ واحد منها عمّا سواه ، وليس من مسلك يتوسل به ٱلإنسان إلى منطق ٱلْعلم غير ألفاظه ٱلاصطلاحيّة حتّى كأنّها تقومُ من كلّ علم مقام جهاز من ٱلدّوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ، ومضامين قَدْرِهِ من يقين ٱلْمعارف وحقيق ٱلأقوال " (١)

وهو ما أسعى إليه في هذا البحث ، فجَهِدْتُ في تتبُّع ٱلنّصوص وٱستعمالاتها ، استخرج منها ٱصطلاحاتها ، مع ٱلْحرص على ذكر تلك ٱلنّصوص وٱلاستعمالات ، وأرى أنّ من سلامة ٱلْوقوف على ٱلدّلالة ٱلاصطلاحيّة لمستعملها أنْ يَتِمَّ فهمها من خلال خمسةِ أشياءَ مجتمعةً عند توفّرها كلّها ، وإلّا مما توفّر منها ، وتلك هي :

١ـ ٱلإصطلاحُ ٱلْمباشرُ ٱلّذى يذكره الرّضيّ عند وضعه ٱلْحدود ، وشرح ٱلألفاظ

٢ـ دلالةُ ٱلْمصطلح من خلال ٱستعمالاتِ الرّضيّ .

٣ـ ٱلْوقوفُ على ٱلْمعيارِ ٱلأساسيّ ٱلّذي يتم في اطاره وضع المصطلح أو تحديد دلالته

٤ـ تطبيقاتُ الرّضيّ ، وٱلأمثلة الّتي يسوقها مرتبطةً بالاصطلاح .

٥ـ ٱلمادة ٱللّغويّة الأخرى (غير الصّوتيّة) الّتي احتواها مؤلفاه .

واعتقد أنّ هذه ٱلأشياء توفّر علينا فرصة ٱلدّخول في مجال ٱلتّعسف وٱلتّكلّف في مفاهيم ٱلاصطلاحات ، وبٱختصارٍ أقولُ : إنّنا يجبُ أنْ ندرسَ ٱستعمالات ٱللّغوي من خلال مادته الّتي يعرضها بين أيدينا ، وأنْ لانحاولَ جلب تصوّرات خارجيّة لمفاهيمه ، على الرّغم من أنّني أعتقد أنّه لابدّ من تقرير حقيقتين بخصوص ٱلمصطلح هما : (٢)

١ـ أنّ ٱلمصطلحات هي تدلّنا على أنّ ٱلْموضوع ٱلْمعين ليس ثمرة جهد واحدٍ من ٱللّغويين ، إنّما هو نتاج سلسلة من ٱلْحلقات وٱلْجهود الّتي أثمرتْ ذلك

---

(١) ٱللسانيّات وعلم ٱلمصطلح العربيّ : ١٧ .

(٢) ظ المصطلح ٱللّغوي عند ٱبن جني : ٢ .

الموضوع الذي وهبه استكمالاً ... وإن كان الأمر لا يتقاطع مع تأكيد الدور الرائد الذي قام به أصحاب هذه الآثار الجليلة في تثبيت ركائز العلم المعين، وتحديد أسسه، واتجاهاته الموضوعية والمنهجية .

ثانيا : إننا لا يمكن أن نتخطى كتب اللغة الأصول ونحن بصدد استقراء المصطلحات اللغوية العربية عبر الزمان ، ورصد تطورها وتبلور مفاهيمها الفنية " .

ولكنني هنا لا أسعى إلى الاستقراء عبر الزمان ، بل إن الاستقراء يشمل مصطلحات هذا الرجل ، مع محاولة الوقوف على الاستعمالات الأولى للمصطلح سواء أكان الاستعمال على وفق الكلام عند الرضي أم لا ، لأنني أعتقد أن ذلك لا يمنع من الاستفادة الاصطلاحية اللفظية، وتوظيفها له دلالة جديدة، أو نحو من هذا .

ولأجل هذا قمت أذكر دائماً في نهاية المصطلح رقماً يشير إلى حاشية أثبت فيها ما وقفت عليه من استعمالات المصطلح السابقة للرضي أو اللاحقة عند عدم وجود الاستعمال السابق ، أو للإيضاح ، والإشارة إلى أثر الرضي فيمن بعده ، وسميت هذه الحاشية " حاشية المصطلح " .

وكان التوجه إلى الوقوف على الاصطلاح عند الخليل وسيبويه وغيرهما من المتقدمين، ثم أتبعهم بذكر متفاوت لبعض ممن أتى بعدهم ، وقد أعانتني في بعض هذا الرجوع بعض الدراسات التي اهتمت لرصد المصطلحات الصوتية أو جزء منها، وهي : العمل المهم الذي قام به الدكتور غانم قدوري في كتابه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)، ورسالة الماجستير (المصطلح الصوتي في الدراسات العربية) لعبد العزيز سعيد الصيغ .

كما إني عملت على الإفادة من مجموعة المصطلحات الصوتية والصرفية التي بينها الدكتور هادي نهر في بحثه الموسوم : ب (المصطلح اللغوي عند ابن جني من خلال الخصائص) مما أطلقها ابن جني أول مرة، وتتبعت في ذلك كله مواقع ورود المصطلح في كتب المتقدمين مع الاستعانة بالفهارس التي وضعها محققو تلك الكتب إن وجدت ، والرجوع إلى مواضع الدراسة التي ارتبط بها المصطلح ، وما لم أقف على استعماله عند المتقدمين، فإني أشير بأني لم أقف على من استعمله في نهاية المصطلح، فقد يكون من إبداع الرضي ، أو قد فاتني الوقوف على مصدره .

ورأيتُ له وافعَ منهجيّةٍ أنْ أقسِّم ٱلْمصطلحاتِ على حقولٍ تَنسجمُ مع ٱتجاهات بحثي ومواضيعه، وهي :

١ـ مصطلحاتٌ مخرجيّةٌ ،
٢ـ مصطلحاتُ الصِّفاتِ الصّوتيّة ،
٣ـ مصطلحاتُ ٱلتّجاورِ وٱلتّركيبِ ،
٤ـ ٱلْمصطلحاتُ ٱلصّوتيّةُ ٱلْعامّةُ .

ولِلدّافعِ السّابق قسّمتُ ٱلصّفاتِ ٱلصّوتيّةَ على قسمَيْن : الأوّل منها لِلصّفات ٱلْفضيلة ، والآخرُ لبقيّة ٱلصّفات ، ويوزَّع كلٌّ منها على صفاتٍ مجموعاتٍ وصفاتٍ مفردةٍ .

وقد أهملتُ ٱلْإشارةَ إلى مصطلحاتِ ٱلْمخارج الصّوتيّة ومصطلحاتِ أعضاءِ ٱلنّطق لتداخلها ٱلشّديد مع كلام ٱبنِ ٱلْحاجب فقد جاء أغلبها في معرض ٱلشّرح وٱلتّعليق ولم يفرّق في ٱستعماله بين ٱلعضو وٱلْمخرج .

مصطلحاتٌ مخرجيّةٌ

آلةُ ٱلحُروفِ : قال ٱلرّضيّ عند كلامه على مراتبِ ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ : " فَلَوْلَا ٱخْتِلَافُ أَوْضَاعِ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ ـ وَأَعْنِي بِآلَتِهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱللِّسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ ، وَهِيَ ٱلْمُسَمَّاةُ بِٱلْمَخَارِجِ ـ لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ " (١) ، والآلةُ عنده هي الّتي يحصلُ بها الشّيء (٢) ، فآلةُ ٱلْحروفِ (كما هو واضحٌ) هي ٱلْمخارج الّتي هي ٱلْمرتبة ٱلْأولى من مراتب ذلك ٱلتّمايز . ويلاحظُ هنا ٱلْإزدواجُ ٱلشّديدُ بينَ النّاحية ٱلْعضويّة في إنتاج ٱلْأصوات ونظامِ ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة ، ويبدو هذا ٱلْمصطلح أقربَ إلى ٱلنّاحيةِ ٱلْمخرجيّة من ٱلنّاحية ٱلعضويّة (٣) .

آلةُ ٱلصّوتِ : قال الرّضيّ : " فَٱلنّونُ وحروفُ ٱلْحلق مُتساويانِ في ٱلْاحتياجِ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٢) ينظر ش ش ١ / ١٨٦ .
(٣) يبدو أنّ أوّل من استعملَ هذا ٱلنّمط من هذه المصطلحات هو ٱلجاحظ (٢٥٥هـ) فعنده : " ٱلصَّوْتُ آلَةُ ٱللَّفْظِ " (البيان ١ / ٧٩) ووجدت ===

إلى فضلِ اعتمادٍ، وإعمالٍ لآلةِ الصَّوتِ"(١)، ويبدو هذا المصطلحُ أكثرَ مساساً بالجانب العضويِّ لإنتاج الأصواتِ. فيمكنُ أنْ يكونَ مرادفاً لِما اصطُلِح عليه عند المحدثينَ بالجهازِ الصّوتيّ، أو الأعضاءِ الصّوتيّة، وغيرِها من الاصطلاحاتِ(٢).

آلةُ الضّمَّة: وهي الشّفة، قال الرّضيّ في الإشمام: "لَمْ يُجوِّزْهُ أحَدٌ مِنَ النُّحاةِ إلاّ في المَرْفُوعِ والمَضْمومِ، لأنَّ آلةَ الضَّمّةِ الشَّفَةُ..."(٣)، ويبدو أنّه يقصدُ بها المخرجَ لا العضوَ(٤).

الأدخَل: يقتصر استعمالُ هذا المصطلح مَعَ مصطلحيْ الأعلى، والأنزل على المخارجِ الحلقيّة، وذلك للشّكل العموديّ الّذي يتّخذُهُ الحلق، فالصّوتُ الأدخلُ هو الأعمقُ مخرجاً نسبةً إلى مخرجِ صوتٍ حلقيٍّ آخرَ؛ قال الرّضيّ: "ولا يُدْغَمُ حَلْقِيٌّ في حَلْقِيٍّ أَدْخَلَ مِنْهُ"(٥) (٦).

الأعلى: وهو مقابلُ الأدخل والأنزل، قال الرّضيّ عن الحاءِ مع العينِ والهاءِ: "أمّا كَوْنُهُ أَخَفَّ، فلأنّهُ أعْلَى مِنْهُما في الحَلْقِ"(٧)، وقال أيضاً: "فَإِنْ اتّفَقَ أُدْغِمَ الأنْزَلُ في الأعْلَى نَحْوُ: اِجْبَهْ حَّاتِماً"(٨). ولم أقفْ على من سبقه

= الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) يستعمل نحوه، فعنده "الحَرَكَةُ آلةُ الإعْرابِ" (المقتصد: ١/ ٩٩) وعند أهل التّجويد (القُرطبيّ ت ٤٦٢هـ) "آلة النّطق" في الموضّح: ١٤٠ و١٧٢، وابن البناء (ت ٤٧١هـ)، ينظر هنا: الدّراسات الصّوتيّة: ٩٤ ـ ٩٥، وبخصوص هذه المصطلحات فالرّضيّ يعدّ مبدعاً.

(١) ش ش ٣/ ٢٧٢.

(٢) ينظر: حاشية مصطلح آلة الحروف.

(٣) ش ش ٢/ ٢٧٦.

(٤) ينظر: حاشية مصطلح آلة الحروف.

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٤، وينظر: ٣/ ٢٦٥.

(٦) من مصطلحات الخليل عن التّهذيب: ١/ ٤١، شرح المفصل: ١٠/ ١٣٦.

(٧) ش ش ٣/ ٢٦٦.

(٨) ش ش ٣/ ٢٧٦، وينظر ٣/ ٢٦٤.

اليــــــه .(١)

ٱلإِعْتِمَــادُ : رُبَّما يكون أفضل موضع لتحديد ٱلْمفهومِ ٱلدَّقيقِ لِهذا ٱلْمصطلح هُـو عند أحوال ٱلنّون ، إِذْ يبدو أنّهُ يعني به ٱلْجهدَ ٱلْمبذولَ عند ٱلنّطقِ بمافيـه ٱلضّغط وٱلْارتكاز بينَ ٱلْأعضاء ٱلصّوتيّة، وذلك لِأنّهُ يقسّمُ ٱلْحُرُوفَ على قسمَيْنِ : "أَحَدُهُمَا يَحْتَاجُ إِلَى ٱعْتِمَادٍ قَوِيٍّ،وَهِيَ حُرُوفُ ٱلْحَلْقِ ، وَٱلْآخَرُ لَايَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ،وَهِيَ حُرُوفُ ٱلْفَمِ وَٱلشَّفَةِ ، فَٱلنُّونُ وَحُرُوفُ ٱلْحَلْقِ مُتَسَاوِيَانِ فِي ٱلْاحْتِيَاجِ إِلَى فَضْلِ ٱعْتِمَــادٍ، وإِعْمَالٍ لِآلَةِ ٱلصَّوْتِ "(٢) ، ويبدو أنّ ٱلْعطفَ ٱلْأخير بينَ فضلِ ٱلاعتماد،وٱلْاعمال لآلةِ ٱلصّوت أكثرُ توضيحاً لمفهومه بهذا ٱلْمصطلح . وهنا تتواردُ مصطلحاتٌ من نحو : قوّة ٱلاعتماد (وهو شدّة هذا الضغط) وأَقلّ اعتماد (أي : أقلّ ضغطاً وجهداً(٢)) وإشباع ٱلْاعتماد (يعني به طول ٱلْمدّة ٱلزّمنيّة للجهد،وذلك لايترتبطُ بوجود قـوّة في ٱلْاعتماد)(٣) ،وعكسه ضَعف ٱلْاعتماد(٤)

ٱلْأَنْـزَلُ : يرادفُ مصطلح ٱلْأدخل ، قال ٱلرّضيّ في ٱلْحروف ٱلْحلقيّـة : "لِأَنَّ أَنْزَلَهَا فِي ٱلْحَلْقِ أَثْقَلُهَا ... "(٥) وقالَ أيضاً : "وَكَانَ حَقُّ ٱلْحَاءِ أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ فِي بَابِ ٱلتَّضْعِيفِ مِنَ ٱلْعَيْنِ وَٱلْخَاءِ ، لِأَنَّهُ أَنْزَلُ مِنْهُمَا فِي ٱلْحَلْقِ ".(٦) ولم أقف على مَن سبقه إليه .

أَوْضَاعُ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ : يعني به ٱلْمراتبَ ٱلْمختلفة لِلتّمايز ٱلصّوتيّ بما تتخذه آلـة ٱلنّطق أو ٱلْمخارج من هيئاتٍ متعدّدةٍ ،قالَ ٱلرّضيّ : "وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ٱخْتِلَافُهَا (يعني : ٱلْأصوات) قَدْ يَحْصُلُ مَعَ ٱتِّحَادِ ٱلْمَخْرَجِ بِسَبَبِ ٱخْتِلَافِ وَضْعِ ٱلْآلَةِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْاعْتِمَادِ،وَسُهُولَتِهِ،وَغَيْرِ ذَلِكَ "(٧)، وقالَ أيضاً : "فَلَوْلَا ٱخْتِلَافُ أَوْضَـاعِ

---

(١) في الكتاب:٤/٩٤٤٩،وشرح المفصل:١٠/١٣٦ (ٱلْأَقْرَبُ إِلَى ٱلْفَمِ)

(٢) ش ش ٣/٢٧٢ .

(٣) على مايستفاد من مصطلح الاشباع وتعريفه للجهر والهمس (ينظر ش ش ٣/٢٥٨ـ ٢٥٩).

(٤) من مصطلحات سيبويه ،ينظر الكتاب:٤/٤٣٤،وينظر:إعجاز القرآن:٤٤ ، المقرب:٢٥٧ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٥ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٥١ .

ٱلَّتِي ٱلْحُرُوفِ ... لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ "(*) ، ويبدو أنّه أوّل من ٱستعمله .

ٱلْحَيِّـــزُ : يصطلح به ٱلرّضيّ على مجموعة ٱلْمخارج ٱلْمتقاربة ، إذْ قالَ : " ... ٱلْأَلِفُ مِنْ حُرُوفِ ٱلْحَلْقِ أَيْضًا ، فَيَكُونُ قَبْلَهَا (يعني : حروف ٱلْحلق) جُزْءًا مِـــنْ حَيِّزِهَا " (١) يقصدُ بذلك ٱلْفتحة،وفي مصطلح ٱلْمرتفعة قوله : " ... لِأَنَّ مَوْضِعَيْ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ بِمَنْزِلَةِ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، لِتَقَارُبِ مَابَيْنَهُمَا،وَٱجْتِمَاعِهِمَا فِي ٱلْارْتِفَاعِ عَنِ ٱلْحَلْقِ ، فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ مِنْ حَيِّزٍ وَاحِدٍ " (٢) ، فَٱلْحيِّز هو ٱلْمصطلح ٱلْجامع لمخارجَ متعدّدة يمكن أنْ يجمع بينهما جامع مكانيّ (٣) .

ٱلْمَخْـــرَجُ : يستعمله ٱلرّضيّ لِلدّلالة على نقطة ٱلتقاء عضويْ ٱلنّطق ، إذْ قَـــال (واصفاً إنتاج صوت ٱللام) : " ... خَرَجَ ٱلصَّوْتُ عِنْدَ ٱلنُّطْقِ بِهِ مِنْ مُسْتَدَقِّ ٱللِّسَانِ فُوَيْقَ مَخْرَجِهِ " (٤) ،وبحسب كلامه ليس ٱلْمخرج بٱلضّرورة هو ممر هواء ٱلتّصويـــت .

وقال أيضاً : " إِنَّ لِلنُّونِ مَخْرَجَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي ٱلْفَمِ،وَٱلْآخَرُ فِـــــــــي ٱلْخَيْشُومِ " (٥) ،ومعلوم عنده إنّ موضع اللسان متّصل بلفويق ٱلثّنايا (ٱللِّثة) ٱتّصالاً مباشراً ، فَالمخرج إذن هو نقطة ٱلْاتّصال ،وبدا لي في قوله : " فِي ٱلْخَيْشُــــومِ " ٱلسّابق مشيراً إلى هذه ٱلنّقطة مع دليل أنّه لم يقلْ : ... والاخر الخيشوم. (٦)

ٱلْمُدْرَجَـــةُ : جمعها (ٱلْمدارج)،قال ٱلرّضيّ (عن ٱلْخليل) : " ٱلْأَلِفُ ٱللَّيِّنَةُ وَٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ وَٱلْهَمْزَةُ هَوَائِيَّةٌ ، أَيْ أَنَّهَا مِنْ هَوَاءِ ٱلْفَمِ لَاتَقَعُ عَلَى مُدْرَجَةٍ مِـــــنْ مَدَارِجِ ٱلْحَلْقِ،وَلَامَدَارِجِ ٱللِّسَانِ " (٧) ، يبدو أنّه يشير إلى مناطق ٱلْاحتكـــاك بين ٱلْأعضاء ٱلنّطقيّة (٨) .

(*) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(١) ش ش ١ / ١١٩ .

(٢) ش ش ١ / ١٢٢ .

(٣) في العين: ١ / ٥٧ ،وبحسب (التّفكير الصّوتيّ عند الخليل):٣٦: " ٱلْفَـــرَاغُ ٱلَّذِي يَشْغَلُهُ عَدَدٌ مِنَ ٱلْأَصْوَاتِ فِي ٱلْحَلْقِ أَوِ ٱلْفَمِ "،والكتاب: ٤ / ٤٦٤ و ٤٦٥

(٤) ش ش ٣ / ٢٦١ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٧١ .

(٦) في العين: ١ / ٥٢ ، الكتاب: ٤ / ٤٣١ ، سر الصناعة: ١ / ٥٢ ، الهمع: ٢ / ٢٢٨ .

(٧) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٨) في العين: ١ / ٥٧ ، التّهذيب: ١ / ٤٤ ، قال في (التّفكير الصّوتيّ عند الخليـــل) ٣٦: " مدرجـــة الصـــوت : ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ ٱلصّوت مِن لَدُن ٱلْاعتراض ، ٱلْمخرج " .

ٱلْمُرْتَفِعَة : مصطلح ٱلْحروف ٱلَّتي ٱرتفعتْ عن ٱلْحلق يقابلُ المستفلة؛
قال ٱلرّضيّ : " ... لِأَنَّ مَوْضِعَيْ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ بِمَنْزِلَةِ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ؛ لِتَقَارُبِ مَابَيْنَهُمَا، وَٱجْتِمَاعِهِمَا فِي ٱلْاَرْتِفَاعِ عَنِ ٱلْحَلْقِ ، فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ مِنْ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، بِخِلَافِ ٱلْمُسْتَفِلَةِ - أيْ ٱلْحَلْقِيَةِ - " (٢) ، يعني به مخارج حروف ٱلْفمِ والشّفة (*)

ٱلْمُسْتَفِلَةُ : مصطلح ٱلْحروف التّي سَفَلَتْ مكاناً في آلة الصّوت ، يقابل ٱلْمرتفعة وهي - ٱلحلقيّة ، والنص أعلاه في ٱلْمرتفعة : " ... فَكَأَنَّ ٱلْحُروفَ ٱلْمرتفعة من حيِّزٍ وَاحِدٍ ، بِخِلَافِ ٱلْمُسْتَفِلَةِ - أيْ ٱلْحَلْقِيَةِ " (١) ، ولم أقف على سابق له في استعمال هذا المصطلح .

ٱلْمَوْضِعُ ، جمعها (ٱلْمواضع) : يرادف به ٱلرّضيّ مصطلحَ ٱلْمخرج على ما يبدو لي من كلامه في ٱلْأصوات ما بين ٱلشّديدة وَٱلرّخوة ، إذ قال : " يَنْحَصِرُ ٱلصَّوْتُ فِي مَوَاضِعِهَا ؛ لَكِنْ تَعْرِضُ لَهَا أَعْرَاضٌ تُوجِبُ خُرُوجَ ٱلصَّوْتِ مِنْ غَيْرِ مَوَاضِعِهَا " (٢) ، ومن هذه ٱلْحروف ٱللّام والنّون (ينظر مصطلح ٱلْمخرج) (٣) .

مصطلحاتُ ٱلصّفات ٱلصّوتيّة :

١- ٱلصّفاتُ ٱلصّوتيّةُ ٱلْفَضِيلة :

فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ : هي أنْ يتّصفَ أحدُ ٱلْأصواتِ أو مجموعةٌ من ٱلْأصواتِ بإحدى ٱلصّفات تمنعُهُ من أنْ يُدغمَ في صوتٍ آخرَ لا يمتلكُ تلْكَ الصّفةَ إبقاءً عليها (٤) ، وقد مُثِّلَت في حروف (ضَوِيَ مِشْفَرٍ) ما عدا صفة الصّفير وٱلْإطباق ، وهذا يُؤكّد نضجَ فكرة تميّز هذه ٱلصّفات (ٱلْفضيلة) عند الرّضيّ ٱلّتي وُجِدَتْ بُذورُها وتصوّراتُها عند ٱلسّابقين ، فوضعوا لها ما سبقَ من جمع حروفها ، فجاء الرّضيّ وأدخل فيها

(١) ش ش ١/١٢٢ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

(٣) في العين : ١/ ٥٨ ، الكتاب : ٤/ ٤٣٤ ، الرعاية : ١١٠ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٧٠ .
(*) في الكتاب : ٤/ ١٠١ : " والحروف المرتفعة حيز واحد " .

ٱلصّفتين ،وٱصطلح عليها بهذا ٱلإصطلاح الّذي لم يقعْ نظري على استخدام سابق له ، قال ٱلرّضيّ في إدغام حروف ٱلإطباق : " فالافصح إبقاءُ ٱلإطْبَاقِ لِئَلّا تَذْهَبُ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ " (١)

آ ـ صفاتُ ٱلْمَجْمُوعَاتِ :

ٱلإسْتِطَالَةُ : فضيلةُ ٱلضّاد وٱلشّين ،قالَ الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلضَّادِ ٱلإسْتِطَالَةُ " (٢) ، وقالَ فيهما : " أسْتَطَالَتَا حَتَّى قربتامن حروف طرف ٱللّسان " (٣) ، وهي تعبّر عن هيئتهما ٱلْمخرجيّة، فٱلضّاد " لِأنَّهُ مِنْ أقْصَى ٱلْحَافَّةِ إلَى أَدْنَى ٱلحَافَّةِ : أي أوّلِ مَخْرَجِ ٱللَّامِ ، فَأسْتَغْرَقَ أكْثَرَ ٱلْحَافَّةِ (يعني : حافة اللسان) " (٤) ، ولهذا يُقال لِلضّاد : طويلٌ (٤) ، وقال الرّضيّ : " ... وَكَذَا ٱلشِّينُ حَتَّى ٱتَّصَلَتْ بِمَخْرَجِ ٱلطَّاءِ " (٥) ، والرّضيّ يهمل ٱلإشارة إلى كون هذه ٱلصّفة فضيلة لِلشّين مستعيضاً عنها بفضيلة ٱلتّفشي وٱلرّخاوة (٦) .

ٱلإطْبَاقُ : قالَ الرّضيّ : " وَفِي ٱلطَّاءِ وَٱلظَّاءِ وَٱلصَّادِ وَٱلضَّادِ وَٱلسِّينِ وَٱلزّاي لَا يَجُوزُ قَلْبُ ٱلْأَوَّلِ إلَى ٱلثَّانِي ، لِئَلّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ ٱلإطْبَاقِ وَٱلصَّفِيرِ " (٧) ، وفي آليتها قال : " لِأنَّكَ تَرْفَعُ ٱللِّسَانَ إلَيْهِ (يعني : ٱلحنك) ، فَيَصِيرُ ٱلْحَنَكُ كَٱلطَّبَقِ عَلَى ٱللِّسَانِ " (٨) ، وقد ٱعتقد ٱبنُ ٱلحاجب أنّها

---

(١) ش ش ٣/٢٨١ (٢) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٨٢ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٥٣ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٧٩ .

(٦) في الكتاب : ٤/ ٤٧٠ ، ٤٦٦ ، ٤٣٢ ، ٤٥٧ ، المقتضب : ١/ ٢١١ ، الرّعاية : ١٣٤ ، (يقتصر بها على ٱلضّاد)

(٧) ش ش ٣/ ٢٨٦ .

(٨) ش ش ٣/ ٢٦٢ .

من جملة مخرج هذه الأصوات؛ إذ قال : " الْمُطْبَقَةُ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَخْرَجِهِ الْحَنَكُ " (١) فردّ عليه الرّضيّ بعدم اطراد ذلك ؛ " لِأَنَّ مَخْرَجَ الضَّادِ حَافَّةُ اللِّسَانِ، وَحَافَّةُ اللِّسَانِ تَنْطَبِقُ عَلَى الأَضْرَاسِ ... وَبَاقِي اللِّسَانِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْحَنَكُ " (٢) ، فهو عند الرّضيّ تهيئة أخرى زيادة على التّهيئة تلحق هذه الأصوات (٣) .

الصَّفِيرُ : وهي فضيلةُ أصوات (س / ص / ز) ، ويبدو أنّ وضوح هذه الصّفة كان وراء إهمال الرّضيّ لها في كلامه على الصّفات . قال الرّضيّ في هذه الأصوات : " لَمْ تُدْغَمْ حُرُوفُ الصَّفِيرِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ صَفِيرٌ إِلَّا فِي بَابِ افْتَعَلَ كَاسَّمَّعَ وَازَّانَ " (٤) ، مع أنّ قياس الإدغام عكس هذا ؛ وذلك لئلّا تذهب فضيلة الصّفير (٥) (٦) .

الغُنَّةُ : فضيلة (م / ن) ، قال الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ الْمِيمِ الْغُنَّةُ " (٧) ، وفي جواز إدغام النّون في اللام والرّاء : " فَاغْتُفِرَ ذَهَابُ الْغُنَّةِ مَعَ كَوْنِهَا فَضِيلَةً لِلنُّونِ ؛ لِلْقُرْبِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصِّفَةِ " (٨) ، وسبب الغنّة " أَنَّ الصَّوْتَ لَا يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعَيْهِمَا مِنَ الْفَمِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمَا مَخْرَجَانِ فِي الْفَمِ وَفِي الْخَيْشُومِ جَرَى بِهِ الصَّوْتُ مِنْ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٨ ، وقد ورد كلام ابن الحاجب خطأ في (ش ش ٣ / ٢٦٢) إذ جاء على الشّكل الآتي : " الْمُطْبَقَةُ مَا يَنْطَبِقُ مَعَهُ الْحَنَكُ عَلَى اللِّسَانِ " ، وينظر (الشّافية : ٢٥٢)

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٨ .

(٣) استعمله الخليل للميم ، العين : ١ / ٥٨ ، والتّهذيب : ١ / ٤٩ ، والكتاب ٤ / ٤٣٦ (لهذه الاصوات) ، المقتضب : ١ / ١٩٤ ، وكتاب الحروف : ١٣٤ ، ١٤٠ ، واعجاز القرآن : ٤٥ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٧٠ . (٥) ش ش ٣ / ٢٨٦ .

(٦) في الكتاب : ٤ / ٤٦٤ ، المقتضب : ١ / ١٩٣ ، ٢٢٥ ، الرعاية : ١٢٤ .
كشف الشكل : ٢ / ٢٨٣ ، يقول د . غانم قدوري : " ولم يذكر سيبويه هذه الصّفة " الدّراسات الصّوتيّة : ٣١٤ . (يبدو أنّه لم يقف عليها) .

(٧) ش ش ٣ / ٢٧٠ .

(٨) ش ش ٣ / ٢٧٣ .

مِنَ ٱلْأَنْفِ دُونَ ٱلْفَمِ ، لِأَنَّكَ لَوْ أَمْسَكْتَ أَنْفَكَ لَمْ يَجْرِ ٱلصَّوْتُ بِهِمَا " (١) ، وقد يقتصر نطقُ ٱلنّون على ٱلْخيشوم فقطْ ، فتسمّى عندئذٍ : ٱلنّون ٱلْخفيّة (٢) (٣) .

ٱللِّيـنُ : قال الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ٱللِّينُ " (٤) ، وجاز إدغامهما مجتمعتين " لِأَنَّ فَضِيلَةَ ٱللِّينِ ٱلَّتِي فِي أَحَدِهِمَا لَا تَذْهَبُ بِإِدْغَامِهِ فِي ٱلْآخَرِ ، إِذْ ٱلْمُدْغَمُ فِيهِ مُتَّصِفٌ بِٱللِّينِ " (٥) ، وهذه ٱلصّفة تنتج بمرور ٱلْهواء عند نطقها حرّاً مع بعض ٱلْإعاقة ٱلَّتي تميّزُ الواو والياء عند قلّة المدّ عن الواو والياء المدّيّة ، ولكنَّ ٱلرّضيّ يطلقُ ٱللِّينَ على ٱلْأصوات ٱلْمدّيّة أيضاً ، وذلك في مواضع أبرزها في ٱلتقاء ٱلسّاكنين ، ومع هذا ٱلْاختلاط فإنّه على وعيٍ تامٍّ لِلطّبيعة ٱلصّوتيّة لكلا ٱلْقسمين ، وهو عندما يعني المدّيّة يذكرُ أنَّ حركةَ ماقبلها من جنسها ، وعندما يعني شبه ٱلْمدّيّة (قلّة ٱلْمدّ) يذكر أنَّ حركةَ ماقبلها من غير جنسها ، وكلّ هذا مع الواو والياء أمّا مع ٱلْألِفِ فلاحاجة لِأنّه مدٌّ فقطْ ، ويجب أنْ تسبقه ٱلْفتحة دائماً ، بحسب اعتقاده (٦) (٧) .

ب ـ ٱلصّفاتُ ٱلْمفردَةُ :

ٱلتَّأفيفُ : قالَ الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلْفَاءِ ٱلتَّأْفِيفُ ، وَهُوَ صَوْتٌ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْفَمِ مَعَ ٱلنُّطْقِ بِٱلْفَاءِ " (٨) ، ويبدو أنّه ذلكَ ٱلْانطباعُ ٱلسّمعيّ ٱلنّاتج مِن ٱستمرار خروج ٱلْهواء ، لِأنّ الفاءَ رخوةٌ (ٱحتكاكيّة) (٩) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦١ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ و ٢٧٢ .

(٣) في الكتاب : ٤ / ٤٣٥ ، الجمهرة : ١ / ٤٥ ، المقرب : ٣٦٩ ، الكشف : ١ / ١٦٤ لطائف الاشارات : ١ / ١٩٥ ، وقد وصف الحيدرة اليمنيّ بها صوتيْ (الواو والياء) كشف المشكل : ٢ / ٢٨٣ .

(٤) (٥) ش ش ٣ / ٢٧٠ وينظر : ٢٧١ .

(٧) في العين ١ / ٥٧ والتهذيب ١ / ٤٨ والكتاب : ٤ / ٤٣٥ ، التبصرة : ٢٥٧ ، كتاب الحروف : ١٤٠ ، التعريفات : ٥٢ .

(٦) ينظر : ش ش ١ / ١٢٣ .

(٨) ش ش ٣ / ٢٧٠ .

(٩) لم يذكره سيبويه ، ويبدو أنّه قد ٱقتبسه عن أهل ٱلتّجويد ، ينظر : الدّراسات الصّوتيّة : ٣١٩ .

ٱلتَّفَشِّي وَٱلرَّخَاوَةُ : وهي عنده هكذا مركّبة ، فضيلةٌ لِلشّين،حيثُ قالَ : "وَفَضِيلَةُ ٱلشِّينِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلرَّخَاوَةُ " (١) ، ويبدو أنّها تعبّر عن ذلك ٱلصّوت ٱلْمميّز عند ٱلنّطق بٱلشّين ٱلنّاتج عن ٱنتشار ٱلصّوت في ٱلْمنطقة مابعد ٱلْمخرج (٢) ، إذ لم يقدّم لنا ٱلرّضيّ إيضاحاً لهذهِ ٱلْفضيلة عنده ما أشار إلى ٱتّصاف أكثر رخوة بها حين قالَ (في إدغام أبي عمرو ٱلشّين في ٱلسّين) : "لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ " (٣) ، ولكنّني أميل إلى أنّه قد أشار بها إلى صفة ٱلرّخاوة ، وبٱلصّوت إلى صوت ٱلصّفير خاصة ، أو عموم ٱستمرار ٱلتّصويت ٱلّذي تتميّز بها الرّخوة ، ولم يستعملها مَن سبقه مركّبة بل ٱكتفوا بالتفشي (٤) .

أَلتَّكْرِيرُ : قالَ الرّضيّ : "وَفَضِيلَةُ ٱلرَّاءِ ٱلتَّكْرِيرُ " (١) ويبدو أنّ هذه ٱلْفضيلة تنتج عن تكرار ٱلْوضع ٱلْمخرجيّ عند ٱلنّطق ٱلّذي أدركه الرّضيّ ، فقال : " وَسُمِّيَ ٱلرَّاءُ مُكَرَّراً ، لِأَنَّ طَرَفَ ٱللِّسَانِ إذَا تُكُلِّمَ بِهِ كَأَنَّهُ يَتَعَثَّرُ : أَيْ يَقُومُ فَيَعْثُرُ ، لِلتَّكْرِيرِ ٱلَّذِي فِيهِ " (٥) ، وفي موضوع ٱلإمالة يجعلُ حركةَ ٱلرّاء كحركتين فمعه تُمال الكسرة ، على ٱلرّغم من وجود مانع ٱلإمالة (ٱلْحرف ٱلْمستعلي) (٦) وٱعتقاده بكونها حركتين يفيد أنّ تكرر ٱلْوضع ٱلْمخرجيّ يحدث مرتين ، ولهذا " فَإِذَا تَكَرَّرَ جَرَى ٱلصَّوْتُ مَعَهُ أَثْنَاءَ ٱلتَّكَرُّرِ " (٧) (٨) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٢) عرف د . عبد ٱلصّبور شاهين ٱلتّفشي بـ " أنّ يشغل أثناء ٱلنّطق بٱلصّوت مساحة أكبر مابين ٱلْغار وٱللّثة ، ولولا ٱلتّفشي لصارت ٱلشّين سيناً " عن علم ٱلأصوات : لمالمبرج ؛ ١١٠ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٨ .

(٤) في الكتاب : ٤/ ٤٤٨ ، المقتضب : ١/ ٢١١ وهي الاستطالة والرعاية : ١٢٤ ، ١٧٥ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٠ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٨) الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، سر الصناعة : ١/ ٧٢ ، ارتشاف ٱلضّرب : ١/ ١١ ، النشر : ١/ ٢٠٤ .

٢ـ الصّفات الصّوتيّة غير الفضيلة :

آـ صفات المجموعات :

الاستعلاء : يجمع حروف (قِظ خُصَّ ضَغْطٍ) ، ويقابل هذا المصطلح المنخفضـــــة ، قال الرّضيّ : "أقولُ : يعني حُروفَ الاستعلاءِ، وهي ما يَرتفعُ بها اللِّسانُ" (١) وقال أيضـــاً : " ما يَرتفعُ بسببها اللِّسانُ ، وهي المُطبقةُ والخاءُ والغَيْنُ والقافُ ؛ لِأنّه يَرتفعُ اللّسانُ بهذهِ الثّلاثةِ أيضاً ، لكنْ لا إلى حَدِّ انطباقِ الحَنَكِ عليها" (٢) ، حيث يبدو الرّضيّ على وعـــي بمرتبتين من رفع اللّسان : الأولى في الإطباق ، والثّانية دونه ، ورفع اللسان في الثّانيـــة يعدّ من صميم هيئتها المخرجيّة ؛ أمّا في المطبقة ، فمع نقطة المخرج هناك منطقة احتكاك مع ظهر اللّسان ، وعلى هذا فبالإمكان أن توصف المستعلية بأحاديّة المخرج ، أمّا المطبقة فتوصف بمزدوجة المخرج (٣) (٤) .

الإطلاق : قال الرّضيّ (في الوقف بالتّضعيف) : " لكنّهم جوّزوا في القوافي خاصّةً بعدَ الحَرْفِ السّاكنِ أنْ يُحرّكَ المُضعّفُ لقصدِ الإتيانِ بحَرْفِ الإطلاقِ ، لِأنّ الشِّعرَ مَوضِعُ التّرنّمِ والغِناءِ وتَرجيعِ الصّوتِ ، ولاسيّما في أواخرِ الأبياتِ ؛ وحُروفُ الإطلاقِ : أي الألِفُ والواوُ ، والياءُ هيَ المتعيّنةُ بين الحروفِ للتّرديدِ ، والتّرجيعِ الصّالحةُ لها ، فمن ثمّ تلحـــقُ في الشِّعرِ لِقصدِ الإطلاقِ كلِماتٍ لا تَلحقُها في غيرِ الشِّعرِ" (٥) وقال أيضاً : " فلمّا جاز لهم فـــي الشّعر أنْ يحرّكوا لأجل المجيء بحَرْفِ الإطلاقِ ... " (٦) ، ويلحظ ههنا أنّ الرّضيّ قـــد ربط استعمال المصطلح بمواضع الشّعر فقط ، ودلالة المصطلح واضحة إذ هي تشير إلى ما تتمتّـع به هذه الأصوات من إمكانية الامتداد الصّوتيّ عند التّصويت . (٧)

الانحراف : صفة اللام والضّاد ، قال الرّضيّ : " وإنّما سُمّيَ اللّامُ مُنحرِفاً ؛ لِأنّ اللِّســـانَ يَنحرِفُ عِندَ النّطقِ بِهِ " (٨) ، وقال في هيئته : ... بل انحرفَ طرفُ اللِّسانِ عِندَ النّطقِ بِهِ خَرَجَ الصّوتُ عِندَ النّطقِ بِهِ مِن مُستدَقِّ اللِّسانِ فُويقَ مَخرجِهِ" (٩) ، فالرّضيّ يُسند الانحراف إلى اللسان ، الّذي ينبغي أنْ يُسندَ إلى النّفسِ أو الصّوتِ ، وإنْ كان هذا لم يمنعه مـــن إدراك حقيقة الأمر الّذي يعززه بقوله : " وليسَ يَخرُجُ الصّوتُ مِن ذلكَ المَخرجِ بلْ يَتجافَـــى ناحيتها (خطأ : ناحيتيْ) مُستدَقِّ اللِّسانِ ، ولا تَعترضانِ الصّوتَ ، بلْ تُخلّيانِ طَريقَهُ ، ويَخرجُ الصّوتُ مِن تَينِكَ النّاحيتيْنِ " (١٠) ، أمّا الضّاد ، فقد قال الرّضيّ : " ومِثلُهُ الطّجعَ بإبدالِ اللّامِ مكانَ الضّادِ لِمُشابهتِها لها بالانحرافِ" (١١) (١٢) .

---

(١) ش ش ٣ / ١٤ . (٢) ش ش ٣ / ٢٦٢ .
(٣) ينظر : الحقائق التاريخية وأثرها في النظم اللغوية الوصفية : ١٢٠ .
(٤) في التهذيب : ١ / ٥١ (عن الخليل) ، الكتاب : ٤ / ١٢٨ ـ ١٢٩ ، كشف المشكل : ٢ / ٢٨٣ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، المقرب : ٣٥٩ .
(٥) ش ش ٢ / ٣١٦ . (٦) ش ش ٢ / ٣١٧ ، وينظر أيضاً للمصطلح : ٢ / ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ .
(٧) في : منازل الحروف : ٢٨ ، شرح الحدود : ١٣٩ .
(٨) ش ش ٣ / ٢٦٣ (٩) ش ش ٣ / ٢٦١ . (١٠) ش ش ٣ / ٢٦٠ (١١) ش ش ٣ / ٢٩٤
(١٢) في : العين : ١ / ٥٢ ، الكتاب : ٤ / ٤٣٥ ، المقتضب : ١ / ٢١٣ ، الرعاية : ١٣١ ، التحديد : ٩٢ الموضح : ٩٢ .

ٱلتَّفْخِيـــمُ : وصف به لام ٱلتَّفخيم وألف ٱلتَّفخيم عند أهل ٱلحجاز،وهما من ٱلْمتفرعات ٱلْمستحسنة،ويبدو لي أنّ لها قيمتين:الاولى مع ٱللّام حيث تقترب من قيمة ٱلإطبـــاق؛ إذ قال ٱلرّضيّ : " وَيَعْنِي بِهَا ٱللَّامَ ٱلَّتِي تَلِي ٱلصَّادَ أَوِ ٱلضَّادَ أَوِ ٱلطَّاءَ ، إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفُ مَفْتُوحَةً أَوْ سَاكِنَةً ،كَٱلصَّلوٰةِ وَيَصْلُونَ ،فإنّ بعضهم يفخّمهـــا وكَذَا لام (ٱللّٰهِ)،إِذَا كَانَ قَبْلَهَا ضَمَّةٌ أَوْ فَتْحَةٌ " (١) ، والثّانية : قيمة صائتيّة،وهي في ألف التّفخيم التّي يقول عنها ٱلرّضيّ : " وَهِيَ ٱلْأَلِفُ ٱلَّتِي يُنْحَى بِهَا نَحْـــوَ ٱلْوَاوِ كَالصَّلوٰةِ وَٱلزَّكوٰةِ وَٱلْحَيوٰةِ ، وَهِيَ لُغَةُ ٱلْحِجَازِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ كَتْبَهُمْ لِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ بِٱلْوَاوِ عَلَى هٰذِهِ ٱللُّغَةِ " (٢) ،فٱلألف هنا يُنطَق بٱرتفاع مؤخرة ٱللِّسان قليـــلاً مع تدوير ٱلشّفاه ؛ فيدخل على ٱلقيمة ٱلأولى ٱلّتي سببها ٱرتفاع اللسان تدويـــرُ ٱلشّفتين،وٱلرّضيّ لم يتعدَّ في ذكره لِلتَّفخيم غير هذين ٱلْمتفرعين (٣) .

تُرقَّـــقُ : مقابل ٱلتَّفخيم،قال ٱلرّضيّ : " ... وَأَيْضاً فِيما فَعَلُوا حُصُـــولَ ٱلتَّفْخيمِ فِي لامِ ٱللّٰهِ إِذْ هِيَ تُفَخَّمُ بَعْدَ ٱلْفَتْحِ وَٱلضَّمِّ،وَتُرَقَّقُ بَعْدَ ٱلْكَسْرِ (٤) "،ويبـــدو أنّها مقابلة ٱلتّفخيم ٱلسّلبيّة،وهي أيضاً تعبير عَنِ ٱلْحالة ٱلاعتياديّة لنطق ٱلـــلام . ولَم يتجاوز ٱلرّضيّ هذا ٱلْموضع في ذكره لهذا ٱلْمصطلح (٥) .

ٱلْجَهْرُ (وَٱلْهَمْسُ) : قال ٱلرّضيّ : " وَٱلْجَهْرُ : رَفْعُ ٱلصَّوْتِ ، وَٱلْهَمْسُ : إِخْفَاؤُهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَجْهُوراً،لِأَنَّكَ تُشْبِعُ ٱلاعْتِمَادَ فِي مَوْضِعِهِ ، فَمِنْ إِشْبَاعِ ٱلاعْتِمَادِ يَحْصُـــلُ ٱرْتِفَاعُ ٱلصَّوْتِ،وَمِنْ ضَعْفِ ٱلاعْتِمَادِ يَحْصُلُ ٱلْهَمْسُ وَٱلْإِخْفَاءُ " (٦) ،وقال أيضاً : " وَٱلْجَهْرُ : رَفْعُ ٱلصَّوْتِ بِٱلْحَرْفِ : سَوَاءٌ جَرَى ٱلصَّوْتُ ، أَوْ لَمْ يَجْرِ ،وَعَلَامَتُهُ عَـــدَمُ جَرْيِ ٱلنَّفَسِ " (٧) ؛ فالرّضيّ يستفيد من ٱلدّلالة ٱللّغوية في إطلاق ٱلدّلالـــة ٱلاصطلاحيّة لِلْجهر وٱلْهمس،وقد ٱستعمل ٱلدّلالة ٱللّغوية لِلْمصطلحين حيث قـــال

---

(١) ش ش ٣/ ٢٢٥ ،وينظر ش ش ٢/ ٢٣٦ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٣) في:الكتاب : ٤/ ٤٣٢ ، المقتضب:١/ ١٩٤ (التَّفَخُّمُ) ، سرالصناعـــة: ١/ ٥١ ،مفتاح العلوم : ١٧٤ .

(٤) ش ش ٢/ ٢٣٦ (جاء ذكره لها ٱستطراداً ليس غير)

(٥) عند أهل القراءات والتّجويد ، التّبصرة :٤٤ ، الموضح : ١٠٦ ، ١١٠ ، منهاج التوفيق : ٣٣٩ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٥٨ . (٧) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

عند ٱلابتداء بٱلسّاكن : " أنّكَ تتوصّلُ إلى ٱلنُّطقِ بذلكَ ٱلسّاكنِ بهمزةٍ مكسورةٍ في غايةِ ٱلخفاءِ حتّى كأنّها مِنْ جُملةِ حديثِ ٱلنّفسِ ، فلا يُدرِكُها ٱلسّامعُ ، ثمّ تجهرُ بٱلحرفِ ٱلسّاكنِ في أوّلِ ٱلكلمةِ "(١) . وقال في ٱلهمس عند تعليله لإبدال ٱلتّاء من ٱلواو : " لكونِ ٱلتّاءِ مِنْ أُصولِ ٱلثّنايا ، وٱلواوُ مِنَ ٱلشّفتينِ ، ويجمعُهما ٱلهمسُ "(٢) لما فيهما من ٱللين ، لأنّه يقرر أنّهما مجهورة في غير مرّة ، فيذكر ٱلهمس مستفيداً من دلالته ٱللغويّة . وٱلرّضيّ يبيّن أنّ إشباع ٱلاعتماد هو سببُ ٱلجهر (رفع ٱلصّوت) ، وعدمه يعني حصولَ ٱلهمس (ضعف ٱلصّوت وٱلإخفاء) ؛ فإشباع ٱلاعتماد يمنعُ ٱلنّفسَ من ٱلجريان إلى أنّ يتمّ ٱلنطقُ ثمّ يجري ٱلنّفسُ لزواله . وقد توصّلتُ إلى أنّ إشباع ٱلاعتماد عند ٱلرّضيّ يعني : طول ٱلفترة ٱلزّمنيّة للضّغط من قبل ٱلعضو ٱلمتحرك دون أنْ يعني ذلك غلق ٱلمجرى ٱلهوائي بالتقاء العضوين ، وهي حال ٱلمجهورة ، ضدّها ٱلمهموسة) . وينقلُ ٱلرّضيّ محاولةً أُخرى لفهم سبب ٱلجهر والهمس حيث قال : " قيلَ : وٱلمجهورةُ تخرجُ أصواتُها مِنَ ٱلصّدرِ ، وٱلمهموسةُ تخرجُ أصواتُها مِنْ مخارجِها في ٱلفمِ ، وذلكَ ممّا يُرخّي ٱلصّوتَ ، فيخرجُ ٱلصّوتُ مِنَ ٱلفمِ ضعيفاً ، ثمّ إنْ أردتَ ٱلجهرَ بها وإسماعَها أتبعتَ صوتَها بصوتٍ مِنَ ٱلصّدرِ ليُفهمَ "(٣) ، فكأنّ من قال هذا (وهو على ما يبدو سيبويه بحسب رواية ٱلسّيرافيّ(٤)) يدرك أنّ هناك منطقتين لإنتاج ٱلأصوات : ٱلأولى في ٱلصّدر ، وٱلثّانية في ٱلمخارج ٱلمعروفة ، ويقتصر في ٱلمهموسة على ٱلصّوت ٱلنّاتج من ٱلمخارج ، أمّا مع ٱلمجهورة ، فيتّبعُ هذا الصّوت صوتٌ آخرُ ناتج من ٱلصّدر ، وبهذا فإنّ صوت ٱلصّدر أساسٌ في إنتاج ٱلجهر ؛ وهذا التّصوّر غيرُ بعيد عن إدراك ٱلآليّة ٱلجهريّة ٱلخاصة بتذبذب ٱلأحبال ٱلصّوتيّة ، لأنّ ٱلصّدر عندهم تعبيرٌ عمّا تحت الحلق ، ولا يبعدُ إدراكه لصوت ٱلذّبذبة .

---

(١) ش ش ٢ / ٢١١ .

(٢) ش ش ٣ / ٨٠ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٨ ــ ٢٥٩ .

(٤) ينظر : ٱلعربيّة ٱلفصحى : ١٩٨ ، مذكرة رقم ٣ (نصّ ينقله هنري فليش عن مخطوطة شرح الكتاب للسّيرافي) .

كذلك تشير ٱلْقولة ٱلسّابقة إلى إيجابيّة ٱلْجَهر، وَ هو فضلة على ٱلْهمس تُـزاد، فيُدرَكُ لزيادتها صوتٌ آخرُ هو ٱلْمجهور . وتلك ملاحظة وقف عندها ٱلرّضيّ في مستهلّ كلامه على ٱلْمجهور وٱلْمهموس؛ قال: " أقُولُ: إنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلْحُرُوفُ ٱلْمَذْكُورَةُ مَجْهُورَةً، لِأَنَّهُ لَابُدَّ فِي بَيانِها وَإِخْرَاجِهَا مِنْ جَهْرِهَا، وَلَايَتَهَيَّأُ ٱلنُّطقُ بِهَا إلاَّ كَذٰلِكَ، كَٱلْقَافِ وَٱلْعَيْنِ بِخِلافِ ٱلْمَهْمُوسِ، فَإِنَّهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ أَنْ تَنْطِقَ بِهِ وَيُسْمَعُ مِنْكَ خَفِيًّا كَمَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَجْهَرَ بِهِ "(١)، فهو يَفهم أنّ ٱلْمهموس يمكن أن يُجْهَر به بخلاف المجهور، فلا يُهْمَسُ، لأنّه بذلك يفقد تمايزه عن مقابله، ويبدو أنّ هذا يعزّز مافهمناه من أصطلاحه بٱلْجهر على رفع ٱلصّوت، وبالهمس على خفض ٱلصّوت (٢)، (ولي وقفة مع هاتين الصّفتين في الفصل القادم، إنْ شاء اللّه).

الخفـــاء : يصفُ ٱلرّضيّ بهذه ٱلصّفة أصوات ٱلْمدّ وٱلْهمزة وٱلْهاء وٱلنُّون، وتكون أيضاً صفةً عارضةً في جميع ٱلأصوات عند الوقف، لأنّه موضع ٱلْإستراحة (٣)، قال: " وَبِٱلْوَقْفِ يَصِيرُ ٱلْحَرْفُ ٱلْمَوْقُوفُ عَلَيْهِ أَخْفَىٰ مِمَّاكَانَ فِي ٱلْوَصْلِ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْحَرْفَ، أَوِ ٱلْحَرَكَةَ تُبَيِّنُ جَرْسَهُ " (٤)، ويبدو أنّ ٱلْمعنى ٱلْمتبادر إلى ٱلذّهن من هذا ٱلْمصطلح يعني مايُطْلَق عليه ٱلْمحدثون بدرجة إسماع واطئة، وفي كلامه مايؤكّد هذا ٱلْمعنى، وذلك حين وصف همزة ٱلْوصل قائلاً: "...بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ فِي غَايَةِ ٱلْخَفَاءِ، حَتّىٰ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ، فَلَا يُدْرِكُهَا ٱلسَّمْعُ " وهو المعنى الجامع، غيرأنّ هنالك أعتبارات أُخرى وقفتُ عليها تجعلني أقدمها على هذا النّحو:

١ـ ماكان ٱلْخفاء فيه صفةً ذاتيّةً محضةً، وذلك مع ٱلْهاء وٱلْهمزة، قال الرّضيّ: " لِأَنَّ ٱلْهَاءَ خَفِيَّةٌ " (٥) وقد كثُرتْ إشارته إلى ذلك (٦)، وهي صفة تعبّر عن ذلك ٱلصّامت ٱلضّعيف ٱلّذي أشبهُ مايكون بصوت ٱلنّفس ٱلْخارج من ٱلْفم . امّا ٱلْهمزة فهي صوت ٱنفجاريّ (شديد، بحسب أصطلاح ٱلرّضيّ)، فهي من مجموعة ٱلأصوات ٱلّتي تتميّز بأنّها ذات درجة إسماع واطئة (٧)، ويقتصر كيانها على ذلك ٱلْانفجار

---

(١) ش ش ٢٥٨/٣ .

(٢) في الكتاب : ٤٣٤/٤ ، المقتضب: ١٩٤/١ ، أبو ٱلْحسن بن كيسان : ٢١٨ " مَالَزِمَ مَوْضِعَهُ إِلَى ٱنْقِضَاءِ حُرُوفِهِ، وَحَبَسَ ٱلنَّفَسَ أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ، فَصَارَ مَجْهُوراً، لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهُ شَيْءٌ يُغَيِّرُهُ ".

(٣) ش ش ٢٨٩/٢ .

(٤) ش ش ٣٦١/٢ .

(٥) ش ش ٢٤٥/٢ .

(٦) ينظر ش ش ٢٤٦/٢ ، ش ك ٤٠٨/٢ ، ٤١٠/٢ .

(٧) دراسة الصّوت : ٢٤٤ .

الهوائي عند فتح الأحبال الصوتيّة بسرعة، ويلحقها مع هذه الطبيعة الصَّوتيّة إعتبار آخر يعده وأنّ الرضي يُدخِلُه في حِسابه، وهو كونُ الهمزة أقصى الأصواتِ مخرجاً قال الرَّضيُّ : " إعلمْ أنَّ الْهمْزَةَ هِيَ أَبْعَدُ الْحُرُوفِ، وأَخْفَاها ، لِأَنَّها مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ فَإِذا وَقفوا عَلَيْها — وَبِالْوَقْفِ يَصِيرُ الْحَرْفُ الْمَوْقُوفُ عَلَيْهِ أَخْفَى مِمَّا كانَ فِي الْوَصْلِ ... " (١)

٢ـ ماكان الخفاءُ فيه قياساً إلى غيره ، وذلكَ في الخفاءِ الذي وُصِفَتْ به النّونُ فاصطُلِحَ عليها من لَدُنِ سيبويه بالْخفيَّةِ أَوْ الخفيفة ،(٢) قال الرَّضيُّ : " ... أَخْفَى النُّونَ بِقِلَّةِ الِاعْتِمادِ، وذٰلِكَ بِأَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَحَدِ مَخْرَجَيْهِ ... فَيَقْتَصِرُ عَلَى مَخْرَجِ الْخَيْشُومِ فَيَحْصُلُ النُّونُ الْخَفِيَّةُ " (٣)، وقد نَقَلَ عن السّيرافيِّ في الْحُروفِ الْمُتفرِّعةِ نحواً مِنْ هٰذا، فهي إذَنْ فَرْعٌ عن النُّونِ الأَصْلِيَّةِ الَّتي مع حروفِ الحلق الْمُعْتَمَدِ فيها على مَخْرجين : أَحدُهما في الْفَمِ، والآخرُ في الْخيشوم . (٤)

٣ـ ماكانَ الخَفاءُ فيه تَعْبيراً عن اللّينِ بخروجِ الْهَواءِ حرّاً دُونَ إعاقةٍ مع قلّةِ مايُبْذَلُ مِن جهدٍ عِنْدَ إنتاجها مقابلاً تلك الإعاقة ، وبذل الجهدِ في غلقِ الْمَجرى ، أوْ تَضْييقِهِ في الصَّوامت، وقَدْ أشارَ الرَّضيُّ إلى ذلكَ بِقَوْلِه : " فأَوْسَعُهُنَّ مَخْرَجاً الْأَلِفُ ، ثُمَّ الْياءُ ، ثُمَّ الْواوُ ، وهٰذِهِ الْحُرُوفُ أَخْفَى الْحُروفِ لاتِّساعِ مَخارِجِها ، وأَخْفاهُنَّ الْأَلِفُ ، لِأَنَّ سِعَةَ مَخْرَجِها أَكْثَرُ " (٥) ، وَبَيِّنٌ وواضحاً كَيْفَ يربطُ الرّضيُّ بين خَفائِها وسِعَةِ مَخْرَجِها .

أَقولُ: إنَّ الّذي دَعاني لِماتقدَّمَ في فَهْمِ الخفاءِ ، وجَعْلِهِ فَهْمَ الرّضيِّ لِهذا الْمصطَلَحِ أيضاً ، أنّه يذكرُ هنا أصواتاً تتميَّزُ بامتلاكها لِأَعلى درجاتِ الإسماع، والوضوح السمعي، وهي أصواتُ الْمَدِّ، والنُّونِ . (٦) (٧)

---

(١) ش ش ٢/٣١١

(٢) ينظر : الكتاب ٤/٤٣٢ ، ش ش ٣/٢٥٤ـ ٢٥٤ .

(٣) ش ش ٣/٢٧٢

(٤) ش ش ٣/٢٧١

(٥) ش ش ٣/٢٦١

(٦) ينظر : دراسة الصوت ٢٤٤ـ ٢٤٥ .

(٧) في الكتاب : ٢/٤٢١ و ٢٦٢ ، ٤/١٦٥ و ١٦١ ، الرعاية : ، الموضح : ٩٧ .

الذَّلاقَـــةُ : وهي صفةُ حروفِ (مُرْ بِنَفَلٍ)،وضادتُها المُصمتـة ،قال الرَّضيّ : " اَلذَّلاقَةُ : اَلْفَصَاحَةُ وَالْخِفَّةُ فِي اَلْكَلَامِ ،وَهٰذِهِ اَلْحُرُوفُ أَخَفُّ اَلْحُرُوفِ ، وَلاَ يَنْفَكُّ رُبَاعِيٌّ وَلاَخُمَاسِيٌّ مِنْ حَرْفٍ مِنْهَا ، إِلَّا شَاذًّا . . . ، وذلك لِأَنَّ اَلرُّبَاعِيَّ وَاَلْخُمَاسِيَّ ثَقِيلَانِ ، فَلَمْ يُخْلِيَا مِنْ حَرْفٍ سَهْلٍ عَلَى اَللِّسَانِ خَفِيفٍ " (١)، ويبدو أنَّ هذه الصفة تعتمد على المرونةِ الْحَرَكِيَّةِ الَّتي يَتَمتعُ بِها طرفُ اللِّسانِ مع اَمتلاكِها لخصائصَ وظيفيةٍ واضحةٍ تشكِّلُ صفاتٍ متمايزةً في النِّظامِ الصَّوتي العَربي مِنْ نحوِ:الغُنة،والتكرير والْجانبية والتأفيف،وفي الباء لَمْ تَجعلْ العربيةُ لَها مقابِلاً مستعمَلاً،فتفرَّدَتْ بمَخرجِها؛ وَلِهذا كَثُرَ دورانُها في الأَبْنيةِ (٢).

الرَّخَـــاوَةُ : صفةُ حروفٍ (ض / ظ / ذ / ز / س/ ش/ ص/ ح / خ / غ/ ث/ ف)،وقد حدَّها الرَّضيّ،فقال : " لِأَنَّ اَلرَّخَاوَةَ : أَنْ يَجْرِيَ اَلصَّوْتُ بِالْحَرْفِ عِنْدَ إِسْكَانِهِ كَالنَّبْرِ " (٣) ،وضادتُها الشِّدَّة ، فالرَّخاوةُ اذن:ذلكَ الانطباعُ السَّمعيّ النَّاتجُ عن اَستمراريةِ خروجِ الهواءِ عندَ النُّطق بها،وقد أهملَ الإشارةَ إلى هيئتِها المخرجية،ولكنَّهُ علــى ما يبدو مِنْ ادراكه لِلهيئةِ المخرجيّة لِمابين الشَّديدة والرِّخوة،قد أدركَ هيئةَ هذه الأصواتِ إدراكاً تاماً (٤) .

الشِّـــدَّةُ : صفةُ حروفٍ (أَجِدُكَ قَطَبْتَ)،ضادتُها الرَّخاوة ،قال الرضي فيها : " مَاإِذَا أَسْكَنْتَهُ،وَنَطَقْتَ بِهِ لَمْ يَجْرِ اَلصَّوْتُ " (٣)،وهو هنا كذلك يَعتمِدُ الانطباعَ السَّمعيَّ عندَ إنتاجِها،وهو يُدرِكُ ماتتميزُ بهِ من قُصْرٍ زمنيّ ؛ أَيْ : اَمتلاكِها صفةَ الآنيَّة، فقد قال : "إِنَّ اَلشَّدِيدَةَ لَايَجْرِي اَلصَّوْتُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا ،بَلْ إِنَّكَ تَسْمَعُ بِهِ فِي آنٍ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ " (٣) أمّا تهيئتُها،فمثلَ ماسبقَ في (الرّخاوة) ؛ وقال الرّضيّ :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٢ .

(٢) في العين :١/ ٥١ ، التهذيب:١/ ٤٤و ٤٦ ،الكتاب:٤/ ٤٣٥،سر الصناعة : ١/ ٧٤ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

(٤) في الكتاب ٤/ ٤٣٤،المقتضب ١/ ١٩٤ ،أسباب حدوث الحروف : ٦٠ (المركّبة) والفراءُ يستعملُ لها مصطلح اَلْمُصَوَّتِ، ينظر: (ماذكره الكوفيون من الإدغام ٥٩ ، الموضح : ٧٧،جهود الكوفيين في علم الاصوات : ١٥١،من فكرالفراء الصّوتيّ : ١٩٦).

"وَٱلْهَمْسُ وَٱلرَّخَاوَةُ أَسْهَلُ عَلَى ٱلنَّاطِقِ مِنَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلْجَهْرِ " (١) (٢) .

شِبْهُ ٱلنَّفْخِ : صفةٌ تتصفُ بها أصوات: (ظ/ذ /ض /ز) في الوقف ، وهي: ذلك الصوت الضعيف جدا المنتج عن استمرار خروج الهواء ؛ قال الرضي : "وَبَعْضُ ٱلْحُرُوفِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا خَرَجَ مِثْلُ ٱلنَّفْخَةِ وَلَمْ تَنْضَغِطْ ضَغْطَ ٱلْأَوَّلِ (يعني : القلقلة) ، وهي: الظاء والذال والضاد والزاي ؛ فَإِنَّ ٱلضَّادَ تَجِدُ ٱلْمَنْفَذَ بَيْنَ ٱلْأَضْرَاسِ، وَٱلظَّاءَ وَٱلذَّالَ وَٱلزَّايَ مِنْ بَيْنِ ٱلثَّنَايَا " (٣) ، وجاء استعماله للمصطلح عندما ذكر وجوه الوقف مرتبة بحسب قوتها، ووضوحها السمعي، حيث قال : " وَبَعْضُ ٱلْحُرُوفِ لَا يَصْحَبُهَا فِي ٱلْوَقْفِ: لَا صَوْتٌ كَمَا فِي ٱلْقَلْقَلَةِ ، وَلَا نَفْخٌ كَمَا فِي ٱلْمَهْمُوسَةِ ، وَلَا شِبْهُ نَفْخٍ كَمَا فِي ٱلْحُرُوفِ ٱلْأَرْبَعَةِ " (٤) ، وَٱلْحروفُ الأربعةُ هي هٰذِهِ ٱلْحُرُوفُ (٥) .

ٱلصَّحِيحُ : صفة جميع الأصوات خلا أصوات اللين أو العلة (أي : المديّة، وشبه المديّة) ؛ وهو على هذا مرادف لمصطلح الصّامت ، والمصطلح هذا أكثر تقابلا مع العلّة (يُنظر: مصطلح العلة) فأصواته ثابتة لا تتغير ، وأبرز موارد استعماله عند الرضي الذي يوضح هٰذه الدلالة في (موضوع التقاء الساكنين) عند ما يقابل به مصطلحات: اللين والعلّة والمدّ وقلّة المدّ ؛ قال الرضي : " إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْحَرْفَيْنِ ٱلسَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفاً صَحِيحاً لَا يُمْكِنُ ٱلْتِقَاؤُهُمَا ... نَحْوَ بَكْرٍ، بِشْرٍ ، بِسْرٍ ... وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفَ لِينٍ (يُنظر: تكملة النص في مصطلح العلّة) " (٦) (٧) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

(٢) في الكتاب : ٤/ ٤٣٤ ، وعند الفراء (الاخرس) (ينظر حاشية مصطلح الرّخاوة الخاص بالصوت) ، في دقائق التّصريف: ٥٤٨ (مصطلح الصّلبة) ، وفي الكشف: ١/ ١٣٥ (التّشديد) .

(٣) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٥) استعمل صاحب الكتاب : ٤/ ١٧٤ (نحو النفخ) ، الموضح : ٩٣ ، التحديد: ١١١ ، وينظر التمهيد : ١٠٥ .

(٦) ش ش ٢/ ٢١٠ـ ٢١١ .

(٧) مصطلح الدّراسات اللغوية عامة العين : ١/ ٥٧ و ٥٨ ، والتهذيب : ١/ ٤٤ ، ٥٠ ، قال في الموضح : ٩١ : " وللحروف قسمة أخرى إلى الصّحة والإعتلال ، فجميع الحروف صحيح إلّا ٱلألف وٱلياء وٱلواو " ، المقرب: ٣٧٦ .

العِلَّة : حروفها (الألف والواو والياء) ، وسُمِّيَتْ حروفَ العِلَّةِ وحروفَ الإعلال "لأنَّها تتغيَّر، ولا تبقى على حالٍ كالعليلِ المنحرفِ المزاجِ المتغيّرِ حالاً بحالٍ"(١) على ماقال الرضيّ، وقال أيضاً : "لأنَّها لا تسلمُ ولا تصحُّ : أي لا تبقى على حالٍ في كثيرٍ من المواضعِ بل تتغيّرُ بالقلبِ والإسكانِ والحذفِ"(٢) ، وقد جاءت استعمالات الرضيّ في موضوع الإعلال لتحدّد حروفه بالواو والياء غير المدّيتين إلّا إنّ من الناحية النظريّة لهذا الموضوع مع تطبيقاتٍ أخرى خارجه يعمُّ بالمصطلح المدّية وغير المدّية، من ذلك ماذكره في التقاء الساكنين، حيث قال : "وأمّا إذا كان أوّلهما حرفَ لينٍ، فإنّه يمكنُ التقاؤهما لكنْ مع ثِقَلٍ ما ، وإنّما أمكنَ ذلك مع حروفِ العلّةِ لأنّ هذه الحروفَ هي الروابطُ بين حروفِ الكلمةِ بعضها ببعضٍ ، وذلك أنّك تأخذُ أبعاضَها (أعني الحركاتِ) فتنتظمُ بها بين الحروفِ، ولولاها لم تتّسقْ ؛ فإذا كانت أبعاضُها هي الروابطُ ، وكانت إحداها، وهي ساكنةٌ قبلَ ساكنٍ آخرَ مددتَها، ومكّنت صوتَك منها حتّى تصيرَ ذاتَ أجزاءٍ ، فتتوصّلُ بجزئها الأخيرِ إلى ربطها بالساكنِ الذي بعدَها ولذلكَ وجبَ المدُّ التامُّ في أوّلِ مثلِ هذينِ الساكنينِ "(٣) ، ونجدُ تكراراً لمصطلحاتِ هذه الحروفِ في الصفحاتِ التاليةِ لهذا النصِّ(٤) .

القلقلة : وهو مصطلح لِمَا يصحب حروفَ (قَدْ طَبَجٍ) عِنْدَ الوقف ، وفي سبب التسمية قال الرضيّ : "إنّما سُمِّيَتْ حروفَ القلقلةِ لأنّها يصحبُها ضغطُ اللسانِ في مخرجها في الوقفِ مع شدّةِ الصوتِ المتصعّدِ من الصدرِ ، وهذا الضغطُ التامُّ يمنعُ خروجَ ذلكَ الصوتِ ، فإذا أردتَ بيانَها للمخاطبِ احتجتَ إلى قلقلةِ اللسانِ، وتحريكهِ عن موضعهِ حتّى يخرجَ صوتُها، فيُسمعُ "(٥) ، يبدو أنّ الرضيّ يُدرك ممّا تقدّم أنّ هذه الأصوات الشديدة (الانفجارية) يذهبُ الوقفُ بكيانها ، لأنّه موضعُ الإسكان، واللسانُ معها يتّخذُ وضعاً يمنعُ مرورَ الهواءِ منعاً تامّاً إذن

---

(١) ش ش ٦٨/٣ .
(٢) ش ش ٣٣/١
(٣) ش ش ٢١١/٢ وينظر : ١١٩/١ .
(٤) العين : ٥٥/١ ، ٩٥ ، التهذيب : ٤٩/١ ، ٥٠ ، الكتاب : ٣٦٠/٤ ، (ربما كان يعني بها صفة للواو والياء غير المدّيتين) .
(٥) ش ش ٢٦٣/٣ .

فـ (شدّةُ الصّوتِ المتصعّدِ منَ الصّدر ، وهذا الضغطُ التّام (يعني ضغطَ اللسان) يَمنعُ خروجَ ذلكَ الصّوتِ) مع حالة الوقف ، تشتركُ كلها في زيادةِ ضغطِ الهواء الخارجِ منْ الصّدر خلفَ نُقطةِ الاعتراض فيؤدي إلى إزالةِ الإعاقةِ بقوّةٍ فيخرجُ الهواء بشـــدّةٍ واضحةٍ محدثاً صوتاً آنياً ثمّ يتدخّلُ النّاطقُ للمحافظةِ على كيانِ هذه الأصواتِ بإخراجِ صوتٍ بعدَها ؛ لأنّها أصواتٌ ذاتُ إسماعٍ واطئٍ ، وصوتُ القلقلةِ أظهرُ من بقيـــة الأصواتِ التّي تصحبُ غيرَ هذه الحروفِ عند الوقف .(١) (٢)

القـــوّة : صفةُ الواوِ والياءِ (نصفيْ المدِّ) ويرمزُ لهما (W و Y) ، وهي عند الرضي يُشاربها الى سلوكٍ صوتيْ العلّة هذين مسلكَ الأصوات (الصّامتـــة) وظيفيّاً (Phonological) ، وذلك في حالةِ التّشديد ، وعند ما تَعقبهـــا حركةٌ ؛ قال الرّضي : " وإنْ كانتْ الواوُ المضمومةُ مشدّدةً كالتّقوّالِ لمْ تُقلَبْ أيضـــاً همزةً ؛ لقوّتِها بالتّشديدِ ، وصيرورتِها كالحرفِ الصّحيح " (٣) ؛ وقال : " الواوُ والْيـــاءُ المتحرّكتانِ قويّتانِ بالحركةِ لتحصّنهما بها " (٤) ، وأتبعَهُ بقوله : " ... لِمشابهتِهما للحروفِ الصّحيحةِ بقلّةِ المدِّ فيهما " (٤) ، وهما لا يُعلّان ؛ إذْ يعتقدُ الرضـــي " إنّما لَمْ تقلبْ المتحرّكةُ (يقصدُ الواو) الّتي ليستْ لاماً ياءً لكسرةِ ماقبلَها بالحركةِ ؛ فَلا تَجْذِبُها حَرَكَةُ ماقبْلَهَا إلى ناحيتِها ، مع كونِها في غيْرِ موضعِ التّغْيير ، وكـــذا إذا كانَتْ مُدغمةً نحوَ اجْلوّاذ ؛ لأنّها إذنْ قويةٌ فصارتْ كالحرفِ الصّحيح " (٥) ، إذن فهذه الصفةُ صفةُ الثباتِ وعدمِ التغيير في السّياقِ الصّوتيّ ، والواو أوِ الياءُ هنا صوتٌ شبه صحيحٍ .(٦)

---

(١) ينظر النص آخر مصطلح (شبه النفخ) .

(٢) في الكتاب: ٤/ ١٧٤ ، سر الصناعة: ١/ ٧٣ ، المقتضب: ١/ ١٩٦ ، الايضـــاح: ٢/ ٤٤٨ .

(٣) ش ش ٣/ ٧٨ .

(٤) ش ك ١/ ١٥٢ .

(٥) ش ش ٣/ ٨٤ - ٨٥ ، وينظر: ش ش ١/ ٢٤٩ (الواو المشددة) .

(٦) الخليل عن التهذيب : ١/ ٥٢ قال : " الواوُ والياءُ إذا جاءَتا بعْدَ فتحـــةٍ قويتا ، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى " ، التّصريف الملوكيّ : ٨٧ ، ابن سينا في أسبابِ حدوث الحروف : ٨٣ و ٨٤ ، يطلق عليهما الواو الصامتة والياء الصامتة ، وينظـــر التحديد : ١٣٤ " صارا بمنزلة الحروف الجامدة " .

مَا بَيْنَ ٱلشَّدِيدَةِ وَٱلرَّخوَةِ : صفة حروف (لِمْ يروعُنا) ، قال الرضي : " إِنَّمَا جُعِلَ حُروفُ (لِمْ يروعُنا) بَيْنَ ٱلشَّدِيدَةِ وَالرِّخْوَةِ ، لأَنَّ ٱلشَّدِيدَةَ هِيَ ٱلَّتي يَنْحَصِرُ ٱلصَّوْتُ في مَوَاضِعِهَا عِنْدَ ٱلوَقْفِ ، وَهذِهِ الأَحْرُفُ ٱلثَّمَانِيَةُ يَنْحَصِرُ ٱلصَّوْتُ في مَوَاضِعِهَا عِنْدَ ٱلْوَقْفِ ، لٰكِنْ تَعْرِضُ لَهَا أَعْرَاضٌ تُوجِبُ خُروجَ الصَّوْتِ مِنْ غَيْرِ مَوَاضِعِهَا " (١)

ثمّ بعد ذلك يأتي إلى هذه الحروف حرفاً حرفاً موضحاً ما يقصدُهُ من كلام ، مع إعطاء تصوُّرٍ عن الهيئةِ المخرجيةِ لكلّ منها مما يشكّل وعياً تاماً لِما يحدثُ في آلةِ الصّوت من إعاقة تامة ، أو جزئيّة للهواء ، ليس في هذه الصّفةِ فقط ، بل في صفتي الشّدّة والرّخاوة .

ولٰكنّ هذا المصطلح لا يبدو في اعتقادي سليماً ، ليطلق هنا ؛ إذْ يُوحي المصطلح بوجودِ صفةٍ بيْن الشّدّة والرّخاوة ، بمعنى وجودِ آليّةٍ بين آليتيْ هاتين الصفتين من حيثُ الإعاقة في نقطةِ المخرج ؛ لِذا أرى أنَّ الأنسبَ أنْ يُطلَقَ هنا (مصطلح الشّدّة ـ الرّخاوة) ، وأصواتها (الشّديدة ـ الرّخوة) ، وأعتقدُ أنّ الرضي هنا قد تكلّف وضع الياء والواو والالف مع هذه الأصوات على الرغم من ادراكه أنّ هذه الحروف اخفى الحروف لاتّساع مخارجها على حدِّ قوله الذى وقفنا عليه في مصطلح الخفاء ، وسيأتي مصطلحُ المدّ (٢) .

المَــدُّ : وهو مصطلح يستعمله الرّضِيّ على ما يبدو داخل مصطلحيْ العلّة واللين للاشارة إلى ما تتمتع به أصواتُ (الالف والواو والياء) من امتدادٍ نطقيّ ، واستمراريّة في التّصويت ، لسعة مخارجها ، ويتصور الرضي وجود حركة مجانسة تسبق هذه الأصوات ، حتى تمكّن من المدّ . قال : " وَنَعْني بِالْمَدَّةِ أَلِفاً أَوْ وَاواً أَوْ يَاءً

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

(٢) في الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، وعنده هي صفة لصوت العين فقط . وأوّل من قال بشمول هذه الاصوات (لم يروعنا) لهذه الصفة المبرد في المقتضب : ١/ ١٩٦ ، إمّا اجتهاداً منه ، وإمّا توهماً لكلام سيبويه ، وهو الارجح عندي ، لان سياقَ ذكرها في الكتاب يساعد كثيراً على مثل هذا الفهم ، وقد أوقعت متابعة الرضي للمبرد في التكلّفِ المُشار اليه ، وربّما يكونُ أيضاً متوهماً لكلام سيبويه (ينظر الكتاب : ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥)

ساكنين ماقبلهما من الحركة من جنسها "(١)، وقال أيضاً : " ونعني بالمدة: حرف لين ساكناً ، حركة ماقبله من جنسه "(٢)، وفي التقاء الساكنين يستعمل اللين، والعلّة فيقول : " إذا كان ألفاً (يعني : أول الساكنين) فالأمر أخف، لكثرة المدّ في الألف ، إذ هو مدّ فقط ... ثمّ بعد ذلك إذا كان أولهما واواً أو ياءً ماقبلهما من الحركات من جنسهما ... "(٣)، فالمدّ عند الرّضيّ يشير إلى قيمة صوتية مرادفة لما تعارف عليه المحدثون في الصّوائت الطويلة، إلاّ إنّه يربط نشأتها بإشباع الحركة السّابقة المجانسة، ووجود حركة غيرها في مكانها يؤدّي إلى قلّة المدّ فيها ؛ لاختلاط المدّين، فلا يحدث المدّ التّام لهذه الأصوات ؛ قال الرّضيّ : " ويقل المد في حروف اللين إذا كانت حركة ماقبلها من غير جنسها ، نحو: قول، وبيع ؛ بخلاف ما إذا كان ماقبلها من الحركات من جنسها ، نحو: قول وبيع ، وذلك؛ لأنّ في نحو قول المضموم فافه تتهيأ بعد النّطق بالقاف للواو ، وذلك؛ لأنّ الضّمة بعض الواو ، فيسهل عليك المجيء بعد الضّمة بالواو كاملة، لأنّه لم يخالطها إذن نوع آخر من المد كما خالطها في قول المفتوح فافه ، فإنّك إذن تهيأت فيه بعد القاف للمد الألفي : أي الفتحة ، ثمّ انتقلت في الحال إلى المدّ الواوي، شائباً شيئاً من المد الأول بالمدّ الثّاني، وميل كلّ واحد من المدّين إلى جانب غير جانب الآخر ، فلا جرم لم تتمكن من إشباع المدّ الواوي تمام التّمكّن "(٤) وتكون الواو والياء معها في هذه الحالة في قلّة المدّ، أو شبه المدّ، وحسب المحدثين حالة نصف الصّائت، أو نصف الصّامت •(٥)

المصمتة : يقابل الذّلاقة ، وهي صفة جميع الحروف سوى حروف (مُرْ بنفل) • قال الرّضيّ : " المصمتة : ضدّ حروف الذّلاقة ، والشّيء المصمت : هو الّذي لا جوف له ، فيكون ثقيلاً ؛ سمّيت بذلك لثقلها على اللّسان ، بخلاف حروف الذّلاقة "(٦).

---

(١) ش ك ١٥٢/١ ، وينظر ش ش ٣٣/٣ و ٢٤٩ •

(٢) ش ش ٢٥٢/٢

(٣) ش ش ٢١٢/٢ و ١١٩/١ • (٤) ش ش ٢/ ٢١١ ــ ٢١٢ •

(٥) في الكتاب : ٤٤١/٤ ، ٤٣٥ ، المقتضب : ٢١٠/١ ، الخصائص : ١١٤/٣ ، منازل الحروف : ٨٣ ، أسباب حدوث الحروف : ٨٤ •

(٦) ش ش ٢٦٢/٣ •

يُراعى في هذه الصّفة قلّة المرونة الحركيّة للسان ، والرّضيّ يرى أنّ ما تقدّم أنسب من قولهم : "إنّما سُمّيت بذلك لأنّها أُصمتت عن أن يُبنى منها وحدها رباعيّ أو خماسيّ" (١) إذ قال عنه : "الأوّل أولى ، لأنّها ضدّ حروف الذّلاقة في المعنى ، فمضادتها لها في الاسم أنسب" (٢) (٣) .

المُنْخَفِضَة : قال الرّضيّ : "والمنخفضة : ما ينخفض معه اللّسان ، ولا يرتفع ، وهي كلّ ما عدا المستعلية" (١) ، وهي حروف ما عدا : قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ (٤) .

المُنْفَتِحَة : وصف الرّضيّ هذه فقال : "قوله : (والمنفتحة بخلافها) ، لأنّه ينفتح ما بين اللّسان والحنك عند النّطق بها" (١) ، ويفهم من كلامه أنّها صفة ما عدا المنطبقة بما فيها المستعلية (٥) .

النَّفْخ : وهي صفة وقفيّة بخروج صُوَيْتٍ عند المهموسة دون القلقلة ، قال الرّضيّ : "وأمّا الحروف المهموسة فكلّها تقف عليها مع نفخ ، لأنّهنّ يجرين مع النّفس" (٢) ، ويبدو لي أنّ سبب هذا التّصويت هو المحافظة على كيان هذه الأصوات في الوقف ويعضّده قوله : "وبعض العرب أشدّ نفخًا ، كأنّهم يرومون الحركة في الوقف" (٢) (٦)

الهَمْس : صفة حروف (سَتَشْحَثُكَ خَصَفَهْ) بالهاء ، ضدّ الجهر ، وقد تقدّم الكلام عن هذه الصّفة في مصطلح الجهر ؛ لأنّ الضّدّ بالضّدّ يُعرف

---

(١) ش ش ٣/٢٦٢ .

(٢) ش ش ٣/٢٦٣ .

(٣) في العين : ١/٥٤ (الصّتم) ، التّهذيب : ١/٥١ : "المُصْمَتة هي الصُّتم" ، الرعاية ١٣٥ ، اللسان : ١٢/٣٣٣ (الصّتم) .

(٤) في التهذيب : ١/٥١ " (عن الخليل : الاختفاض) ، سر الصناعة : ١/٧١ ، سر الفصاحة : ٢١ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، الهمع : ٢/٢٣٠ .

(٥) في الكتاب : ٤/٤٣٦ ، الموضح : ٩٠ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، المقرب : ٢/٣٥٩

(٦) في الكتاب : ٤/١٧٥ ، سر الصناعة : ١/٧٣ ، الموضح : ٩٣ يستعمل مكانه النَّفَس .

(علماً سبق في مصطلح الجهر)(١)

الصِّفَاتُ المُفْرَدَةُ :

المَهْتُوتُ : صفةُ التاءِ ، قالَ الرضيُّ : " وإنَّمَا سُمِّيَ التاءُ مهتوتاً ؛ لأنَّ الهتَّ سَرْدُ الكلامِ عَلَى سُرْعَةٍ ، فهُوَ حَرْفٌ خَفِيفٌ لا يَصْعُبُ التَّكَلُّمُ بِهِ علَى سُرْعَةٍ "(٢) ، ويَبْدو لي أنَّ هذا المصطلحَ يُمثِّل مجمل الانطباع السَّمعي والنُّطقي لهذا الصَّوت من خلال ما يتمتَّع به طرفُ اللسان من مرونةٍ في الحركة عند إنتاجه(٣) .

الهَاوِي : صفةُ الألف ، قالَ الرضيُّ : " ... واتِّساعُ مَخْرَجِ الألِفِ لِهَواءِ صَوْتِهِ أكْثَرُ مِنْ اتِّساعِ مَخْرَجَيْ الواوِ والياءِ لهواءِ صوتِهِما ، فلِذلِكَ سُمِّيَ الهاوِي : أيْ ذاتَ الهواءِ (الأصحُّ : ذا الهواءِ)(٤) ، كالنَّاشِبِ والنَّابِلِ . وإنَّما كانَ الاتِّساعُ للألِفِ أكثَرَ ؛ لأنَّكَ تضمُّ شفتَيْكَ لِلواوِ ، فيتضَيَّقُ المَخْرَجُ ، وتَرْفَعُ لِسانَكَ قِبلَ الحنَكِ لِلياءِ ، وأمَّا الألِفُ فلا تَعْمَلُ لَهُ شيئاً مِنْ هذا ، بلْ تفرجُ المَخْرَجَ ؛ فأوْسَعُهُنَّ مَخْرَجاً الألِفُ ، ثُمَّ الياءُ ، ثُمَّ الواوُ .. " (٥)

ويلحظُ هُنا الإدراكُ لطبيعةِ المجرى الهوائيِّ عند التَّصويت بالألف ، ويبرزُ فيها أيضاً إدراكُهُ لحالاتِ المخرج بين الإفراج التَّام والتَّضيق الجزئيِّ ، زيادةً على إدراك الغلق التَّام لهُ في الشَّديدة(٦) .

مُصْطَلَحَاتُ التَّجَاوُرِ والتَّرْكِيبِ :

الابْتِدَاءُ : مُصطلحُ بدايةِ العَمَلِيَّةِ الكلاميَّةِ ، الَّذي يرى الرضيُّ استحالته بوجود

---

(١) في الكتاب ٤/ ٤٣٤ ، أبو الحسن بن كيسان : ٢١٩ " حَرْفٌ لأنَّ مَخْرَجَهُ دُونَ المَجْهُورِ وجرَى مَعَهُ النَّفَسُ " الجمهرة : ١/ ٤٦ ، سر الفصاحة : ٢٠

(٢) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٣) في العين : ١/ ٥٧ ، ٥٨ (للهاء والهمزة) ، التَّهذيب : ١/ ٤٨ ، سر الصِّناعة : ١/ ٧٤ ، الموضح / ٩٤ .

(٤) وقد ورد الاستعمال صحيحا في ش ش ٣/ ٢٦٤ بقوله : " ومَعْنَى الهَاوِي : ذُو الهَوَاءِ "

(٥) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٦) في الكتاب : ٤/ ١٧٦ ، ٤٣٥ ، جهود الكوفيين في علم الاصوات : ٥٣ (للراء واللام وبه قال فريق من أهل التَّجويد) .

الساكن.قال الرضي : " ٱلْأَكْثَرُونَ على أَنَّ ٱلابتداءَ بِالسَّاكِنِ مُتَعَذِّرٌ ... وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ،وَلَابُدَّ مِنَ ٱلِابْتِدَاءِ بِمُتَحَرِّكٍ"(١) .

ٱلْإِبْدَالُ: يبدو الرضيّ موافقاً لابنِ الحاجبِ في حدِّه للإبدالِ بأنَّه " جعلُ حرفٍ مكانَ حرفٍ غيرِه "(٢) ، لأنَّه اكتفى به،وقال معلّقاً : " ٱلْإِبْدَالُ في ٱصْطِلَاحِهِمْ أَعَمُّ مِنْ قَلْبِ ٱلْهَمْزَةِ ، وَمِنْ قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ وَٱلْأَلِفِ "(٢) ، والإبدالُ في ظاهرة الإبدال عند الرضيّ المقصود به ما لا يكونُ لأجلِ الإدغام ، ويستعمل الرضيُّ القلبَ بمعنى الإبدال،إذْ قالَ : " وَٱلْقَلْبُ ٱلَّذي لِلْإِدْغَامِ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ "(٣)(٤)

ٱلْإِتْبَاعُ: مصطلح المماثلةِ الكلّيّة بينَ الحركاتِ ، قال الرضي : " يَجُوزُ فِي نَحْوِ يَقِتِّلُ ـ بِكَسْرِ ٱلْقَافِ ـ أَنْ تَكْسِرَ ٱلْيَاءَ إِتْبَاعاً لِلْقَافِ،فَتَقُولُ : يِقِتِّلُ كَمَا فِي مِنْخِرٍ وَمِنْتِنٍ ،وَمِنْهُ فِي قِرَاءَةِ (أَمْ مَنْ لَا يِهِدِّي) بِكَسْرِ ٱلْيَاءِ وَٱلْهَاءِ "(٥) ، وقال أيضاً : " وَرُبَّمَا كُسِرَ مِيمُ مُفْعِلٍ إِتْبَاعاً لِلْعَيْنِ أَوْ يُضَمُّ عَيْنُهُ إِتْبَاعاً لِلْمِيمِ،قَالُوا فِي مُنْتِنٍ : مِنْتِنٍ وَمُنْتُنٍ "(٦) ، وقد تكرر هذا المصطلح كثيراً عند الرضيّ،وأغلب مظاهره تفرّدتْ بها ٱللّهجاتُ المتداولة حتّى كادَ يقتصرُ عليها(٧) .

أَحْوَالُ ٱلْأَبْنِيَةِ: قالَ الرّضيُّ (وهو يميّزُ الموضوعاتِ الصّرفيّة) : " وَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِي أَحْوَالِ ٱلْأَبْنِيَةِ : ٱلِابْتِدَاءُ وَٱلْإِمَالَةُ وَتَخْفِيفُ ٱلْهَمْزَةِ وَٱلْإِعْلَالُ وَٱلْإِبْدَالُ وَٱلْحَذْفُ ،

---

(١) ش ش ٢/ ٢٥١ .

(٢) ش ش ٣/ ١٩٧ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٢٧ .

(٤) الخليل عن (الدراسات اللغوية : ٤٠٨ ،الكتاب: ٣/ ٤٤١ ،والأشموني والصّبان : ٤/ ٢٧٩ : وَإِنَّمَا ٱلْمُرَادُ ٱلْبَدَلُ في غيرِ ٱلْإِدْغَامِ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٨٥ . والآية (٣٥) من سورة يونس . والقراءة في المحتسب: ١/ ٣١٠.

(٦) ش ك ٢/ ١٩٩ وينظر منه للاتباع : ٣١٢ و ١٩٠ ،وش ش ٢/ ٢٣٨ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٧ .

(٧) في الكتاب : ١/ ٤٣٦ ،٤/ ١٩٦ ، وفي الخصائص ٢/ ١٤٣ عُبّر عنه بتقريب الصَّوتِ مِنَ الصَّوْتِ. وفي الأنصاف : ٢/ ٧٣٧ .

وبعضُ الإدغامِ ، وهو إدغامُ بعضِ حروفِ الكلمةِ في بعضٍ ... وكذا بعضُ التقاءِ الساكنينِ ، وهو إذا كان الساكنان من كلمةٍ كما في قُلْ ، وأصلُه قُوْلْ " (١) ، حيثُ يستعمل الرّضيّ هذا المصطلحَ للدلالةِ على التحولاتِ الصوتيّةِ التي يرتبط وجودُها بالبنيةِ الصرفيّةِ (عاملٌ صرفيٌّ)، ويمكنُ أنْ يكون هذا المصطلح مرادفاً جيّداً لما عُرِف في الدرسِ الحديثِ باصطلاحِ التغييرِ الصرفيّ الصوتيّ (Morphophonemic (٢)

وقدْ تفرّد الرضيّ بالدلالةِ الاصطلاحيّةِ لهذا المصطلحِ الذي استعمله ابنُ الحاجبِ بشكلٍ عامٍّ لموضوعاتِ الصرفيّةِ كافةً .

<u>اجتماعُ المثلينِ (التماثلينِ) والأمثالِ :</u>

مصطلح التجاورِ بينَ الأصواتِ المتماثلةِ مع إهمالِ وجودِ الحركاتِ فاصلةً بينها ، وفي المستوى الصائتيّ يستعمله مشيراً إلى تشابهِ الجنسِ لا التماثلِ التامّ ، قالَ الرضيُّ : " ويكرهُ اجتماعُ الأمثالِ ، لزيادةِ الاستثقالِ في قصيت وتقضّى " (٣) ، والأمثال هنا صحاحٌ ، وقد قلب الثالثُ منها ياءً ، وقالَ أيضاً : " اجتماعُ المتماثلينِ أعني الياءَ والكسرةَ سببُ فتحِ : أينَ وكيفَ " (٤) ، وينقلُ عن الخليلِ أنّه استكرهَ اجتماعَ المثلينِ في ماماءٍ فأصبحت مهما (٥) ، وهو مستقبحٌ لفظاً ومعنىً (٦) (٧) .

<u>الإخفاءُ :</u>

وهو أنْ لا يُمكّن النطقُ بالحرفِ تمكّناً كاملاً، وهو عند المثلينِ كأنّه أدغمَ الخفيّ، وبذلك وصفَ الرضيُّ ما ينسبُ من إدغامٍ لأبي عمرو في نحوِ قوله تعالى : (خُذِ العفوَ وأمُرْ) و (شهرُ رمضانَ) ، وقالَ عنه : " ليسَ بإدغامٍ حقيقيٍّ بلْ هوَ إخفاءُ أوّلِ المثلينِ إخفاءً يُشبهُ الإدغامَ " (٨) ، حيث يبدو أنّ هذا الإخفاءَ درجةٌ بينَ الخفاءِ التامِّ (في الإدغامِ) والتبيينِ ؟ وقال في تثنيةِ الحيا أي حييان :

---

(١) ش ش ١/ ٥٠ .

(٢) ينظر : أسسُ علمِ اللغة : ١٠٦ ، وينظر: تمهيد الفصلِ الثالث .

(٣) ش ش ٣/ ٢١٠ .

(٤) ش ش ٢/ ٢٤٧ .

(٥) ش ك ٢/ ٢٥٣ .

(٦) ش ك ٢/ ١٨ .

(٧) في الكتاب: ٣/ ١٩ ، يعبّر عن الفكرة ولا يستعمل المصطلح، وفي: ٣/ ٢٦ ، (اجتماع النونات) ، الخصائص : ٢/ ١٣٩ ، ١٤١ .

(٨) ش ش ٣/ ٢٤٧ .

" جَازَ ٱلإِخْفَاءُ وَالتَّبْيِينُ ، وَٱلتَّبْيِينُ أَوْلَى ، لِعَدَمِ ٱلاِسْتِثْقَالِ ، وَلَا يَجُوزُ هَاهُنَا ٱلإِدْغَامُ " (١) . وقد وصف به أيضاً ما ورد من إدغام بعض الحروف في بعض عن بعض ٱلقُرّاءِ حين قرأ : (لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، وَٱغْفِرْ لِّي ، وَنَخْسِفْ بِّهِمْ) (*) ، فقال : " حُذَّاقُ أَهْلِ ٱلأَدَاءِ عَلَى أَنَّ ٱلمُرَادَ بِٱلإِدْغَامِ فِي مِثْلِهِ ٱلإِخْفَاءُ ، وَتَعْبِيرُهُمْ عَنْهُ بِلَفْظِ ٱلإِدْغَامِ تَجَوُّزٌ ، لِأَنَّ ٱلإِخْفَاءَ قَرِيبٌ مِنَ ٱلإِدْغَامِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ إِدْغَاماً ، لَالْتَقَى سَاكِنَانِ لَا عَلَى حَدِّهِ فِي نَحْوِ : لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ " (٢) .

وقد وصف به أيضاً النُّطق بالنون مع الأصوات غير الحلقيّة حين يقتصر فيها على الغنّة فتحصل ما يعرف بالنّون ٱلخفيّة . قال الرضيّ : " فَإِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً ، وَبَعْدَهَا غَيْرُ حَرْفِ ٱلحَلْقِ ، فَهُنَاكَ دَاعِيَانِ إِلَى إِخْفَائِهَا " (٣) ، هُمَا السُّكُونُ ، وَٱلحرفُ غير الحلقيّ ، وهذه الظّاهرة ساهمت في إغناء مباحث أهل التّجويد بشكل واضح (٤) (٥) .

<u>ٱلإِدْغَـــامُ :</u> قال الرضيّ : " ... وَٱلَّذِي أَرَى : أَنَّهُ لَيْسَ ٱلإِدْغَامُ ٱلإِتْيَانَ بِحَرْفَيْنِ ، بَلْ هُوَ ٱلإِتْيَانُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ مَعَ ٱعْتِمَادٍ عَلَى مَخْرَجِهِ قَوِيٍّ ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ ٱلحَرْفُ مُتَحَرِّكاً نَحْوَ : يَمُدُّ زَيْدٌ ، أَوْ سَاكِناً نَحْوَ : يَمُدُّ وَقْفاً " (٦) ، وما يذكر من إدغام ٱلمتقاربين ، فالرضيّ لا يقبل به ، لأنّه يرى : " أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِدْغَامُ ٱلمُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا بَعْدَ جَعْلِهِمَا مُتَمَاثِلَيْنِ ، لِأَنَّ ٱلإِدْغَامَ إِخْرَاجُ ٱلحَرْفَيْنِ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ دُفْعَةً وَاحِدَةً بِٱعْتِمَادٍ تَامٍّ ، وَلَا يُمْكِنُ إِخْرَاجُ ٱلمُتَقَارِبَيْنِ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ ، لِأَنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجاً عَلَى حِدَةٍ " (٧) ، <u>فهو بالأحرى يقدّم تعديلاً للفهم المتبادر من إدغام المتقاربين</u> (٨) .

(١) ش ش ٣/١١٦ .

(*) الآيات : النور ٦٢ وإبراهيم ٤١ وسبأ ٩ (على الترتيب) . وهي قراءة مشهور للبزيّ (ت ٢٥٠هـ) ينظر : طبقات القراء : ١/١١٩ .

(٢) ش ش ٣/٢٧٤ .

(٣) ش ش ٣/٢٧٢ وينظر منه ٣/٢٧١ – ٢٧٤ .

(٤) ينظر من مصادر البحث : كتب التجويد الموضوع الخاص بأحوال النون والتنوين .

(٥) في الكتاب : ٤/٤٣٨ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، إدغام القراء : ٨ ، الكشف : ١/٢٤٠ – ٢٤١ وعن منهاج التوفيق : ٣٣٥ : " ٱلمُخْفَى شَيْئَانِ : حرفٌ وحركةٌ ، فَإِخْفَاءُ ٱلحَرْفِ نُقْصَانُ صَوْتِهِ ، وَإِخْفَاءُ ٱلحَرَكَةِ نُقْصَانُ تَمْطِيطِهَا " وهو قول الدّاني في التحديد : ٩٨ ، وقال في كشف المشكل : (٢/٣٩١) : " وَٱلإِخْفَاءُ لَا يُسْتَهْلَكُ مَعَهَا الحَرْفُ ٱلخَفِيُّ ، وَلَكِنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلَّذِي قَابَلَهُ فِي ٱلنُّطْقِ مِنْ غَيْرِ إِدْغَامٍ " وفي مرتبة هذا الإخفاء ، قال القُرْطُبِيُّ في المُوضَح : ١٥٧ : " مَنْزِلَةٌ بَيْنَ ٱلإِظْهَارِ وَٱلتَّشْدِيدِ " .

(٦) (٧) ش ش ٣/٢٣٥ .

(٨) يقول شاده : " أَهَمُّ المدارك ٱلَّتي وصل إليها علمُ ٱلأصوات العصريِّ في هذا ===

ٱلأَزْدِوَاجُ : أنْ تنتهي المقاطع والفواصل (أيْ نهايات السَّلاسل الصَّوتيَّة) في السّياقِ الواحد بجنس واحدٍ من ٱلأصواتِ ، قَالَ الرَّضيّ : " ٱلْحَذْفُ في ٱلْفَواصِلِ وَٱلْقَوَافِيّ لِيَسَيناد طَلَباً لِلأَزْدِوَاجِ "(١) ، وقالَ أيضاً : " فَإذَا وَقَعَ ٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ ٱلْمَذْكُورَانِ فِي ٱلْفَوَاصِلِ وَصْلاً جَازَ حَذْفُهُمَا ، وَٱلاجْتِزَاءُ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهُمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) ، وَذَلِكَ لِمُرَاعَاةِ ٱلتَّجَانُسِ وَٱلأَزْدِوَاجِ ... ، وَكَذَا فِي ٱلْقَوَافِيّ يُحْذَفُ فِيهَا كَثِيراً مِثْلُ ذَلِكَ لِلأَزْدِوَاجِ لَا لِلْوَقْفِ "(٢) .

ويظهرُ أنّ تقصيرَ الصوائت هو وسيلةُ هذا الأزدواجِ الّذي عَبّر عنه بالحذف (٣) .

ٱلأُسْتِثْقَالُ (ٱلثِّقَلُ) : قالَ الرَّضِيُّ : " إِعْلَمْ أَنَّهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ ٱلتَّضْعِيفَ غَايَةَ ٱلاسْتِثْقَالِ إِذْ عَلَى ٱللِّسَانِ كُلْفَةٌ شَدِيدَةٌ فِي ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلْمَخْرَجِ بَعْدَ ٱنْتِقَالِهِ عَنْهُ "(٤) ، وقالَ (في السّين وقبلها صوتٌ مُستعلٍ) : " وَلَا يَثْقُلُ ذَلِكَ ثِقَلَ ٱلتَّصَعُّدِ مِنْ مُنْخَفِضٍ "(٥) ، حيثُ الأستثقالُ والثقل نطقيّان(٦) .

=== ٱلْبَابِ قَاعِدَةٌ وُفِّقَ الى إثباتها مُنذ خمسين عاماً إشوسْريّ يدعى (ثُنْتلَر) ، ومآلها أنّ النّاطِقَ بحرفين مُتواليين يَقْتضِيانِ حَرَكَةً مشتركةً بَيْنَهما مِنْ حَرَكاتِ آلاتِ ٱلنُّطقِ لَايَجِيءُ بِهَذِهِ ٱلْحَرَكَةِ إِلَّامَرَّةً وَاحِدَةً " عن (علم الأصوات عندَ سيبويه وعندنا : ١٥) وقد استفاد منه في التعريفات : (١٦) فقال عن الادغام : " وَقِيلَ : هُوَ إِلْبَاثُ ٱلْحَرْفِ فِي مَخْرَجِهِ مِقْدَارَ إِلْبَاثِ حَرْفَيْنِ نَحْوَ: مَدَّ وَعَدَّ " .

(١) ش ك ١/١٤٨ .

(٢) ش ش ٢/٣٠٢ . والآية (٤) / الفجر .

(٣) من مصطلحات البلاغيين ، الصناعتين : ٢٦ ، سرّ الفصاحة : ١٦٣ .

(٤) ش ش ٣/٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٥) ش ش ٣/٢٣٠ .

(٦) في الكتاب : ٤/٤١٧ ، الخصائص : ٣/ ١٨ .

الاشـــراب : يستعمله الرّضيّ فيما يبدو بوصفه ظاهرةً تحدث بأَنْ يكتسب أحد الأصوات صفةً صوتيّةً أو أكثر تقرّبه من نطق صوت آخر ، وقد وجدت بفعل هذه الظّاهرة مجموعةُ المتفرعات ، قال الرّضيّ : " يَعْنِي بِالْمُتَفَرِّعِ حَرْفاً يَتَفرَّعُ عَنْ هٰذِهِ الْحُرُوفِ الْمَذْكُورَةِ وَقِيلَ بِإِشْرَابِهَا صَوْتاً مِنْ غَيْرِهَا " (١) . إذ إنَّ بعض مظاهره ههنا ممّا يعرف عند المحدثين بالمماثلة الجزئيّة ، كما في الصّاد كالزاي في يَصْدُقُ وَصَدَقَ وأيضاً " إِشْرَابُ الْجِيمِ وَالشِّينِ الْمُعْجَمَتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ قَبْلَ الدَّالِ صَوْتَ الزَّايِ " (٢) ، في أَشْدَقَ وأَجْدَرَ . وهو يرادف المضارعة وهو سبيل التّجانس والتناسب (بحسب مصطلحات المضارعة والتّجانس والتّناسب) (٣) .

الاشمــــام : يردُ هذا المصطلح عند الرّضيّ في دلالتين : الأُولى خاصةً بالوقف وهي : " تَصْوِيرُ الْفَمِ عِنْدَ حَذْفِ الْحَرَكَةِ بِالصُّورَةِ الَّتِي تَعْرِضُ عِنْدَ التَّلَفُّظِ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ بِلَا حَرَكَةٍ ظَاهِرَةٍ وَلَا خَفِيَّةٍ " (٤) ، وهو مقتصرٌ على الحركات ، وبالأخصّ (الضّمّ والرّفع) أمّا الثّانية فقد عبّر عنها بقوله : " .... لِأَنَّ الْإِشْمَامَ هٰهُنَا حَرَكَةٌ بَيْنَ حَرَكَتَي الضَّمِّ وَالْكَسْرِ بَعْدَهَا حَرْفٌ بَيْنَ الْوَاوِ وَالْيَاءِ " (٥) ، فالإشمام هنا يُعبّر عن متفرع صائت ، وقد قال في المتفرّعة : " وَمِنْهَا أَيْضاً الْيَاءُ كَالْوَاوِ فِي قُيلَ وَبُيعَ بِالْإِشْمَامِ " (٦) ، فهذا متفرع آخر صائت طويل ، وهو هنا أشبه ما يكون بظاهرة الإشراب ، ويقول أيضاً " إِذَا تَحَرَّكَتِ الصَّادُ وَبَعْدَهَا دَالٌ أُشِمَّ الصَّادُ صَوْتَ الزَّايِ " (٧) ، والاشمام هنا جاء على موضوع المضارعة ، وعلى ما تقدّم ، فإنّ الإشمام والاشراب والمضارعة ويتّصل بهما التّجانسُ والتّناسبُ تدور كلها في حلقة المماثلة الجزئية مع اختلاف الاعتبارات وخاصّة في التّجانس والتّناسب (٨) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٤ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٣٣

(٣) قال سيبويه (الكتاب ٤ / ١٧٤) : بخروج صوتٍ مع الحروف عند الوقف (الحروف المشربة) وأوّل من استعمله بهذا المعنى مكي في الرعاية : ٨٠ ، الموضح : ١١٨ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٧٥

(٥) ش ش ٢ / ٢٧٠ ، وينظر المصطلح ش ش ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٦) ش ش ٣ / ٢٥٧

(٧) ش ش ٣ / ٢٣٢ .

(٨) على ما يبدو ، فإنّ ابن مجاهد أوّل من استعمل الدلالة الثانية ، السبعة : ١٠٥ ، ١٠٦ ، سر الصناعة ١ / ٥٧ ، اما الاولى فينظر الكتاب ٤ / ١٧١ .

ٱلْإِظْهَارُ: مقابل الإدغام ، قال الرضيّ : " فإنْ كانَ المِثْلانِ في أوَّلِهِ ، فإمَّا أنْ يكونَ ماضِيًا كتترَّسَ وتتارَكَ ، أوْ مضارعًا كتتنزَّلُ وتتثاقلُ ، فالأَوْلى في الماضي الإظهارُ ، ويجوزُ الإدغامُ ، مَعَ اجتلابِ همزةِ الوصلِ في الابتداءِ ... وإنْ كانَ المثلانِ في وسطِ ذي الزيادةِ ، فلكَ الإظهارُ والإدغامُ نحوَ : اقتتلَ وقتَّلَ " (١) ، إذن فالإظهار إخراجُ الحرفينِ مستقلَّينِ عندَ النُّطقِ (٢) .

ٱلْاعْتِدَالُ : وهو مصطلحٌ التناسبِ الصَّوتيّ بينَ طرفي الكلمة ، قال الرضيُّ في إعلالِ الناقصِ على (فَعْلَى) : " وٱلواويُّ لا تُقلبُ واوُهُ ياءً ، لا في الاسمِ كالدَّعوى والفتوى ، ولا في الصِّفةِ نحو: شهوى مؤنثُ شهوانٍ لاعتدالِ أوَّلِ الكلمةِ وآخِرِها بالفتحةِ والواوِ ، فلو قُلِبَتْ ياءً لصارَ طرفا الكلمةِ خفيفَيْنِ ، وأمَّا اليائيُّ منهُ ، فقصدَ فيهِ التعديلُ أوَّلًا ، فعدَّلَ الاسمُ الذي هوَ أسبقُ منَ الصِّفةِ بقلبِ يائِهِ واوًا ... " (٣) وكذلكَ لَمْ تُعَلَّ فُعْلَى لحصولِ الاعتدالِ بالضَّمةِ في أوَّلِها ، وبالياءِ في آخِرِها " (٤) وفي (فِعْلَى) أيضًا ، فالكسرةُ في الثقلِ بينَ الضَّمةِ والفتحةِ ، فيحصلُ الاعتدالُ مع الياءِ أو الواوِ ، فلا يُعَلُّ . (٥) وفي نحو حمراوان لَمْ تُقلبِ الهمزةُ ياءً في الأغلب " طلبًا للاعتدالِ ؛ لأنَّ الياءَ قريبةٌ منَ الألفِ ، فكانَ إيقاعُ الياءِ بينَ الألفينِ جمعَ بينَ ثلاثِ ألفاتٍ ، فاستريحَ منْ توالي الأمثالِ ... " (٦) . والمصطلح كما يبدو قائمٌ على علاقةٍ واضحةٍ بينَ البِنيةِ ، والصَّوت وفي كلِّ هذا ، فهو يقتصرُ على الصَّوائتِ ، ولم أقفْ على مَن سبقهُ الى هذا المصطلح .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٤٠ .

(٢) ظ التهذيب : ١ / ٤٦ بمعنى النطق بالحرف ، وبالدلالة أعلاه في الكتاب ٤ / ٤٤٥ ، الكشف : ١ / ١٣٤ ، شرح المفصل : ١٠ / ١٢٢ ، المقرب : ٣٦٨ .

(٣) ش ش ٣ / ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٤) ش ش ٣ / ١٧٨ .

(٥) ش ش ٣ / ١٧٩ .

(٦) ش ش ٣ / ٦٠ .

الإعـــلال : قال الرضيّ : " إعلم أنّ لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلّة : أي الألف والواو والياء ، بالقلب أو الحذف ، أو الإسكان ؛ ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة إعلال " (١) ؛ ومع استعمال الرضيّ المصطلح على ما هو عند علماء العربيّة ، فقد استعمله في غيره مستفيداً من دلالته على مطلق التغيير ، حيث قال في (الأمّ) : " تقلب الفاء وتدغم العين ، وهما إعلالان " (٢) ؛ لأنهما من أومّ أو أيمّ على أفعل . كذلك وصف حذف التاء به فقال : " وأمّا نحو قِيَة وشِيَة فليس فيها إلا إعلال واحد ؛ لأنه مأخوذ من تقي وتشي " (٢) (٣) .

التقاء الساكنين : وهو تتابع ساكنين عند النطق (بحسب مصطلح الساكن) وهذا الالتقاء بحسب تصوره يتم على شكلين هما : (٤)

١- صحيح ساكن + صحيح ساكن ٢- لين ساكن + صحيح ساكن . وفي اللين الساكن يرد المدّ وشبه المدّ ؛ لأنّ الرضيّ يعامل شبه المدّ في هذه الظاهرة التي تشكل صميم البنية المقطعيّة للعربيّة ، ويرى الرضي أنّ التتابع يتحقق في الشكل الثاني بشرطين ، ولا يتحقق أبداً في الشكل الأول (٥) .

التقاء المثلين : قال الرضيّ في الثقل : " لثقل البناءين ، وثقل التقاء المثلين " (وهو كناية عن الاستثقال واجتماع المثلين) .

الإمالـــة : قال الرضيّ : " وإنما تسمى إمالة إذا بالغت في إمالة الفتحة نحو الكسرة " (٦) ، وقال أيضاً : " وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب

---

(١) ش ش ٣ / ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) ش ش ٣ / ٩٤ .

(٣) ينظر حاشية مصطلح (العلّة) وإعراب القرآن المنسوب : ١ / ٢٤٥ .

(٤) ينظر (مقدمة التقاء الساكنين في ش ش ٢ / ٢١٠ وما بعدها .

(٥) في الكتاب ٣ / ٥٣٢ الخصائص ٢ / ٤٩٣ ، المقرب ٣٦٩ .

(٦) ش ش ٣ / ٤ .

ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ "(١) ، حَيْثُ يُنْحَى بِالفَتْحَةِ نحوَ ٱلْكسرةِ أي: إلى جانبِ ٱلْكَسْرَةِ (*) ، وتُعَدُّ ٱلإِمَالَةُ على وجهِ العمومِ مظهراً من مظاهِرِ ٱلمُمَاثلةِ ٱلْجُزئيّةِ بينَ الصَّوائتِ، وذلك لأنّ بعضَ مظاهِرِها تُعَدُّ من ضمن المُماثلة الكلّيّة، وأُخرى من العَادات النّطقيّة لمن الإمالةُ في لُغتِهِ، وذلك فيما كانتْ فيه إمالـــةُ فاصلةٍ لفاصلةٍ مُمالةٍ، أو لمناسبةِ إمالةٍ سابقةٍ . أمّا ما كان من ٱلْعَادات النّطقيّة فهو إشارة الرّضيّ لبعضِ الإمالة الّتي يُنَبَّهُ فيها على أصلِ ٱلأَلِفِ ٱلْمُمالـــة.(٢)(٣)

ٱلْبَيَـــانُ : يقابِلُ الرّضيّ بهذا المصطلح حالةَ الإدغامِ الّذي يعني به المحافظـة على ٱستقلاليّةِ ٱلحرفِ، عكسَ ما يحصلُ عِنْدَ الإدغام ، وقد أكثرَ في هذا المصطلـــح الاعتمادَ على مقولاتِ سيبويهِ في تقويمِه الإدغامَ في حروفِ ٱلحلقِ، وما جاورها من أقصـى اللِّسان، من ذلكَ قولُ الرّضيّ عن إدغامِ الغَيْنِ في الخَاءِ : " قَالَ سِيبَوَيْهِ : ٱلْبَيَـــانُ أَحْسَنُ، وَٱلإِدْغَامُ حَسَنٌ " (٤) ، وقالَ الرّضيّ في إدغامِ ٱلهاءِ في الحاءِ نحو إجْبَـهْ حَاتِماً : " وَٱلْبَيَانُ أَحْسَنُ " (٤)، كما أنَّ الرّضيَّ قد يعبّر به عمّا يقابلُ أيَّ تغييـــــر قَدْ يطرَأُ على الصَّوتِ، حيثُ قال : " وَيَعْنِي بِٱلْبَيَانِ ٱلإِتْيَانَ بِٱلصَّادِ وَٱلسِّينِ صَرِيحَيْـنِ بِلا قَلْبٍ، وَلا إِشْرابِ صَوْتٍ " (٥) (٦) .

بَيْنَ بَيْنَ ٱلْمَشْهُور : نُطقٌ خاصٌّ بالهمزةِ المتحرّكة عند التّخفيف، ويُسمّى ولِـيّ وجهه: أنْ تُنطق ٱلهمزة بعد ٱلألف خاصّة بينها وبين حرف حركتها ، لامتناع سائر وجوه التّخفيف ٱلأخرى، قال الرّضيّ : " وَإِنْ كَانَتْ ٱلْهَمْزَةُ بَعْدَ ٱلأَلِفِ وَقَصَدْتَ ٱلتَّخْفِيفَ ... فَلَمْ يَبْـقَ إلاّ جَعْلُهُ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْمَشْهُـــورِ، لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَرِيبـــاً مِنَ ٱلسَّاكِنِ إلاّ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ حَـــالٍ

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٠ (وينظر مصطلح التجانس) .

(٢) ينظر ش ش ٣/ ٥ .

(٣) الكتاب ٣/ ٢٧٨ (الخليل يسمّاها الإجْنَاحَ) ، شرح المفصل ١٠/ ٥٢، قال في مفتاح العلوم : ١٧٣ : " ٱلإِمَالَةُ ، وَهِيَ أَنْ تَكْسِيَ الفَتْحَةَ كَسْرَةً، فَتَخْـرُجَ بَيْنَ بَيْنَ." الحدود النحوية : ١٤٧ " وَذَلِكَ أَنْ تَشْرِبَ ٱلْفَتْحَةَ شَيْئاً مِنْ صَوْتِ ٱلْكَسْرَةِ ، فَتَصِيرَ الفَتْحَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْكَسْرَةِ " .

(٤) ش ش ٣/ ٢٧٦ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٣٣

(٦) الكتاب ٤/ ٤٥١ ، ٤٤٥ ـ ٤٥٢ ، إعراب القرآن المنسوب: ١/

(*) ش ش ٣/ ٤ .

حَالِ مُتَحَرِّكٍ ، وَهٰذَا أَمْرٌ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ عِنْدَ قَصْدِ ٱلتَّخْفِيفِ لِٱنْسِدَادِ سَائِرِ أَبْوَابِ وُجُوهِ ٱلتَّخْفِيفِ " (١) (فهو على ما في التَّسهيل) . ويبدو أنّه أوّلُ مَنْ أصطلح عليه هكذا (٢) .

بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ : أنْ تُنْطقَ الهمزةُ المتحرِّكةُ على ما أرى بَيْنَها وبَيْنَ حرف حَرَكَةِ ماقبلها ، يقول الرَّضِيّ : " وَكَذَا ٱلْمَجْهُولَةُ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ تُدَبَّرُ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهَا " (٣) وقال أيضاً " لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ ، إِذْ لَا حَرَكَةَ لِمَا قَبْلَهَا " (٤) ، وذلك في سبب نُطقِ بَيْن بينَ المَشْهُورِ ، ويبدو أنّه أوّل من أصطلحَ عليه هكذا (٥) .

بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ : قالَ الرَّضيُّ في ٱلْإِمَالَةِ : " وَمَالَمْ تُبَالِغْ فِيهِ (يعني: ما لم تبالغ فيه إمالةَ الفتحةِ نحوَ ٱلكسرةِ) يُسَمَّى بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ " (٦) (٧) .

ٱلتَّبْيِينُ : يُرادِفُ به الإظهار ، إذْ هو نطقُ المثلين مستقلَّين دُونَ إدغامٍ أوإخفاءٍ قال في حَيِيَانِ : " جَازَ ٱلْإِخْفَاءُ وَٱلتَّبْيِينُ ، وَٱلتَّبْيِينُ أَوْلَى ، لِعَدَمِ ٱلْاسْتِثْقَالِ وَلَا يَجُوزُهَا هُنَا ٱلْإِدْغَامُ " (٨) ، ولم أقفْ على مَن سَبَقه .

تَجَانُسُ ٱلصَّوْتِ : هو مايحدثُ بين الأصواتِ المُتجاورة مِن ميلٍ إلى التَّشابُه في صفاتِها الصَّوْتيَّة ، قالَ الرَّضِيُّ (في إبدالِ سينِ يَسْدُلُ زاياً) : " فَقَرَّبُوا

---

(١) ش ش ٣/٣٩ ـ ٤٠ وينظر ٣/٤٣ .

(٢) وينظر شرح المراح : ١٧٧ ، والتّعريفات : ٣٣ .

(٣) ش ش ٣/٣١ .

(٤) ش ش ٣/٤٠

(٥) ينظر شرح المراح : ١٧٧ .

(٦) ش ش ٣/٤

(٧) يبدو أنّ المصطلح من إبداعات أهل التّجويد ، ينظر التحديد : ١٠٣ : "وَهِيَ تَسْمِيَةُ ٱلْقُرَّاءِ" ومنهاج التّوفيق : ٣٣٨ .

(٨) ش ش ٣/١١٦ .

ٱلسِّينَ مِنَ ٱلدَّالِ ، بِأَنْ قَلَبُوهَا زَايًا ، لِأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ ٱلسِّينِ وَمِثْلُهَا فِي ٱلصَّفِيرِ، وَتُوَافِقُ ٱلدَّالَ فِي ٱلْجَهْرِ، فَيَتَجَانَسُ ٱلصَّوْتَانِ " (١) ، وَقَالَ أَيْضًا فِي إِبْدَالِ السِّين صاداً قَبْلَ ٱلْأَصواتِ ٱلمستعلية : " فَأَبْدَلُوا مِنَ السِّينِ صَاداً ، لِأَنَّهَا تُوَافِقُ ٱلسِّينَ فِي ٱلْهَمْسِ وَٱلصَّفِيرِ ، وَتُوَافِقُ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفَ فِي ٱلْإِسْتِعْلَاءِ ، فَتَجَانَسَ ٱلصَّوْتُ بَعْدَ ٱلْقَلْبِ " (٢) ، ويصفُ هذا العملَ بقوله : " وَهٰذَا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِٱلْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ " (١٠) ، وَذٰلِكَ يَجْعَلُ التَّجانسَ مظهرًا واضحًا من مظاهرِ المماثلة الجزئيّة . (٣)

ٱلتَّخْفِيفُ : يرى الرضيُّ أنّ التّخفيفَ هو ٱلهدفُ منْ مجموعِ التّحولاتِ الصّوتيّة جميعًا ، بل ٱلأساسُ في أيّةِ عمليّة لغويّة . وعلى هذا يُمكن أنْ يكون التّخفيفُ أحدَ القوانين التّي تُراعى في التّطوراتِ الصّوتيّة من نحوِ الإعلال ، وتخفيفِ ٱلهمزة ، وبعض مظاهر الإبدال ، وكذلكَ يكونُ في ٱلتقاءِ السّاكنين ، وليس بالضّرورة أنْ تكونَ الحالةُ السّابقةُ للتّخفيف مستثقلةً ، ومن ٱلتّخفيفِ ما ذكرهُ قائلاً : " وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْهَمْزَةَ حَرْفٌ مُسْتَثْقَلٌ ، فَطَلَبُ ٱلتَّخْفِيفِ مَعَهَا أَكْثَرُ بِتَعَدُّدٍ بِل ٱلصَّوْتِ فِي مَجْمُوعِ ٱلْكَلِمَةِ " (٤) ، وَقَالَ فِيهِ : " ٱلتَّخْفِيفُ بِٱلْآخِرِ أَوْلَى " (٥) ، وقالَ ايضا " ٱلطَّرَفُ ٱلَّذِي هُوَ مَحَلُّ ٱلتَّخْفِيفِ " (٦) وهو سبب الاعلال . (٧) (٨)

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣١ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٣٠ .

(٣) يستعمل الزّمخشريّ مصطلح ٱلتجانسين بمعنى ٱلتماثلين ، المفصل : ٢٩٣، وشرح المفصل : ١٠/ ١٢١ ، ٥٢٦ ، شرح الجاربردي وحاشية ٱبن جماعة : ١/ ٢٣٥ .

(٤) ش ش ٣/ ١٣ .

(٥) ش ش ٣/ ٩٥

(٦) ش ش ٣/ ٨٦ .

(٧) ينظر ش ش ٣/ ٦٧ .

(٨) الكتاب ٤/ ٤٨١ ، ١١٣ .

تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ: وهو مصطلحٌ لسُلُوكِ العَرَبِيَّةِ الْحِجَازِيَّةِ في التَّخلّص من الْهَمْزَةِ، حيث يشملُ إبْدالَها، والحذفَ وبَيْنَ بَيْنَ (١)، وزادَ الرَّضِيُّ عليه مظهراً آخرَ في غيرِ هذا الموضع، وهو التَّخفيف بالقلب، قالَ الرَّضِيُّ: " فَيُقَالُ فِي يَسْأَلُونَ: يَاسْلُونَ، لِأَنَّ تَخْفِيفَهَا إِذَنْ بِالْقَلْبِ لَا بِالْحَذْفِ " (٢)، وهٰذا التَّخفيفُ في نظرِ العربيّةِ الْفصحى موضعُ استحسانٍ، قالَ الرَّضِيُّ: " وَالتَّخْفِيفُ اسْتِحْسَانٌ " (٣)، وجعلَها أُولى المتفرعاتِ ومن المستحسن في قراءةِ القُرْآنِ والأشْعارِ (٤) (٥).

التَّرْقِيقُ: وهو أحدُ مظاهرِ الإمالة، قال الرَّضِيُّ: " التَّرْقِيقُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْفَتْحَةِ قَبْلَ الْأَلِفِ فَقَطْ " (٦)، حيثُ يُنحَى بها نحو الكسرة. وهو هنا ليس مقابلاً لصفة التَّفخيم (٧).

التَّسْهِيلُ: قالَ الرَّضِيُّ: " وَمَعْنَى التَّسْهِيلِ: أَنْ تَأْتِيَ بِهَا (يعني: الْهَمْزَةَ) بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَبَيْنَ حَرْفِ حَرَكَتِهَا، وَتَجْعَلَ الْحَرَكَةَ عَلَيْهَا مُخْتَلَسَةً سَهْلَةً بِحَيْثُ تَكُونُ كَالسَّاكِنَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْهَا " (٨)(٩).

التَّضْعِيفُ: وهو تكرارُ الْحرفِ بمجيئه بعدَ مماثله سواءٌ على مستوى الْبِنْيةِ الصَّرفيَّةِ، أوْ مستوى النُّطقِ بها (الْمستوى الصَّوتي)، وسواءٌ أكانَ الصَّوتانِ مدغمَيْنِ أمْ غيرَ مدغمَيْنِ، فإنّه يُطلَق عليها هٰذا المصطلح، فمنه قولُ الرَّضِيِّ: " وَكَانَ حَقُّ الْحَاءِ أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ فِي بَابِ التَّضْعِيفِ مِنَ الْغَيْنِ وَالْخَاءِ، لِأَنَّهُ أَنْزَلُ مِنْهُمَا فِي الْحَلْقِ لَكِنَّهُ إِنَّمَا كَثُرَ نَحْوَ بَحَّ، وَزَحَّ، وَصَحَّ، وَفَحَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ مَهْمُوساً رَخْواً " (١٠)، وقالَ أيضاً

---

(١) ش ش ٣ / ٣٠ ومابعدها.
(٢) ش ش ٣ / ٣٩.
(٣) ش ش ٣ / ٣٢.
(٤) ش ش ٣ / ٢٥٤.
(٥) في الكتاب: ٣ / ٥٤١، الشافية: ٢٤١، الايضاح: ٢ / ٣٣٣، مفتاح العلوم: ١٧٤.
(٦) ش ش ٣ / ٤
(٧) لم اعثر على من أطلق هٰذه التسمية، ولعلّه أفادها من إطلاقهم التَّفخيم على الفتح، شرح المفصل: ٩ / ٥٤
(٨) ش ش ٣ / ٤٥.
(٩) ينظر التّحديد: ٩٩، منهاج التّوفيق: ٣٣٦
(١٠) ش ش ٣ / ٢٧٥.

"اعْلَمْ أَنَّهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ ٱلتَّضْعِيفَ غَايَةَ ٱلِاسْتِثْقَالِ، إِذْ عَلَى ٱللِّسَانِ كُلْفَةٌ شَدِيدَةٌ فِي ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلْمَخْرَجِ بَعْدَ ٱنْتِقَالِهِ عَنْهُ، وَلِهَذَا ٱلثِّقَلِ لَمْ يَصُوغُوا مِنَ ٱلْأَسْمَاءِ وَٱلْأَفْعَالِ رُبَاعِيًّا أَوْ خُمَاسِيًّا فِيهِ حَرْفَانِ أَصْلِيَّانِ مُتَمَاثِلَانِ بِلَا فَصْلٍ إِلَّا قَلِيلًا... لِثِقَلِ ٱلْبِنَاءَيْنِ، وَثِقَلِ ٱلْمِثْلَيْنِ" (١) وَذَلِكَ فِي نَحْوِ دَدَن وبَبَر، ويبدو التَّضعيفُ أكثرَ تعبيراً عن الحالة قبلَ الإدغامِ، وذلك بقوله: "بَلْ إِنَّمَا ضَعُفُوا حَيْثُ يُمْكِنُهُمُ ٱلْإِدْغَامُ؛ وَذَلِكَ بِتَمَاثُلِ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّامِ، إِذِ ٱلْفَاءُ لَوْ أُدْغِمَ فِي ٱلْعَيْنِ وَجَبَ إِسْكَانُهُ، وَلَا يُبْتَدَأُ بِالسَّاكِنِ" (٢) (٣).

تَقْرِيبُ ٱلصَّوْتِ: وَهُو المماثلة بشكلها العام والجزئيّة على وجهِ الخصوص، إذْ قالَ (مُشبِّهاً عملَ تجانسَ الصّوتَ بالإمالة): "وَهَذَا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِالْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ الصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ" (٤)، فهُو بتعبيرٍ دقيقٍ الانْسِجامُ الصَّوتيُّ (٥).

تَنَاسُبُ الأَصْواتِ: وجودُ علاقةٍ صوتيّة سواءٌ في المَخرجِ، أمْ في الصِّفة في عمليّة تجانسِ الصّوت بين الصّوتينِ المُتجاورَيْنِ مَعَ الصّوتِ المُختارِ، لأنْ يكونَ بدلاً لأحدِهما، فهذهِ العلاقةُ بينَ هذهِ الأصواتِ الثّلاثة هي (التّناسُب)، قالَ الرّضيُّ في يَصْدُرُ (بابدالِ الصّادِ زاياً): "فَتَنَاسَبَتِ ٱلْأَصْوَاتُ، لِأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ ٱلصَّادِ، وَأُخْتُهَا فِي ٱلصَّفِيرِ، وَهِيَ تُنَاسِبُ الدَّالَ فِي ٱلْجَهْرِ، وَعَدَمِ ٱلْإِطْبَاقِ" (٦) (٧).

تَنَافُر: يُشيرُ الرَّضيُّ بهذا المُصطلح إلى تَبايُنٍ في صِفاتِ صَوتيْنِ مُتجاورَيْنِ، وذلك مما يَتكلَّفُ اللِّسانُ في إخراجِهما، فيتمُّ لأجْلِ هذا التَّخلصُ من هذا التّنافرِ بقلبِ أحدِهما الى صوتٍ يُناسبُ الآخرَ، قالَ الرَّضيُّ (في أحوالِ النُّون): (ثُمَّ

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٢) ش ش ٣/ ٢٣٩.
(٣) في الكتاب: ٤/ ٤١٧ و ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠، شرح المفصل: ١٠/ ٥٥: "وَمَعْنَى التَّضعيفِ أَنْ يَتَجَاوَرَ ٱلْمِثْلَانِ".
(٤) ش ش ٣/ ٢٣١.
(٥) في الكتاب ٤/ ١١٧، الخصائص: ٢/ ٤٣، ٣/ ٦٦، التصريف الملوكي: ٩٣
(٦) ش ش ٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٧) ينظر شرح المفصل: ٩/ ٥٥، وتناسب الكلام في: سر الفصاحة: ١٧٧، ١٨٣. وينظر المماثلة التناسبية في الفصل الثاني والثالث: ١٠٤ و ١٦١.

بعدَ ذَلِكَ (يعني بعدَ الإخفاءِ) إنْ تنافرتْ هِيَ وَالْحرفُ الَّذي يَجيءُ بَعْدَها، وَهِيَ الْميمُ ... " (١). ولم أجِدْ من اسْتعملَه غيرَه ·

الحذْفُ الإعلاليُّ : وهوسقوطُ الصّائتِ لعلّةٍ؛ قالَ الرَّضيُّ : " يَعْني بِالْحذْفِ الإعلاليّ: ماحُذِفَ مُطّرِداً لِعِلَّةٍ، كَعصاً، وقاضٍ ".(٢) وهو اصْطلاح العلماءِ قبلَه حيثُ قال: " وَقَدْ اشْتهرَ في اصْطلاحِهِمْ الْحَذْفُ الإعلاليُّ لِلْحَذْفِ الَّذي يَكونُ لِعِلَّةٍ مُوجبَةٍ علَى سَبيلِ الاطِّرادِ كَحَذْفِ الفِ عَصاً، وياءِ قاضٍ " (٣)(٥) ·

حذْفُ الاعْتباطِ : (يُرادِفُ مصطلحَ الحذفِ التّرخيميّ) وهوَ الْحذفُ بِلا علّةٍ في نحوِ يَدٍ، ودَمٍ، يقولونَ عنه: "حذفُ الاعْتباطِ " (٤) (٥) ·

الحذْفُ التّرخيميُّ : قالَ الرَّضيُّ في الحذفِ في نحوِ يدٍ، ودمٍ " ... وَالتَّرخيميُّ ماحُذِفَ غيرَ مُطَّرِدٍ كمافي يَدٍ، وَدَمٍ " (٦)؛ وهواصْطلاحُ العلماءِ المشهورُ عنْهم؛ وقالَ أيضاً : " وَيقولونَ لِهٰذا أيضاً حَذْفٌ بِلا عِلَّةٍ، وَحَذْفُ الاعْتباطِ " (٤)، ومنه أيضاً " حَذْفُ الْعَيْنِ في سَهٍ وَمُذْ " (٧) (٨) ·

الحذْفُ نَسْياً : من تتبعي لورودِ هذا المصطلحِ تبيّنَ لي: أَنّ الرَّضيّ يقصدُ بهِ مايعنيهِ من الحذفِ بلا علّةٍ أو الحذفِ التّرخيميّ والاعتباطيّ، فمثلاً في (فَمٍ) سقطتْ لامُهُ نَسْياً (٩)، وفي تَصغيرِ عطاءٍ أيْ : عُطَيٌّ فإنّ سقوطَ الياءِ الثّالثةِ كانَ نَسْياً (١٠)، وفي الأسماءِ العشرةِ الّتي تردُ فيها الهمزةُ وصلاً حيثُ لامُها قدْ حُذِفَتْ نَسْياً (١١) (٥).

---

(١) ش ش ٣ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣، وينظر: ٣/٢١٦

(٢) ش ش ٣ / ٢٩٢

(٣) ش ش ٣ / ٦٧ ·

(٤) ش ك ١ / ١٤٩

(٥) استعماله لها يشير الى وجودها قبله، ولكني لم أقف على ذلك.

(٦) ش ش ٣ / ٢٩٢ وينظر ٣ / ٦٧ ·

(٧) ش ش ١ / ٢١٩ ·

(٨) في الكتاب ٢ / ٢٣٩ ·

(٩) ش ك ١ / ٢٩٧ ·

(١٠) ش ش : ١ / ٢٣١ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥٨ ·

(١١) ش ش ٢ / ٢٥١ ·

حَرْفٌ مُناسِبٌ (مُتَوَسِّط) : وهو ٱلْحرف ٱلّذي يمتلك صفاتٍ منسجمةً مع ما قُلِب عنه،ومع ٱلصّوت ٱلْمجاور ٱلّذي ٱستدعى هذا ٱلْقلْب؛لتنافر صفتيْ ٱلصّوتيْن ٱلْأصليّيْن ؛ قال ٱلرّضيّ في (معهم) بعد أنْ ذكرتنافر ٱلْعين والهاء : " فَطَلَبُوا حَرْفاً مُناسِباً لَهُمَا أَخَفَّ مِنْهُمَا،وَهُوَ ٱلْحَاءُ . . . وَأَمَّا مُناسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ،فَلِأَنَّهُمَا مِنْ وَسَطِ ٱلْحَلْقِ ، وَأَمَّا ٱلْهَاءُ فبالهمس وَالرَّخاوة " (١) وقال في أحوال النّون : " . . . ثُمَّ بَعدَ ذلك إنْ تَنافَرَتْ هِيَ وٱلْحَرْفُ ٱلّذي يجيءُ بَعْدَها ،وهي ٱلْبَاءُ فَقط ،كَمَا في عَنْبَر،قُلبت تلك النّونُ الخفيّةُ إلى حرفٍ متوسّطٍ بَيْنَ ٱلنّونِ ، وَذَلِكَ ٱلْحَرْفِ ، وَهِيَ ٱلمِيمُ " (٢) وقال أيضاً : " وَٱلنُّونُ ٱلْخَفِيَّةُ لَيْسَتْ إلّافي ٱلْغُنّةِ ٱلّتي مُعْتَمَدُهَا ٱلْأَنْفُ فَقَطْ ،وَٱلْبَاءُ مُعْتَمَدُهَا ٱلشَّفَةُ،وَيَتَعَسَّرُ ٱعْتِمادَانِ مُتَوالِيَانِ عَلَى مَخْرَجَيْ ٱلنَّفَسِ ٱلْمُتَباعِدَيْنِ،فَطُلِبَتْ حَرْفٌ تُقْلَبُ[النّونُ] إليها مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ ٱلنُّونِ وَٱلْبَاءِ ، فَوُجِدَتْ هِيَ ٱلمِيمُ ،لِأَنَّ فِيهِ ٱلْغُنَّةَ كَٱلنُّونِ ،وَهُوَ شَفَوِيٌّ كَٱلْبَاءِ " (٣) ولم أقف على من سبقه إلى هذا ٱلْإصطلاح .

ٱلسَّاكِنُ : تستند فكرة هذا ٱلْمصطلح على وجود الحركة بعد ٱلْحرف،أو عدمها ، فٱلْحرف ٱلّذي لم تعقبه إحدى ٱلْحركات يُوصف بأنّه ساكن،أمّا إذا أعقبته إحداها،فهو متحرّك ،وعلى هذا ٱلْأساس بنى الرّضيّ وبقيّة علماء ٱلْعربيّة فكرتهم عن ٱلسّاكن ، بل إنّ نظرتهم إلى ٱلْبنْية ٱلْمقطعيّة تمّ على هذا ٱلْأساس ، وعليه فإنّ ٱلْمصطلح يشمل بالضرورة أصوات ٱلْمدّ التي لا يُمكن أنْ تعقبها أيّة حركة ، قال الرضي : " ٱلسَّاكِنُ إمَّا حَرْفُ ٱلْعِلَّةِ أَوْ حَرْفٌ صَحِيحٌ " (٤) ومثّل لحروف العلّة بالمدّيات في (ٱلْقاضي وٱلْعُلَى ويَغْزُو) ،ولأجل عدم تحرّكها أبداً،فهو يصفها بأنّها عَرِيقَةٌ فِي ٱلسُّكُونِ (٥) وقال ٱلرّضيّ : " فِيمَا لا يَجُوزُ تَحْرِيكُهُ ٱلْأَلِفُ وَٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ ٱلزّائِدَتَانِ فِي بِنْيَةِ ٱلْكَلِمَةِ إِذَا كَانَتَا مَدَّتَيْنِ " (٦) ، وهو مصطلح كثير ٱلتّداول في ٱلدّرس ٱللّغوي .

ٱلسَّلاسَةُ : قال ٱلرّضيّ في سبب ٱستهجان ٱلتفرع الصّوتيّ (ٱلْجيم كٱلشّين في نحو: ٱجْتَمَعُوا،وأجْدَر) : " وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْجِيمِ وَٱلدَّالِ،وَلا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلتَّاءِ تَبايُنٌ

---

(١) ش ش ٢٦٦/٣ .

(٢) ش ش ٢٧٢/٣ .

(٣) ش ش ٢١٦/٣ .

(٤) ش ك ٤١٠/٢ .

(٥) للالف:ش ش ٢١٤/١ ،وللواو والياء:ش ش ٢٢٩/٢ ،قال " وَاوُ ٱلضَّمِيرِ وَيَاؤُهُ فَإنَّهُمَا عَرِيقَانِ فِي ٱلسُّكُونِ " .

(٦) ش ش ٣٣/٣ .

بَلْ هُمَا شَدِيدَتَانِ ، لٰكِنَّ ٱلطَّبْعَ رُبَّمَا يَمِيلُ لِاجْتِمَاعِ ٱلشَّدِيدَيْنِ إِلَى ٱلسَّلَاسَةِ وَٱللِّينِ ، فَيُشْرِبُ ٱلْجِيمَ مَا يُقَارِبُهُ فِي ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُوَ ٱلشِّينُ " (١) ، فالمصطلح يعبّر عن ميل نحو الحدّ الأدنى من الجهد ، بالتخلّص من الشديدين المتجاورين إلى تتابع : رخو وشديد . ولم أقف على من استعمله قبله في مثل هذا الموضع .

الفصل : النطق بالمثلين مستقلين من غير إدغام ، لوجود الحركة الفاصلة قال (معلقاً على كلام المصنف إنّ الإدغام يتمّ بإتيان حرفين ساكن ومتحرك) : " يَعْنِي أَنَّ ٱلْمُتَحَرِّكَ يَكُونُ بَعْدَ ٱلسَّاكِنِ ، وَإِلَّا لَيْسَتْ مِنَ ٱلْفَصْلِ : أَيْ فَكِّ أَحَدِ ٱلْحَرْفَيْنِ مِنَ ٱلْآخَرِ ، لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ " (٢) (٣) .

فكّ الحرفين : وهو يرادف الفصل (٤) .

القلب : وهو مصطلح ذو دلالات متعددة ، ترتبط بدلالة عامّة على مطلق إبدال حرف من حرف ، قال الرضيّ في قلب الصحاح : " فَطُلِبَتْ حَرْفٌ تُقْلَبُ ٱلنُّونُ إِلَيْهَا " (٥) ، وقال (يستعمل القلب بمعنى الإعلال) : " قَلْبُ ٱلْعَيْنِ فِي فَعَلٍ نَحْوُ : دَارٍ وَنَارٍ وَنَابٍ " (٦) ، وقد كثر استعماله بهاتين الدلالتين في موضوعات كتابه : (الإبدال والإعلال والإدغام) .

ويستعمله الرضيّ بدلالة أخرى محدّدة ، وقد خصّص له جزءاً من كتابه ، وهو ذلك القلب الذي عُرف (القلب المكانيّ) حيث حدّده قائلاً : " أَقُولُ : يَعْنِي بِٱلْقَلْبِ تَقْدِيمَ بَعْضِ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ ٱلْقَلْبُ فِي ٱلْمُعْتَلِّ وَٱلْمَهْمُوزِ " (٧) . ومثّل له بـ (اكْرَهَفَّ وَاضْحَلَّ أمام اكْفَهَرَّ وَاضْمَحَلَّ) ، وعلى هذا فإنّه لا يسلّم بما اصطلح عليه الصرفيون من دلالة القلب الذي ذكره في مقدمة الإعلال حيث قال :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٦ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٣٤ .
(٣) في الكتاب : ٤ / ٤٣٨ و ٤٤٣ ، شرح المفصل ، ١٠ / ١٢١ .
(٤) في الكتاب : ١ / ٤١٣ .
(٥) ش ش ٣ / ٢١٦ ، وينظر : ٣ / ٢٦٤ ، " ٱلْقَلْبُ مُقَدَّمٌ لِلْإِدْغَامِ " .
(٦) ش ش ٣ / ٢٤٢ ، وينظر : ٣ / ٩٥ و ١٥٧ .
(٧) ش ش ١ / ٢١ .

" لَفظُ ٱلْقَلْبِ يَخْتَصُّ فِي ٱصْطِلَاحِهِم بِإِبْدَالِ حُرُوفِ ٱلْعِلَّةِ وَٱلْهَمْزَةِ بَعْضُهَا مَكَانَ بَعْضٍ " (١) (٢) .

لا أَبْنِيَة وَلا أَحْوَال أَبْنِيَة: قال ٱلرَّضيّ (وهو يقسّم موضوعات علم ٱلصّرف) : " فَهٰذِهِ ٱلْمَذْكُورَاتُ (يعني : ٱلإبتداء وٱلإمالة ...) أَحْوَالُ أَبْنِيَةٍ ، وَبَاقِي مَاذُكِرَ هُوَ ٱلْأَبْنِيَةُ إِلَّا ٱلْوَقْفَ وَٱلْتِقَاءَ ٱلسَّاكِنَيْنِ فِي كَلِمَتَيْنِ وَٱلإِدْغَامَ فِيهِمَا، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةَ لَا أَبْنِيَةَ وَلَا أَحْوَالَ أَبْنِيَةٍ " (*) ، إذ يشير به إلى مجموعة التّحولات الصّوتيّة الّتي تتجاوز مستوى ٱلبناء المفرد إلى مستوى التّركيب (ٱلنّحو)، ويمكن أنْ يكون ٱلْمصطلح مرادفاً ماعُرِف عند ٱلمحدثين بالظّاهرة ٱلنّحويّة ٱلتّشكيليّة (**) ؛ ولم يسبق ٱلرّضيّ إلى مثل هذا بحسب تتبعي .

ٱلْمُتَقَارِبَة: يقصد ٱلرّضيّ بهذا ٱلْمصطلح ماكان من ٱلأصوات متقارباً مخرجياً؛ إذْ هو ٱلأساس في هذا ٱلتّقارب، وماكان من ٱلتّقارب في الصّفات، فإنّه يُحمل عليه، قال ٱلرّضيّ (في ادغام السين في الشين) " لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ، فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ تَبَاعَدَ مَخْرَجَاهُمَا " (٣)، وقال أيضاً: " فَجَعَلَ ٱلتَّقَارُبَ فِي ٱلصِّفَةِ كَٱلتَّقَارُبِ فِي ٱلْمَخْرَجِ " (٤)، وقد جعل قياس إدغام حروف ٱلْحلق مستنداً الى هذا ٱلتّقارب ٱلْمخرجي بإدغام ٱلأدخل في ٱلأعلى (٥) وقال في مقدمة إدغام ٱلْمتقاربين : " أقول: شَرَعَ فِي بَيَانِ إِدْغَامِ ٱلْمُتَقَارِبَةِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ... " (٦) وقال أيضاً : " إِذَا ٱجْتَمَعَ مِنَ ٱلْمتقاربة شيئان : فَإِنْ كَانَا فِي كَلِمَتَيْنِ نَحْوُ: مِنْ مِثْلِكَ، فَإِنَّهُ يُدْغَمُ أَحَدُهُمَا فِي ٱلْآخَرِ ... " (٧) (٨) .

ٱلْمُتَحَرِّك: (ينظر مصطلح ٱلسّاكن)، ويمكن أنْ تُوصف به جميع ٱلْحروف ٱلصّحاح من النّاحية النّظريّة، وكذلك توصف به ٱلْواو وٱلْياء في حالة قلّة مدّها ، ويرى ٱلرّضيّ : " ... إنّ ٱلْحَرَكَةَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ بَعْضُ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلْمُتَحَرِّكِ بِلَا فَصْلٍ " (٩) ، وهو من ٱلإصطلاحات ٱلشّائعة في الدّرس اللغوي .

ٱلْمُجَانَسَة: بمعنى ٱلإتباع، فعند الرّضيّ أنّ كسر ميم (عليهِمِ) بعد ٱلْهاء ٱلْمضمومة للمجانسة مع ٱلْياء (١٠) (١١) .

ٱلْمُضَارَعَة: قال ٱلرّضيّ : " إِذَا تَحَرَّكَتِ ٱلصَّادُ وَبَعْدَهَا دَالٌ أُشِمَّ ٱلصَّادُ صَوْتَ ٱلزَّايِ، وَلَا يَجُوزُ قَلْبُهَا زَاياً صَرِيحَةً، لِوُقُوعِ ٱلْحَرَكَةِ فَاصِلَةً بَيْنَهُمَا، وَأَيْضاً فَإِنَّ ٱلْحَرْفَ يَقْوَى بِٱلْحَرَكَةِ فَلَمْ يُقْلَبْ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْمُضَارَعَةُ بِٱلْمُجَاوَرَةِ " (١٢) ذلك في صَدَقَ وَصَدَرَ . وقال أيضاً (في يزدل) وإنّه لايجوز " أَنْ تُشْرَبَ ٱلسِّينُ صَوْتَ ٱلزَّايِ ، كَمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ فِي ٱلصَّادِ ، نَحْوَ يَصْدُرُ، لِأَنَّ فِي ٱلصَّادِ إِطْبَاقاً ، فَضَارَعُوا لِئَلَّا يَذْهَبَ ٱلْإِطْبَاقُ بِٱلْقَلْبِ " (١٣) .

---

(١) ش ش ٣/٦٧ .
(٢) في الكتاب ٤/٣٦٤، ٤٤٧، ٣٦٥/٣ ـ ٣٦٨ ، الخصائص : ٦٦/٢ و ٦٩ ، ١٦٣/٣، ٦٤/١ ، المفصل : ٣٩٦ ، الايضاح : ٤١٩/٢ ، ٤٩٢ .
(٣) ش ش ٢٧٨/٣ .
(٤) ش ش ٢٧١/٣ .
(٥) (٦) ش ش ٢٦٤/٣ .
(٧) ش ش ٢٦٧/٣ .
(٨) في الكتاب : ٤٤٧/٤ ، الخصائص : ٤٩٦/٢ ، الايضاح : ٤٨٠/٢ ، المقرب : ٣٦٠
(٩) ش ش ١١٨/١ .
(١٠) ش ك ١٢/٢ . (١١) في الانصاف : ٧٣٨/٢ . (١٢) ش ش ٢٣٢/٣ .
(١٣) ش ش ٢٣١/٣ .
(*) ش ش ١٥/١ .
(**) اسس علم اللغة : ١٠٧، حاشية (٢) .

فالمضارعة الظاهرة الصوتيّة التي وسيلتها الإشمام أو الإشراب، وهي عنده قريبة على خطّ الإمالة فقد قال : " جَعَل الصّاد مُضارِعاً للزّاي ، بأنْ يُنْحى بالصّاد نَحْوَ الزّاي (١) " كما يُنحى بالفتحة نحو الكسرة . (٢)

مَقاطِعُ الكَلام : وهي نهايات السّلاسل الصوتيّة (أيْ : فواصِلها) ، قال الرضيّ : " يَعْني بالكَلام ما لا وَقْفَ فيه، وبالفَواصِل رُؤوسَ الآي وَمَقاطِعَ الكَلام " (٣) (٤) .

المُناسَبَة : يستعمل الرّضيّ هذا المصطلح للاشارة إلى مطلق التّشابه الصّوتيّ، كما في الإمالة الّتي قال فيها : " وَسَبَبُ الإمالَةِ إمّا قَصْدُ مُناسَبَةِ صَوْتٍ نُطْقِكَ بالفَتْحَةِ لِصَوْتِ نُطْقِكَ بالكَسْرَةِ الّتي قَبْلَها كَعِماد ، أوْ بَعْدَها كَعالِمٍ ، أوْ لِصَوْتِ نُطْقِكَ بالياء كَسَيّالٍ وَشَيْبان ، أوْ قَصْدُ مُناسَبَةِ فاصِلَةٍ لِفاصِلَةٍ مُمالَةٍ ، أوْ قَصْدُ مُناسَبَةِ إمالَةٍ لإمالَةٍ قَبْلَ الفَتْحَةِ، أوْ قَصْدُ مُناسبةِ صَوْتِ نُطْقِكَ بالألِفِ بِصَوْتِ نُطْقِكَ بِأصْلِ تِلْكَ الألِفِ " (٥) وقال الرضي : " مُناسَبَةُ حُروفِ العِلَّةِ بَعْضِها لِبَعْضٍ أكْثَرُ " (٦) (٧) .

نَسَقٌ واحِدٌ : وهو تساوي الجهد المبذول عند النّطق بصوتيْن متتاليَيْن ، حيث قال الرّضيّ في سبب إظهار النّون مع حروف الحلق : " لأنّ حَرْفَ الحَلْقِ يَحْتاجُ إلى فَضْلِ اعْتِمادٍ، فَتَجْري النّونُ عَلى أَصْلِها مِنْ فَضْلِ الاعْتِمادِ لِيَجْرِيَ الاعْتِمادُ عَلى نَسَقٍ واحِدٍ " (٨) ولم أقف على سابق له في استعماله ههنا .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٣٢ .

(٢) في الكتاب : ٤ / ٤٧٧ ، سر الصّناعة : ١ / ٥٨ ، الشّافية : ٢٥٠ ، شرح الجاربردي : ١ / ٣٢٥ ، وحاشية ابن جماعة : ١ / ٣٢٥ .

(٣) ش ش ٢ / ٣٠٢ .

(٤) ينظر : الصّناعتين : ٤٣٨ .

(٥) ش ش ٣ / ٥ .

(٦) ش ك ٢ / ١٦٢ .

(٧) استعملها أولاً ابن الحاجب في الشّافية : ٢٣٩ ، ش ش ١ / ٤ ، (في المتن) .

(٨) ش ش ٣ / ٢٧٣ .

نَقْلُ ٱلْحَرَكَةِ : وهو مصطلح ٱلْقلب ٱلْمكاني بين ٱلصّحاح وٱلْحركات، وهو سلوك واضح في ظاهرة ٱلْاعلال، وفي الوقف مع سكون ٱلْحرف ٱلسّابق . قال الرّضيّ : " ... وَكَذَا فِي نَقْلِ حَرَكَةِ ٱلْعَيْنِ ٱلْمَزِيدِ فِيهِ إِلَى ٱلسَّاكِنِ ، كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا فِي نَحْوِ ٱلْإِقَامَةِ وَٱلْإِسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ فِيهِ قَلْباً وَنَقْلاً ... " (١) ، وقال : " ... وَبَعْدَ ٱلْإِسْكَانِ تُنْقَلُ ٱلْحَرَكَةُ إِلَى ذَلِكَ ٱلسَّاكِنِ ٱلْمُتَقَدِّمِ تَنْبِيهاً عَلَى ٱلْبِنْيَةِ " (٢) ، وقال في أنواع ٱلْوقف : " ... وَهِيَ : ٱلْإِسْكَانُ ، وَٱلرَّوْمُ ، وَٱلْإِشْمَامُ و ... نَقْلُ ٱلْحَرَكَةِ " (٣) ، وقال أيضاً : " فَإِنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا سَاكِناً ، نَقَلُوا حَرَكَتَهَا إِلَى مَاقَبْلَهَا وَحَذَفُوهَا " (٤) (٥) .

ٱلْوَقْفُ : قال الرّضيّ بعد ذكر وجوه ٱلْوقف : " ... فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلْمَذْكُورَاتِ أَحْكَامُ ٱلْوَقْفِ : أي ٱلسُّكُونِ عَلَى آخِرِ ٱلْكَلِمَةِ مُخْتَاراً ، لِتَمَامِ ٱلْكَلَامِ " (٦) ، وفي حدّ ٱبن ٱلْحاجب : " قَطْعُ ٱلْكَلِمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا " ، قال ٱلرّضيّ : " قَوْلُهُ : (عَمَّا بَعْدَهَا) يُوهِمُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ ٱلْوَقْفُ عَلَى كَلِمَةٍ إِلَّا وَبَعْدَهَا شَيْءٌ " (٦) (٧) .

ٱلْوَقْفُ ٱلصِّنَاعِيُّ : وهو الوقف ٱلّذي يعمله المتكلم ٱلّذي لا يفيدُ ٱلْانتهاء من الكلام ، قال ٱلرّضيّ : " وَلَا يُرِيدُ بِٱلْوَقْفِ ٱلْوَقْفَ ٱلصِّنَاعِيَّ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَلَى ٱلسَّاكِنِ أَوْ شِبْهِهِ مِمَّا يُرَامُ حَرَكَتُهُ ، بَلْ يُرِيدُ بِهِ ٱلسُّكُوتَ وَٱلْإِنْتِهَاءَ " (٨) (٩) .

ٱلْمُصْطَلَحَاتُ ٱلصَّوْتِيَّةُ ٱلْعَامَّةُ :

ٱلْإِشْبَاعُ : وهو مصطلح مطل ٱلْحركات بإطالة التّصويت بها فيتولّد عنها أصوات ٱلْمدّ ٱلْمجانسة لها ، قال الرّضيّ : " ٱلْفَتْحُ يُشْبَعُ فَيَتَوَلَّدُ ٱلْأَلِفُ " (١٠) ، وقال : " ... وَإِشْبَاعُ ٱلضَّمِّ وَإِشْبَاعُ ٱلْكَسْرِ ... " (١١) ، وقال (في ٱلْمجهورة) :

---

(١) ش ش ٣ / ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(٢) ش ش ٢ / ٣٢١ .

(٣) ش ش ٢ / ٢٧١ .

(٤) ش ش ٢ / ٣١٤ .

(٥) ٱستعمله ٱبن ٱلحاجب ش ش ٢ / ٣٢١ (المتن) ، الايضاح ٢ / ٣٠٥ ــ ٣٠٦ ، شرح المفصل : ٩ / ٧١ ــ ٧٢ .

(٦) ش ش ٢ / ٢٧١ .

(٧) في الكتاب : ٤ / ١٧٣ ، حاشية الصّبان : ٤ / ٢٠٣ ، التّعريفات : ١٣٨ ، لطائف الإشارات : ٢٤٨ .

(٨) ش ش ٢ / ٢٥١ .

(٩)

(١٠) ش ك ٢ / ١٢ ، وأيضاً ٢ / ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٣٠ .

(١١) ش ك ٢ / ٩ .

"وتُمْتَحَنُ ٱلْمَجْهُورَةُ بِأَنْ تُكَرِّرَهَا مَفْتُوحَةً أَوْ مَضْمُومَةً أو مَكْسُورَةً رَفَعْتَ صَوْتَكَ بِهَا أَوْ أَخْفَيْتَهُ؛ سواءُ أَشْبَعْتَ ٱلْحَرَكَاتِ حَتَّى تَتَوَلَّدَ ٱلْحُرُوفُ ، نَحْوَ قَاقَاقَا ، وقُوقُوقُو ، وقِي قِي قِي ، أَوْلَمْ تُشْبِعْهَا نَحْوَ قَقَقَ ... "(١) ، وقال أيضاً : " وإنَّمَا جَازَ إِشْبَاعُ ٱلْحَرَكَاتِ، لِأَنَّ ٱلْوَاوَ وَٱلْأَلِفَ وَٱلْيَاءَ أَيْضاً مَجْهُورَةٌ فَلَا يَجْرِي مَعَ صَوْتِهَا ٱلنَّفَسُ " (١)
ومنه آستفدتُ دلالةَ إشباع ٱلِاعْتماد كما مرّ في مصطلح ٱلِاعْتماد (٢) .

ٱلتَّصْوِيتُ : وهو عملية إنتاج ٱلصّوت سواءُ أكان ٱلصّوتُ لغوياً أم غير لغويٍّ ، قال ٱلرّضيّ : " ٱلْمَجْهُورَةُ لَا ٱعْتِبَارَ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ ٱلصَّوْتِ ، بَلْ ٱلِاعْتِبَارُ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ ٱلنَّفَسِ عِنْدَ ٱلتَّصْوِيتِ بِهَا "(٣) ، وقال في ٱلأصوات ٱلّتي يستعملها ٱلإنسان مع ٱلحيوان : " ... مقارناً ذلِكَ ٱلتَّصْوِيتَ عَلَى ذَلِكَ ٱلْأَمْرِ ، إِمَّا بِضَرْبِهِ أَوْ تَأْدِيبِهِ "(٤)(٥)

جَرَسُ ٱلْحَرْفِ : يبدو أنّ ٱلرّضيّ يشير بهذا ٱلمصطلح إلى ٱلِانطباع ٱلسّمعيّ ٱلمميّز لهذا ٱلصّوت أو ذاك ، فهو لهذا تعبير عن مجمل صفات ٱلصّوت ٱلمنطوق ، قال ٱلرّضيّ " وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْحَرْفَ أَوِ ٱلْحَرَكَةَ ٱلَّتِي تَلِي ٱلْحَرْفَ تُبِينُ جَرَسَهُ "(٦) ، وقال أيضاً : " لِأَنَّ أَخْذَكَ فِي جَرَسِ حَرْفٍ آخَرَ يُبَيِّنُ جَرَسَ ٱلْأَوَّلِ ، وَإِنْ كَانَ خَفِيّاً "(٧)(٨)

جَرْيُ ٱلصَّوْتِ : وهو آستمرار التّصويت بسبب آستمرار خروج هواء ٱلزّفير ، وهو من الاعتبارات المهمة في تمايز الاصوات ، قال الرّضيّ : " وَٱلْمَجْهُورَةُ لَا ٱعْتِبَارَ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ ٱلصَّوْتِ "(٣) ، وقال أيضاً : " فَإِذَا أَشْبَعْتَ ٱلِاعْتِمَادَ ، فَإِنْ جَرَى ٱلصَّوْتُ كَمَا فِي ٱلضَّادِ وَٱلظَّاءِ وَٱلزَّايِ وَٱلْعَيْنِ وَٱلْغَيْنِ وَٱلْيَاءِ ، فَهِيَ مَجْهُورَةٌ رَخْوَةٌ ، وَإِنْ أَشْبَعْتَهُ وَلَمْ يَجْرِ ٱلصَّوْتُ كَٱلْقَافِ وَٱلْجِيمِ وَٱلطَّاءِ وَٱلدَّالِ ، فَهِيَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ "(٩) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٩ .
(٢) في الكتاب : ٤/ ٢٠٢ ، ادغام ٱلْقراء : ٩ ، إعرابُ ٱلْقرآن المنسوب : ١/ ٢٢٠ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٤) ش ك ٢/ ٨٠ .
(٥) في الايضاح ٢/ ٤٨٦ ، الموضح : ٩٩ .
(٦) ش ش ٢/ ٣١١ .
(٧) ش ش ٢/ ٢٨٦ .
(٨) في العين : ١/ ٥٣ ، ٥٦ ، التّهذيب : ١/ ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، الجمهرة ١/ ٤ ، ينقل عن الاخفش : " ٱلألفُ جَرَسٌ بلا حَرْفٍ " ، الخصائص : ١/ ٥٧ ، لطائف الاشارات : ١/ ٢٠٢ : "كأنَّه ٱلحرفُ الصّوتيّ " .
(٩) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

وعدم جري الصّوت لا يعني احتباسه وتوقفه بل إنّه يُسْمَعُ في آنٍ ثُمَّ ينقطع، قال الرّضيّ : "أنّ الشّدِيدَةَ لا يَجْرِي الصَّوْتُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا بَلْ تَسْمَعُهُ فِي آنٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ" (١) (٢).

جَرْيُ النَّفَسِ : يستعمله الرّضيّ خاصاً به الأصوات المجهورة والمهموسة، فهو ذو دور متميّز في تباين الأصوات اللّغوية، قال الرّضيّ في امتحان المجهورة : " .. فَإِنَّكَ تَرَى الصَّوْتَ يَجْرِي وَلَا يَنْقَطِعُ، وَلَا يَجْرِي النَّفَسُ إِلَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ الاعْتِمَادِ، وَسُكُونِ الصَّوْتِ، وَأَمَّا مَعَ الصَّوْتِ فَلَا يَجْرِي ذَلِكَ، لِأَنَّ النَّفَسَ الخَارِجَ مِنَ الصَّدْرِ - وَهُوَ مُرَكَّبُ الصَّوْتِ - يَحْتَبِسُ إِذَا اشْتَدَّ اعْتِمَادُ النَّاطِقِ عَلَى مَخْرَجِ الحَرْفِ، إِذِ الاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الحَلْقِ وَالفَمِ، يَحْبِسُ النَّفَسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ، وَإِنَّمَا يَجْرِي النَّفَسُ إِذَا ضَعُفَ الاعْتِمَادُ" (٣)، وفي علامة الجهر قال : " وَعَلَامَتُهُ عَدَمُ جَرْيِ النَّفَسِ " (٤) فجري النّفس إذن هو: خروج الهواء القادم من الصّدر ومن الممرّ المخرجيّ إلى خارج الفم (٥).

جَوْهَرُ (الحَرْفِ) : وهو مصطلح الكيان الأساسي للصّوت المعين المستقلّ عن بقيّة الأصوات، وهو التّحقيق الفعليّ للصوت عند النّطق، إذ قال الرّضيّ : " وَالأَصْلُ عَدَمُ إِخْرَاجِ الحَرْفِ عَنْ جَوْهَرِهِ " (٦)، وقلت التّحقيق الفعليّ، لأنّ الرّضيّ يقول : " وَالتَّحْقِيقُ هُوَ الأَصْلُ كَسَائِرِ الحُرُوفِ " (٧)، وقال (مشيراً إلى أنّ الجوهر هو صفات الصّوت، وذلك في وصفه للمهموسة) : " إِنَّ جَوْهَرَهَا لِضَعْفِ الاعْتِمَادِ عَلَى مَخَارِجِهَا لَا يَحْبِسُ النَّفَسَ " (٣) وإذا كانت الأصوات عند الفصل عن بعضها يظهر جوهرها (٨)، فإنّ وجود الحركة تابعة لها تسلبها شيئاً منه، لأنّها كما قال الرّضيّ : " تَغُتُّ فِي عَضُدِ هَاءٍ وَتُشْرِبُهَا شَيْئاً مِنْ جَوْهَرِ نَفْسِهَا، وَتُمِيلُهَا إِلَى مَخْرَجِهَا قَلِيلاً " (٩)، وهو إدراك للتأثيرات الموقعيّة على كيان الأصوات بيد أنّه غير مسبوق بهذا الاصطلاح.

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٠.

(٢) في: الكتاب: ٤/ ٣٤، وينظر: حد الشّديدة والرّخوة عند متابعي سيبويه.

(٣) ش ش ٣/ ٢٥٩.

(٤) ش ش ٣/ ٢٦٠.

(٥) في: الكتاب: ٤/ ٤٣٤، (وجميع تعريفات المجهور والمهموس للّذين تبعوا سيبويه).

(٦) ش ش ٣/ ٤٥.

(٧) ش ش ٣/ ٣٢.

(٨) ش ش ٣/ ٧.

(٩) ش ش ٣/ ١٠.

ٱلْحَرْفُ : قالَ الرّضيّ : " وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ (يعني ٱلصّوت ٱلسّاذج) (١) " (٢) (وسيأتي ٱلصّوت ٱلسّاذج) فعبر آليّة ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة يتمّ إحداث هيئات للصّوت غير ٱلْمتميّز بعضه عن بعض، وهو مصطلح قديم في ٱلدّرس ٱللّغويّ ٱلْعربيّ .

ٱلدَّرْجُ : وهو مصطلح لعمليّة ٱستمرار ٱلْحدث ٱلْكلاميّ ، قالَ الرّضيّ في نحو تَتَنَزَّلُ وتَنَزَّلُ " وَإِذَا أُدْغِمَ لَمْ يَجْتَلِبْ لَهُ هَمْزَةَ ٱلْوَصْلِ كَمَا فِي ٱلْمَاضِي، لِثِقَلِ ٱلْمُضَارِعِ، بِخِلَافِ ٱلْمَاضِي بَلْ لَا يُدْغِمُ إِلَّا فِي ٱلدَّرْجِ، لِيُكْتَفَى بِحَرَكَةِ مَا قَبْلَهُ نَحْوَ: قَالَ تَّنَزَّلُ " (٣) ، وقال أيضاً: " فَلَابُدَّ مِنْ سُقُوطِ أَلِفِ ٱللّهِ فِي ٱلدَّرْجِ " (٤) (يَعْنِي ٱلْهَمزة) (٥) .

ٱلصَّوْتُ : ويقصد به ٱلانطباع ٱلسّمعيّ ٱلْمميّز لكلّ حرفٍ من ٱلْحروف، فلذلك يرادف ٱلرّضيّ به معنى ٱلْحرف، فنراهُ يُطْلِقُ على ٱلْجهازِ ٱلصّوتيّ مرةً (آلة الحروف)، ومرةً أخرى (آلة ٱلصّوت)، وقد ٱستعمله بشكل محدودٍ جداً ما يمكن أنْ يُشير به إلى ٱلصَّفير أو ٱلرّخاوة ، حيث قال عن الشين والسين : " لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ " (٦) أو يُشير به إلى مجموعةِ ٱلأصوات غير ٱللّغويّة كأصوات ٱلْجمادات، وما يُصَوَّتُ به لِلْحيوان، ويأتي مثل هذا محدداً بما بعده. (٧) (٨) .

ٱلصَّوْتُ ٱلسَّاذِجُ : يعتقد ٱلرّضيّ أنّ ٱلأصوات في مادّتها الأوّليّة ساذجة بسيطة غير مركّبة، فهي لأجل هذا غير متميّزة عن بعضها ، إذْ قالَ : " لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ ٱلسَّاذِجَ ٱلَّذِي هُوَ مَحَلُّ ٱلْحُرُوفِ ـ وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ ـ غَيْرُ مُخَالِفٍ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ... فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَلَوْلَا ٱخْتِلَافُ أَوْضَاعِ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ ... لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ ، إِذْ لَا شَيْءَ هُنَاكَ يُمْكِنُ ٱخْتِلَافُ ٱلْحُرُوفِ بِسَبَبِهِ إِلَّا مَادَّتَهَا وَآلَتَهَا " (٢) ، وقال فيما يصوّت به لِلْحيوان : " وَإِنَّمَا ضَمُّوا لِمِثْلِ

---

(٢) شرش ٣ / ٢٥٠ .

(١) يبدو لي أنّ أوّل من قدّم من نحو هذه ٱلصّياغة هو ٱبنُ سينا (أسباب حدوث ٱلْحروف: ٦٠)

(٣) ش ش ٣ / ٢٤٠ وينظر ٢ / ٢٢٤ ، ٢٧٦ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٩٣ .

(٥) يستعمل الكتاب ههنا مصطلح الكلام: (٤ / ١٥٠) وقد ٱستعمله ٱلرّمانيّ في: منازل الحروف : ٢٤ " لِأنّك تثبتُها في درج ٱلْكلام ... "

(٦) ش ش ٣ / ٢٧٨ .

(٧) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٨) في الكتاب : ٤ / ٣٥ ، ٤٣ ، سر ٱلصّناعة: ١ / ٩ ، شرح المفصل : ١٠ / ١٢٤ ، ====

هٰذَا ٱلْغَرَضِ صَوْتاً مُرَكَّباً مِنَ ٱلْحُرُوفِ وَلَمْ يَقْنَعُوا بِسَاذِجِ ٱلصَّوْتِ لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُشْتَبَهُ ٱلْأَفْرَادِ وَتَمَايُزُهَا بِٱلتَّقْطِيعِ وَٱلِاعْتِمَادِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ سَهْلٌ " (١) (٢) .

مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ : وهو ٱلصّوت ٱلسّاذج جعله مَادَّةً أَوَّلِيَّةً لِلْأَصْوَاتِ ، قَالَ الرَّضِيّ : " فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ... " (٣) وسبق ٱلصّوت ٱلسّاذج ولم أقف على من ٱستعمله قبله .

ٱلْمُتَفَرِّعُ : ويصطلح به على مجموعة ٱلأصوات ٱلخارجة عن الأداء الاعتيادي في العربية الفصحى المشتركة ، باخراج حروف بين صوتين من اصوات العربية ويتم ذلك عبر طرق متعدّدة جمعها بقوله : " يَعْنِي بِٱلْمُتَفَرِّعِ حَرْفاً يَتَفَرَّعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَذْكُورَةِ قَبِيلَ بِإِشْرَابِهَا صَوْتاً مِنْ غَيْرِهَا " (٤) ، وهي :

١ . متفرعات ناتجة عن ٱلتّعامليّة من نحو : (ٱلنّون ٱلخفيّة ولام ٱلتّفخيم وٱلصّاد كٱلزّاي ، وغيرها) .

٢ . متفرعات لمستوى لهجيّ (محليّ) من نحو : (ألف ٱلإمالة ، وٱلياء كٱلواو وٱلواو كالياء) (٥) .

٣ . متفرعات لتداخل أجنبي : من نحو : (ٱلطّاء كٱلتّاء وٱلفاء كٱلباء وٱلضّاد ٱلضّعيفة)

ولمّا كانت هذه ٱلمتفرعات في نظر العربيّة ماهي إلّا اختلافات متفاوتة في ٱلقيم ٱلصّوتيّة ، ولم يُجعل لها أيّ أثر في تغيير معنى ٱلكلمة ٱلدّاخلة فيها فإنّه يمكن عدّها بحسب مايصطلح عليه عند ٱلمحدثين بـ " ٱلهيئات ٱلصّوتيّة ـ أو ٱلألفونات " (٦)(٧) .

مُرَكَّبُ ٱلصَّوْتِ : قَالَ ٱلرَّضِيّ : " ... لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ ـ وَهُوَ مُرَكَّبُ ٱلصَّوْتِ ـ يَحْتَبِسُ ، إِذَا ٱشْتَدَّ ٱعْتِمَادُ ٱلنَّاطِقِ عَلَى مَخْرَجِ ٱلْحَرْفِ ، إِذِ ٱلِاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ " (٨) وتصوّر ٱلرّضيّ في هذا

==== التعريفات : ٧٧ " كيفية قائمة بالهواء يحملها الى الصماخ " وينظر شروح الحدود ٣٨ .

(١) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٢) قال ابن جني في سرّ ٱلصّناعة : ١ / ٩ : " فَإِنَّ ٱلصَّوْتَ يَخْرُجُ فِيهِ (يعني : ٱلنّاي) مستطيلاً أملس ساذجاً " .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٥٤ . (٥) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٧ .

(٦) الفونيم : ٨٢ النّظريّات الصّوتيّة في كتاب سيبويه : ١٤٨ .

(٧) اصطلاح الكتاب : ٤ / ٤٣٢ : فرع ، وفي الايضاح : ٢ / ٤٨٢ : المتفرع .

(٨) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

المصطلح قد بلغ نضجاً كبيراً فيما عبّر به عن "مركب الصّوت" ، فعملية إنتاج الصّوت عند الرّضيّ تتسمّ بوجود النّفس (الحامل) ، والصّوت (المحمول) ، وهذا التّصور تمثّله أحدث الأبحاث الصّوتية في (نظريّة الحامل) الّتي يقول عنها أحد الباحثين : "تتضمن عملية الكلام الطّبيعيّة من وجهة النّظر السّمعيّة (Acoustics) إنتاج مجموعة من الموجات الصّوتيّة ، ومعنى هذا وجود موجة تسمى : موجة الأساس (Fundamental) ، ومجموعة من الموجات الأخرى الّتي تتوافق معها "(١) ، فالموجات المتوافقة في نظر الرّضيّ تكمن في الصّوت المحمول، وموجة الأساس هو النّفس الخارج من الصّدر، والصّفات الصّوتيّة "تتمثّل في عدد الموجات التّوافقيّة الّتي تتحد مع الحامل ، فترسل الصّفات الصّوتيّة جميعاً في نفس الوقت حسب عدد هذه الموجات التّوافقيّة وصفاتها ، وبهذا تكون الموجة المركّبة الّتي تمثّل الفتحة مثلاً مختلفة عن تلك الّتي تمثّل الكسرة ، لأنّه بالرّغم من اتّحاد الموجة البسيطة الأساسيّة (الحامل) ، فإنّ الموجات الإضافيّة (التّوافقية) في الفتحة تختلف عن تلك الّتي في الكسرة "(٢) .

ويقول أيضاً : وقد وجد أنّ جهاز النّطق الإنسانيّ يتكوّن أساساً من مرسل يبث ميكانيكيّاً موجات كهرومغناطيسية تتكون من الموجة الحامل والموجات التّوافقيّة، ويشتمل على جهاز منظم يشكّل الموجة الحامل بمزجها بالموجات التّوافقيّة الّتي تمثّل الرّسالة (٣) .

<u>النّبـْـــرُ</u> : وهو رفع الصّوت ، قال الرّضيّ : "لأنّ لِلنُّونِ نَبْرَةً : أي رَفْعَ الصَّوْتِ"(٤) ، وقال أيضاً : "لأنَّ الرَّخَاوَةَ أَنْ يَجْرِيَ الصَّوْتَ بِالْحَرْفِ عِنْدَ إسْكَانِهِ كَالنَّبْرِ "(٥) ، يبدو أنّ الرّضيّ يشير إلى ذلك الإمتداد النّطقيّ عند التّصويت بالحرف ممّا يؤدّي إلى امتلاك الحرف درجة إسماع عالية نوعاً ما أمام الانفجاريّة (الأصوات غير الاستمراريّة) . ويستعمل الرّضيّ النّبر في اصطلاح آخر، وذلك مع الهمزة حيث يقول : "إعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَمَّا كَانَتْ أَدْخَلَ الْحُرُوفِ فِي الْحَلْقِ، وَلَهَا نَبْرَةٌ كَرِيهَةٌ تَجْرِي مَجْرَى التَّهَوُّعِ ، ثَقُلَتْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْمُتَلَفِّظِ بِهَا ، فَخَفَّفَهَا قَوْمٌ ... "(٦) ، وكأنّه يشير إلى ذلك الغلق الشّديد للأوتار الصّوتية، وقد كان لهذه الصّفة في نطق الهمزة دور بارز في أنْ يعرف الهمز في وقت مبكر بالنّبر ، وفي هذا ينقل الرّضيّ قولاً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يقول فيه : "نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، وَلَيْسُوا بِأَصْحَابِ نَبْرٍ ، وَلَوْلَا أَنَّ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَزَلَ بِالْهَمْزَةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا هَمَزْنَا "(٧) ، وعلى هذا فإنّ دلالتي النّبر يمكن أن تكونا متوافقتين مع ما عرف عند المحدثين من نوعي النّبر أعني النّبر الطّوليّ والنّبر التّوتريّ . (٨) (٩) ولم أقف عند أحد على مثل هذه الدّلالة للنّبر (أعني الأولى) .

<u>النَّفَـــسُ</u> : قال الرّضيّ : ... لأَنَّ النَّفَسَ الْخَارِجَ مِنَ الصَّدْرِ - وَهُوَ مُرَكَّبُ الصَّوْتِ - يَحْتَبِسُ، إذَا اشْتَدَّ اعْتِمَادُ النَّاطِقِ عَلَى الْحَرْفِ ، إذِ الإِعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْحَلْقِ وَالْفَمِ يَحْبِسُ النَّفَسَ، إنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ(١٠) ، فالنفس إذن هواء الزّفير الخارج عن الرّئتين عبر المجرى الصّوتيّ (١١) .

---

(١) الكلام انتاجه وتحليله : ٢٤٦ . (٢) نفسه : ٣٤٧ . (٣) ينظر : نفسه : ٣٤٨ .
(٤) ش ش ٢٧١/٣ . (٥) ش ش ٢٠٦/٣ (٦) ش ش ٣١/٣ .
(٧) ش ش ٣٢/٣ (٨) القراءات القرآنية : ١٠٥ .
(٩) في الكتاب : ٥٤٨/٣ ، واشار بعض المحدثين الا انه بمعنى (Stress) أي النّبر ينظر علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : ٢٦ . اللسان : مادة نبر عن ابن الانباريّ "النّبر عند العرب ارتفاع الصوت" . (١٠) ش ش ٢٥٩/٣ .
(١١) في الكتاب : ٤٣٥/٤ الايضاح : ٤٨٥/٢ ، التحديد ١٠٧ الموضح ٨٨،٨٧ التمهيد : ٧ وجميعهم لم يأتوا بمثل ما قدمه الرضيّ في ايضاح معنى النفس وخروجه وعمله .

نتائجُ الفصلِ الأوّلِ :

١ • بعد الجردِ الكاملِ لشرحِ الشّافيةِ، ولشرحِ الكافيةِ، وجدتُ أنّ المادةَ الصّوتيّةَ لهذا الدّرسِ تتركزُ في القسمِ الأخيرِ من شرحِ الشّافيةِ •

وقدْ حصرتُ المادةَ الصّوتيّةَ في عشرةِ مباحثَ هي : الإبتداءُ، والإمالةُ وتخفيفُ الهمزةِ، والاعلالُ، والإبدالُ، والإدغامُ، والتقاءُ السّاكنيْن، والوقفُ، والقلبُ المكانيُّ والحذفُ •

وقد أبرزتُ من خلالِ المبحثِ الأوّلِ الإدراكَ الواعي للرّضيّ النّاحيةَ الصّوتيّةَ في هذهِ المباحثِ عن بقيةِ الموضوعاتِ الصّرفيّةِ بما وظّفَ لها من مصطلحيْ(أحوالِ الأبنيةِ و (لا أبنيةَ ولا احوالَ أبنيةٍ)) غيرَ أنّه أخلَّ شيئاً قليلاً عندما لَمْ يصطلحْ مع أحوالِ الأبنيةِ موضوعَ القلبِ الكانيِّ أوْ (القلبَ) بحسبِ اصطلاحه •

٢ • كوّنَ التّراثُ المعرفيُّ السّابقُ للرّضيِّ من مؤلفاتِ علماءِ العربيّةِ، وأهلِ التّجويدِ مصدرَ ثراءٍ واسعٍ، وعميقٍ للمادةِ الصّوتيّةِ الّتي قدّمها عندَ دراسته الظّاهرةَ الصّوتيّةَ المعيّنةَ •

وقد مكّنَه هذا أيضاً من أنْ يبنيَ درسَهُ بناءً محكماً على وفقِ منهجٍ يحملُ على حصْرِ المادةِ المقدمةِ من السّابقينَ، والمادةِ المبتدعةِ من قبلهِ ضمنَ نطاقٍ من الحدودِ، والتّقسيماتِ، والأمثلةِ التّطبيقيّةِ لكلّ منها •

٣ • لقد أكّدتُ في هذا الفصلِ عبْرَ ما قمتُ بهِ من استقراءٍ للروافدِ الثّقافيّةِ لدرسِ الرّضيّ - ما يشيعُ من دورِ سيبويهِ فيمن أتى بعدَه من علماءِ العربيّةِ وأهلِ التّجويدِ بكونه أهمَّ مصادرهم، وارتكازهم على ما قدّمه من أفكارٍ صوتيّةٍ ؛ إذْ تردد ذكرُه في المباحثِ العشرةِ ما يزيدُ على مجموعِ تردد بقيّةِ العلماءِ، ويأتي السّيرافيّ ثانياً لأهميّةِ أفكاره الصوتيةِ، خاصةً في فهمِ الحروفِ المتفرعةِ •

٤ • لقد أفرزَ المبحثُ الثّالثُ عبْرَ ما وضعتُه في معالجةِ المنهجِ تعسفاً عندَ الرّضيّ في فهْمِ الظّاهرةِ الصّوتيّةِ، بما وجدتُ من اختلافِ الأنماطِ اللّغويّةِ الفنيّةِ للعربيّةِ، واختلاطِ الأنماطِ اللّغويّةِ الأدائيّةِ المحليّةِ بالعربيّةِ المشتركةِ •

٠٥ إنّ (١١٢) مصطلحاً صوتيّاً مما قدّمته في (بحث المُصطلحات) تشكّل مفاتيح الثّروة الصّوتيّة الّتي يَطلّ منها الدّارسونَ على فروع الدّراسة الصّوتيّة الوظيفيّة (الفونولوجية Phonology) لِلغة العَربيّة الفصحى .

٠٦ أؤكّدُ الثّروة الاصطلاحيّة الّتي استخرجْتُها من مؤلفي الرّضيّ، إذ لم يتفرّغ لمثلها احدٌ من الباحثين بحسب اطلاعي، اذْ تُبيّن بشكل ملموسٍ مدى الغِنى الاصطلاحيّ الصّوتيّ الّذي احتوتْه دراساتُنا الصّوتيّة التّراثيّة ، ويبدو أنّ صاحبَ رسالة الماجستير الموسومة (المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العَربيّة) قصَّر عن أنْ يستوعبَ قسماً كبيراً منها، إذْ وجدتُ نفسي في هذا البحث أزيدُ على ما قدّمهُ ما يربُو على السّتينَ مصطلحاً صوتيّاً . ولتجنب مثلَ هذا القُصور في مثل هذه الدراسات أرى أنْ تقومَ مادةُ الرسالة، أو البحث على التّتبع الدّقيق للمادة الصّوتيّة، وحركتها في مختلف المؤلفات، والتّعويلَ على ما قدّمتْه تمهيداً للاصطلاحات، لا أنْ توضعَ أسماءُ المُصطلحات على ما هو متعارفٌ ومُحدَدٌ سلفاً ، ثُمّ يجري تتبعُ هذه المُصطلحات كالذي أعتقدُ أنّه حصلَ مع الرسالة المذكورة ، وتزداد هذه العمليّة دقةً واستيعاباً عنْد تحديدها داخلَ إطارٍ زمنيٍّ، أو شخصيّةٍ معيّنةٍ يتمّ رصدُ نتاجها الصّوتيّ الاصطلاحيّ .

٠٧ إنّ بحثَ المُصطلحاتِ الصّوتيّة يُبرزُ عبْرَ مجموعةٍ لا بأسَ بها من المصطلحات تفاعلاً واضحاً بين النّظام الصّوتيّ مع النّظامينِ الصّرفيّ والنّحويّ (التركيب) من نحو مصطلحات : الإبدالِ، والقَلبِ، والإعلالِ، والوقفِ، ونَقلِ الحَركة، والإشرابِ والإشمام، وتخفيفِ الهمزةِ المشهورِ، والبعيدِ، والتّقريبِ والتّجانس، والمضارعةِ، وغيرها .

٠٨ يُسْهِم العملُ الّذي قُمتُ به في المُصطلحاتِ في اكتمالِ النّظرة المعرفيّة الاصطلاحيّة عند قُربِ نهايةِ القرنِ السّابع الهجريّ مع إعطاءِ تصوّرٍ واضحٍ عن طبيعةِ الاصطلاحات الخاصة بعلم الأصواتِ العربيّ منذُ بدايته، وحتى القرنِ المذكورِ، ليس فقط في الدّراساتِ النّحويّة والصّرفيّة بلْ حتى في دراسات أهلِ التّجويدِ والقِراءاتِ .

٠٩ يعملُ بحثُ المصطلحاتِ على وضعِ البدائِل الاصطلاحيّة للالفاظ الأجنبيّة الّتي تتميّزُ بأصالتِها التّراثيّة مع إمكانية انسجامِها وتصورات المحدثينَ في مصطلحاتِهم ، فمن ذلكَ مصطلحُ "احوالِ الأبنية" الّذي أعتقدُ أنّه البديلُ المناسبُ لِلمصطلح

الأجنبيّ (Morphophoneme) الذى ترجم بالمصطلح
(التّغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ) .

١٠ . يُبْرِزُ هذا الفصلُ (و هي أهمُّ نتائجه) أصالة الرّضيّ في وضع الأصطلاحات الصّوتيّة سواءٌ تلك الّتي وضعها فكرةً وَلَفْظاً أمْ وضعها لفظاً فقط ، و حَرَصْتُ فيها على اْستخدام ألفاظه الّتي اْستعملها في عرضِ فكرته اْلخاصة .
والمصطلحات هي: اْلْمُسْتَفِلَةُ ، و آلةُ اْلْحروفِ ، و آلةُ الصّوتِ ، و آلةُ الضّمةِ ، والأعلى ، والأنزلُ، وأوْضاعُ آلةِ اْلْحروفِ، وفضيلةُ اْلْحَرْفِ، و هي (ذات أهميّة بالغة في نظام التمايز الصوتيّ، والاعتبارات الصوتية في العربية) ، و شبهُ اْلنّفخ، ولا أبنيةَ ولا احوالَ أبنيةٍ، والاْعتدالُ، وبين بينَ المشهورِ، و بَيْنَ بَيْنَ اْلْبعيد ، و التّبيينُ و التّنافرُ، واْلحذفُ نَسياً، واْلحرفُ اْلْمناسبُ (اْلْمتوسط) ، و نَسَقٌ واحدٌ، والصّوتُ السّاذج ، وجوهرُ اْلْحرفِ، ومادةُ الحرفِ، ومفهومُهُ في مُركب الصّوْتِ و مفهومُهُ لمصطلح النّبرِ، و تركيبه لفضيلةِ الشّينِ (التّفشي والرّخاوة) ، و مفهومُهُ لِلْجَهرِ، و الهمسِ، واحوالِ الأبْنية ومفهومُهُ المتقدّم جداً للإدغامِ، و الساكنُ و المتحركُ (اللّذان جعلتهما مع مصطلحاتِ اْلتّجاورِ لا في الصّفاتِ كما وُجِد في استعمال بعضِ المُحدثين) و كذلك مصطلح الخفاء الذى رأيتُ أنْ أقسّمه الى دلالاتٍ اْعتباريّة متعددة ، و السلاسةُ الصوتيّة والازدواجُ اْللّذان هما أحدُ مصطلحاتِ البلاغيين في الأصْلِ .

١١ . وقد وجدتُ عدداً من المصطلحاتِ تفاعلاً واضحاً بين الدّراسات اْللّغويّة مع دراساتِ أهلِ التّجويدِ، والقراءاتِ اْلْقرآنيّة، و بعضِ دراسات الفلاسفة والأفكار المَنطقيّة من نحو مصطلحات : التأليفِ ، و بَيْنَ اللفظين ، و التّسهيلِ ، واَلحرفِ ، و مادةِ اْلحرفِ ، و الصّوتِ السّاذج ، وآلةِ الحروف ، وآلة الصّوت و غيرها .

الفصل الثاني

اتجاهات الدراسة الصوتية

الاتجاه الاول : الاصوات في حالة الافراد

الاتجاه الثاني : الاصوات في حالة التجاور والتركيب (التعاملية)

الاتجاه الثالث : الاصوات في نظام الاداء

مما لا يُنكر أنّ الرضيّ كغيره من المتأخرين قد عمل على الإفادة من تراث من سبقه من المتقدمين كالخليل وسيبويه وغيرهما ، وذلك ممّا لا يمتنع معه أنْ يكونَ لكلّ عالم منهجه واتجاهه في الدّرس والتّحليل، وهو ما نجده عند الرّضيّ ، الذي أحدّد دراسته الصّوتيّة في ثلاثة اتّجاهات :

- الاتّجاه الأوّل : الأصوات في حالة الإفراد .
- الاتّجاه الثّاني : الأصوات في حالة التركيب والتّجاور (وهي : التّعامليّة).(١)
- الاتّجاه الثّالث : الأصوات في نظام الأداء .

وفيما يأتي تفصيلات هذه الاتجاهات الثلاثة في هذا الدرس :

- الاتّجاه الأوّل : الأصوات في حالة الإفراد .

وتتحدّد مجالاته في الآتي :

١ ـ إنتاج الأصوات :

يقوم التّفكير الصّوتيّ عند الرّضيّ هنا على تصوّرين أساسيّين :
الأوّل : ماهيّة الصّوت أو الحرف، وقد سمّاه : (الصّوت السّاذج) ، الذي هو المادّة الأوّليّة البسيطة للأصوات اللّغويّة جميعاً ، قال الرّضيّ : " ... لأنّ الصَّوْتَ السَّاذِجَ الذي هُوَ مَحَلُّ الحُرُوفِ ـ وَالحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَـهُ ـ غَيْرُ مُخَالِفٍ بَعْضُهُ بعضاً فِي الحَقِيقَةِ "(٢) ، فهو يبني تصوّره لإنتاج الأصوات اللّغويّة على أنّها في حالتها الأوّليّة أحاديّة التّركيب غير متميّزة بعضها عن بعض فهي متشابهة، ولا تدرك أجراسها الخاصّة بكلّ منها .
وهنا يأتي دورُ آلة الحروف أو آلة الصّوت (وهي التي يبنى عليها ثاني التّصوّرين) وهو المخارج الصّوتيّة ، حيثُ يتمّ توظيف الصّوت السّاذج لإنتاج الأصوات اللّغويّة مختلفةَ الأفراد، وقد عبّر الرّضيّ عن هذا بقوله : " فَإذَا كَانَ سَاذِجُ الصَّوْتِ الذي هُوَ مَادَّةُ الحَرْفِ لَيْسَ بِأنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَلَوْلَا اخْتِلَافُ أوْضَاعِ آلَةِ الحُرُوفِ ـ وَأعْنِي

---

(١) يُنظر : النّظريّات الصّوتيّة في كتاب سيبويه : ١٤٤ و ١٥١ (لمصطلح التّعامليّة) .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٠ .

بِٱلَّتِيهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱللِّسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ ،وَهِيَ ٱلْمُسَمَّاة بِٱلْمَخَارِجِ ــ لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ ". (١)

فعبر ٱلأوضاع ٱلمختلفة لآلة ٱلحروف يتمّ إنتاج تلك ٱلأفراد ٱلمتمايزة ٱلتي بها نظام ٱلتّواصل لأنّهم (أعني ٱلمتكلمين) : " لَمْ يَقْنَعُوا بِسَاذِجِ ٱلصَّوْتِ لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ مُشْتَبَهُ ٱلْأَفْرَادِ ،وَتَمَايُزُهَا بِٱلتَّقْطِيعِ وَٱلْاعْتِمَادِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ سَهْلٌ "(٢)، كما يقول ٱلرّضيّ ٱلذي يدرك بما تقدّم ضرورة وجود آلة خاصّة (علينا في مصطلحي آلة الصوت وآلة الحروف ، وهي ٱلأعضاء ٱلنطقيّة) لانتاج ٱلأصوات ،وفي هذا يتسامى إلى تصوّرات بعض ٱلمحدثين (٣) ٱلذي رفض مايُشاع من أنّ تسمية ٱلجهاز ٱلصوتيّ وغيرها من ٱلتّسميات ماهي إلاّ تسميات مجازيّة لأنّ ٱلوظيفة ٱلأساسيّة لهذه ٱلأعضاء ليست ٱلنّطق،وأنّ ٱلنّطق أو إنتاج ٱلأصوات ما هي إلاّ وظيفة ثانويّة لها ،فرأى أنّ هذه ٱلأعضاء مثلما خُلقتْ لأجل ٱلقيام بٱلعمليّات ٱلحيويّة كٱلأكل وٱلتّنفس،فإنّها كذلك قد خُلِقتْ للقيام بٱلوظيفة ٱلنّطقيّة،لأنّها قد ٱحتوتْ من ٱلتّجاويف وٱلمرونة ٱلحركيّة مايفوق حاجات ٱلإنسان عند ٱلأكل أو ٱلتّنفس . (٤) وذلك ماأعتقد صوابه . (٥)

فَٱلرَّضيّ يمتلك رؤيةً واضحةً لطبيعة مايجري في تمايز ٱلأصوات حيث ٱلهواء ٱلخارج من ٱلصّدر،وهو النَّفس (٦)، وحركاتُ ٱلأعضاء،وهيئاتها ٱلمختلفة، تتفاعل كلّها لإحداث ٱلتّمايزات ٱلسّمعيّة ٱلتي تكوّن ٱلأصوات ٱللّغويّة ٱلمتنوعةَ .

وٱلرّضيّ يسند نظريته في هذه ٱلتّمايزات،أو ٱلانطباعات ٱلسّمعيّة ٱلمختلفة إلى أساسين وضعهما تحت مصطلح شاملٍ لَهما هو (أوضاع آلة ٱلحروف)؛ وٱلأساسان هما : ٱلتّمايزُ بحسب ٱلمخرج ،وٱلتّمايزُ بحسب ٱلصّفات .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ ــ ٢٥٢ .

(٢) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٣) هو د. عبد الرّحمن أيوب في: الكلام،إنتاجه وتحليله : ٢٧ .ومابعدها .

(٤) ينظر: نفسه : ٢٨ .

(٥) فقد أُثبت علمياً وجود مراكز مخيّة مسؤولة عن إدراك ٱلكلام وإنتاجه،وزيادة على المصدر السابق ينظر : أضواء على ٱلدّراسات ٱللغويّة: ٢٣ ــ ٢٧،وٱللّغة وٱلفكر : ٣٩ ،أين موقع اللغة في الدماغ : ١٠٤ .

(٦) ينظر ش ش ٣ / ٢٥٩ .

وكان قد أدرك ذلك بملاحظته وجود أصوات متحدة المخرج، ولكنها متباينة لاختلاف وقعها السمعي، ويتضح ذلك في قوله : " وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اخْتِلَافَهَا قَدْ يَحْصُلُ مَعَ اتِّحَادِ الْمَخْرَجِ، بِسَبَبِ اخْتِلَافِ وَضْعِ الآلَةِ مِنْ شِدَّةِ الاعْتِمَادِ وَسُهُولَتِهِ وغير ذلك، فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجٌ "(١).

فشدة الاعتماد وسهولته يشير بهما إلى صفتي الشدة والرخاوة، وبغير ذلك إلى بقية الصفات من جهر وهمس وإطباق وصفير .. الخ .

وهذا التصور يزداد وضوحاً حتى يعد من مسلمات هذا الدرس عندما نجده يقسم الأصوات بحسب المخارج، وبحسب الصفات الصوتية مما سأقف عليه قريباً، وفي هذا إدراك عميق لما أجمله سيبويه في تقسيمه للأصوات، وهو بعد منسجم مع اعتبارات علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي) (Acoustic Phonetics)(٢)، إذ ثبت عن طريق التحليل الفيزيائي (الأكوستيكي) للكلام (أي الخصائص المادية) ، أن الاختلافات الصوتية التي يمكن إدراكها تعود إلى شيئين : درجة الصوت المتكون في الحنجرة فيما يخص الأصوات المجهورة، واختلافات الموجات الصوتية تبعاً لاختلاف مكان النطق، ولاختلاف الشكل الكلي لتجويف مافوق الحنجرة في أثناء إنتاج الأصوات.(٣)

فالرضي بوعيه الذي قدمه سابقاً، نظرياً وعملياً يبرز في صف المتقدمين كالخليل وسيبويه والمبرد وابن جني وابن يعيش(٤)، خاصة ماكان من ابن جني حيث نجد ملامح نضج متقدمة عن غيره (وإن كان مصدراً لعكس الرضي)، ذلك حين يقول :

" اعْلَمْ أَنَّ الصَّوْتَ عَرَضٌ يَخْرُجُ مَعَ النَّفَسِ مُسْتَطِيلاً مُتَّصِلاً حَتَّى يَعْرِضَ لَهُ فِي الْحَلْقِ وَالْفَمِ وَالشَّفَتَيْنِ مَقَاطِعُ تُثْنِيهِ عَنِ امْتِدَادِهِ وَاسْتِطَالَتِهِ، فَيُسَمَّى الْمَقْطَعُ أَيْنَمَا عَرَضَ لَهُ حَرْفاً، وَتَخْتَلِفُ أَجْرَاسُ الْحُرُوفِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ مَقَاطِعِهَا "(٥).

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٢) وهو : " فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع، وبعضهم يطلق عليه اسم علم الأصوات الفيزيائي (Physical Phonetics) " دراسة الصوت : ٤، وقد ترجمه محمود السعران بالسمعي، ينظر: علم اللغة : ٣٥٣ .

(٣) دراسة الصوت : ١٨ - ١٩ (بتصرف)، وينظر: مصطلح (مركب الصوت) ومقارنته لنظرية الحامل .

(٤) ينظر: العين، المقدمة: ١/ ٤٧ - ٦٠، الكتاب : ٤/ ٤٣١ - ٤٣٦، المقتضب : ١/ ١٩٢ - ١٩٦، سر الصناعة : ١/ ٥٢ - ٥٣، شرح المفصل: ١٠/ ١٢٤ - ١٣١ .

(٥) سر الصناعة : ١/ ٦ .

وٱلرّضيّ بعد أنْ ينتهي من وضع ٱلإطار ٱلْعام لنظريّته السّابقة يأتي إلى وقفات تفصيليّة على المخارج الصّوتيّة وتوزيع ٱلأصوات بحسبها، ثُمَّ ينتقل إلى ٱلصّفات الصّوتيّة،
وهو في ذلك يسير على ٱلْمنهج ٱلْمتعارف عليه في ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة ٱلْعربيّة ٱلتّراثيّة ٱلّذي خطّه سيبويه ؛ وقد تابع ٱلرّضيّ سيبويه في عدد ٱلْمخارج وتوزيعها على ٱلْمجرى ٱلنّطقيّ وتسمياتها، حتّى أنّه يهمل ٱلْوقوف على بعض ٱلْمخارج ٱكتفاءً بما ذكره ٱبنُ ٱلْحاجب ٱلّذي تابع سيبويه في كلّ ذلك إلّا ماكان من وصفه لمخرج ٱللام ٱلّذي كان مثار نقد الرّضيّ إذْ ٱعترض عليه واصفاً إيّاه بعدم ٱلصّواب لمخالفته سيبويه وبقيّة علماء هذا ٱلفن ٱلّذين تابعوه . (١)
وقبل ٱلدّخول في تفصيلات ذلك نقف على ماقدّمه ٱلرّضيّ في ٱلْجانب ٱلْعضويّ منها (أعني ٱلْجهاز ٱلصّوتيّ) .

٢ ـ أجزاء آلة ٱلصّوت :

لابدّ لي قبل ٱلتّعرض لهذه ٱلأجزاء من ٱلقول: إنّ ٱلرّضيّ لم تتبلورْ عنده أهمية الوقوف على ٱلجانب ٱلتّشريحيّ من ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة إلا ماكان منه موضع حاجة ، ولهذا كانت مادّة هذا ٱلْموضوع مختلطة مع أصطلاحات ٱلمخارج ٱلصّوتيّة ، ولم أجدْ إلّا مجرّد تسميات لِلأعضاء خالية من ٱلْوصف وٱلتّحديد مكتفياً (فيما يَبْدو) بٱلْمتعارف من أوصافها ومواقعها ، خلا ماكان مع ٱلأسنان ٱلّتي إتّبع معها سلوكاً جديداً ومتفرّداً (إذْ لم يُسبق اليه) متمثّلاً بالوقوف ٱلدّقيق على أقسامها وتسميات كلّ قسمٍ منها، وتوزيعها على جانبيْ ٱلْفم، وعلى ٱلْفكيْنِ: ٱلأسفل وٱلأعلى ، وكلّ هذا في سبيل ٱلْوصف ٱلدّقيق لمخرج صوت ٱلضّاد ٱلّذي كان قد تَفرَّد بمؤلفات عديدة تُحاول ضبطه، وضبط كلماته، بسبب تعسّر تمييزه عن ٱلظّاء من قِبَل أبناء لغة ٱلضّاد .
ويتّصل بهذا ٱلسّلوك ماكان من وصفه لِلّسان فقد أشار إلى حافتَيْه ٱللّتين تشاركان في نطق بعض ٱلأصوات، ومنها صوت ٱلضّاد ، وسأقف عند كلامه في تشريح هذه ٱلأعضاء بعد قليل ، وقبل ذلك أقول :
لقد أشار ٱلرّضيّ إلى معظم ٱلأعضاء ٱلصّوتيّة بتسمياتها ، وشارك ٱلجمهور في قصر ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة إبتداءً من ٱلْحلق، فلم يشرْ إلى ٱلحنجرة ولا إلى أوتارها، ولم يشر إلى ٱلْقصبة ٱلْهوائيّة، مع أنّهما كانتا معروفتَيْن في زمانه وقبله ، فابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) خصص بعض رسالته (أسباب حدوث الحروف) (٢) لتشريح ٱلْحنجرة وٱللّسان، وأشار

---

(١) ينظر : ش ش ٣ / ٢٥٣ .
(٢) ٱلفصل الثّالث من (أسباب حدوث الحروف) : ٦٤ ـ ٧١ .

ٱبنُ ٱلْبناء (ت ٤٧١ هـ) إلى ٱلْحنجرة،فهو ٱلْقصبة ٱلْهوائيّة وسمّاها (قَصَبَةَ ٱلْحَلْقِ) في كتابه: بيان ٱلْعيوب . (١)

غير أنه عضواً عن هذا أدرك وجود عضو مشارك في عملية التّصويت ٱُصطلح عليه بالصّدر،وقد أورده هكذا مبهماً دون تحديد ،وكأنّه يعمّ به منطقة أسفل ٱلْحلق ؛ قال ٱلرّضيّ : "لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ - وَهُوَ مَرْكَبُ ٱلصَّوْتِ - يَحْتَبِسُ ... " (٢) ، ونقل عن بعضهم دوره في تمييز الجهورات عن المهموسات بقوله : "قِيلَ : وَٱلْمَجْهُورَةُ تَخْرُجُ أَصْوَاتُهَا مِنَ ٱلصَّدْرِ " (٣) ،وفي سبب صفة ٱلْقلقلة الّتي تتميّز بها مجموعة من ٱلْأصوات قال في سببها أنّه " شِدّةُ ٱلصَّوْتِ ٱلْمُتَصَعِّدِ مِنَ ٱلصَّدْرِ " (٤) ،ولم يتعدّ هذه المواضع في ذكره له .

وقد أشار إلى بقيّة ٱلْأعضاء الصّوتيّة (أيْ أجزاء آلة ألصّوت) في قوله : " وَأَعْنِي بِآلَتِهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱللِّسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ هِيَ ٱلْمُسَمَّاةُ ٱلْمَخَارِجَ " (٥) .

فهذه ٱلْأعضاء تتوزّع عليها ٱلنّقاط ٱلْمخرجيّة ؛ وقد وجدته في بعض ٱلْمواضع يعبّر عن جميع هذه ٱلْأعضاء بالحلق والفم،إذْ قال في ٱلْمجهورة : " ... إذِ ٱلْاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ،يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ " (٦) ؛ وينسب بعض ٱلْحروف،فيقول : " حُرُوفُ ٱلْفَمِ وَٱلشَّفَةِ " (٧) ؛ وهي ٱلْحروفُ الَّتي ٱرتفعت مخارجها أمام ٱلْحروف ٱلْحلقيّة الّتي سَفَلَتْ مخارجُها (٨) ؛ ولتباين مواضعها في آلة ٱلصّوت،يعمدُ إلى ٱستعمال ٱلْمصطلحات ٱلدّالة عليها،فيستعمل مع ٱلْحلق: ٱلْأعلى،وٱلْأدخل،وٱلْأنزل،(مخرجاً) ،ليعطي ٱلشّكل ٱلْعمودي لِلْحلق،وأمّا مع بقيّة ٱلْحروف،فيستعمل ٱلْأقرب إلى خارج ٱلْفم،أو ٱلْأقرب إلى ٱلْعضو ٱلتّالي، وهكذا ٱستعمل خاصةً مع حروف ٱلْمخرج ٱلْواحد (على ما سنقف عليه في تسميات المخارج وتوزيع ٱلْأصوات عليها) .

---

(١) ينظر : ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة : ٩٧ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٥١ .

(٦) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٧) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

(٨) ينظر : مصطلحات المرتفعة والمستفلة .

كذلك ذكر الرّضيّ في الأعضاء المشاركة في النّطق: (الخيشوم)، إذ قال (في مابين الشّديدة والرّخوة): "وَأَمَّا ٱلْمِيمُ وَٱلنُّونُ، فَإِنَّ ٱلصَّوْتَ لَا يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَمِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمَا مَخْرَجَانِ فِي ٱلْفَمِ، وَفِي ٱلْخَيْشُومِ جَرَىٰ بِهِ ٱلصَّوْتُ مِنَ ٱلْأَنْفِ دُونَ ٱلْفَمِ" (١)؛ وفي النّون الخفيّة يقتصر مرور الهواء على هذا المجرى "إِذْ هِيَ نُونٌ سَاكِنَةٌ غَيْرُ ظَاهِرَةٍ مَخْرَجُهَا ٱلْخَيْشُومُ فَقَطْ" (٢). ومن النّص السّابق يتضح أنّه يستعمل مرادفاً له هو (الانف)؛ ولم يقدّم لنا أيّ تحديد لهذا العضو الّذي وصفه مكيّ قائلاً: "وَٱلْخَيْشُومُ ٱلَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ هٰذِهِ ٱلْغُنَّةُ، هُوَ ٱلْمُرَكَّبُ فَوْقَ غَارِ ٱلْحَنَكِ ٱلْأَعْلَى" (٣)؛ وقال عنه أبو عمرو الدّانيّ: "وَٱلْخَيْشُومُ خَرْقُ ٱلْأَنْفِ ٱلْمُنْجَذِبُ إِلَى دَاخِلِ ٱلْفَمِ" (٤)، وقال فيه د. غانم قدوري إنّه أكثر وضوحاً من تعريف مكي (٥)، إذ إنّه يحدّد المقصود بالخيشوم بدقّة الّذي يبدو أنّه كان واضحاً عند الرّضي في قوله السابق.

ولم يشر الرّضيّ إلى اللّهاة تعولاً الى دورها في إنتاج بعض الأصوات مع أنّ الخليل كان قد أشار إليها في نظامه المخرجي، ونسب إليها القاف والكاف (٦)؛ ولم يشر إلى اللّثة، واستعاض عنها في المخارج بتسمية (فُوَيْق الثّنايا) (٧)، وهو مصطلح أدق من اللّثة؛ أمّا الأسنان، فقد قال عنها الرّضيّ:

"إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَسْنَانَ ٱثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سِنّاً، سِتَّ عَشْرَةَ فِي ٱلْفَكِّ ٱلْأَعْلَى، وَمِثْلُهَا فِي ٱلْفَكِّ ٱلْأَسْفَلِ، فَمِنْهَا ٱلثَّنَايَا، وَهِيَ أَرْبَعٌ مِنْ قُدَّامٍ: ثِنْتَانِ مِنْ فَوْقٍ، وَمِثْلُهَا مِنْ أَسْفَلَ، ثُمَّ ٱلرَّبَاعِيَاتُ، وَهِيَ أَرْبَعٌ أَيْضاً: رَبَاعِيَتَانِ مِنْ فَوْقٍ، يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلَ، وَخَلْفَهُمَا ٱلْأَنْيَابُ ٱلْأَرْبَعَةُ:

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦١.

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٤ – ٢٥٥؛ وينظر ش ش ٣ / ٢٧١.

(٣) الرّعاية: ٢٤٠.

(٤) التّحديد: ١١٧.

(٥) الدّراسات الصّوتيّة: ١٠٣.

(٦) العين: ١ / ٥٧.

(٧) ش ش ٣ / ٢٥٤.

نَابَانِ مِنْ فَوْقٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلٍ ، وَخَلْفَ ٱلْأَنْيَابِ ٱلضَّوَاحِكُ ، وَهِيَ أَرْبَعٌ: ضَاحِكَتَانِ مِنْ فَوْقٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلٍ ، وَخَلْفَ ٱلضَّوَاحِكِ ٱلْأَضْرَاسُ ، وَهِيَ سِتَّ عَشْرَةَ : ثَمَانٍ مِنْ فَوْقٍ : أَرْبَعٌ يَمْنَةً وَأَرْبَعٌ يَسْرَةً ، وَمِثْلُهَا مِنْ أَسْفَلٍ ؛ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَنْبُتُ لَهُ خَلْفَ ٱلْأَضْرَاسِ ٱلنَّوَاجِذُ ، وَهِيَ أَرْبَعٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ : ثِنْتَانِ فَوْقٍ ، وَثِنْتَانِ أَسْفَلَ ، فَيَصِيرُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سِنًّا » (١) .

وهذه ٱلْوقفة لم يُسبقْ ٱلرّضي إلى مثلها ، وقد كان لها أثرٌ واضحٌ عند بعض ٱلْمتأخرين من علماء ٱلتّجويد . (٢) أمّا وقفته ٱلْأخرى ٱلّتي سبق أنْ أشرتُ إليْها ، فهي مع ٱللسان عندما وصف حافتيه بقوله :

« ٱلْحَافَّةُ : ٱلْجَانِبُ ، وَلِلِّسَانِ حَافَّتَانِ مِنْ أَصْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ كَحَافَّتَيِ ٱلْوَادِي . . » (١)

ومن ٱلْأجزاء ٱلْأُخرى لآلة ٱلصّوت : (ٱلْحَنَكُ ٱلْأَعْلَى) ، وقصد به سقف ٱلْفم ، ولم يذكره ٱلرّضي إلّا في تقسيمات ٱلمخارج ٱلّتي تشارك نقاطه مع أحد أقسام ٱللسان في عملها فمثلاً في مخرج (ج ، ش ، ي) ، قال ٱلرّضيّ نقلاً عن سيبويه : « بَيْنَ وَسَطِ ٱللِّسَانِ ، وَبَيْنَ وَسَطِ ٱلْحَنَكِ ٱلْأَعْلَى » (١) .

وتقسيمات ٱلْحلق مع تقسيمات ٱللسان لم يُراعِ فيها ٱلنّاحية ٱلْعضويّة بل هي لدواعٍ مخرجيّة لأجل الدّقة في تعيين ٱلْمَخرج ليس إلّا ، ولذلك لم أشرْ إليها هنا ، وأشير إليها في آليّة المخارج (الأولى غير ما كان من تقسيم الاسنان) .

٣ ـ ٱلتّمايزُ ٱلصّوتيّ عند ٱلرّضيّ :

يُقيم ٱلرّضيّ نظريته في ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ بتميُّز أصوات ٱللغة ٱلْمختلفة على وفق آليّتين : آليّة ٱلْمخارج وآليّة ٱلصّفات . وفيما يأتي بيانهما :

أ ـ آليّة ٱلْمخارج :

يعني ٱلرّضيّ تصوره لهذه الآليّة بأنْ تشكّل ٱلْأعضاء ٱلنّطقيّة ٱلْمتحركة كالشّفتين وٱللسان وٱلْفك ٱلأسفل وجدار ٱلْحلق (ٱلْأماميّ) مناطق إعاقة لِلنَّفَس ٱلْخارج من الصّدر (أيْ : عند الزفير) ، ويطلق عليها ٱلدّرس ٱلْحديث مناطق الاحتكاك ،

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٢ .

(٢) ينظر : الدّراسات الصّوتية ، ١٠٥ .

وعلى الرّغم من تشابه بعضها في كيفيات الإعاقة إلا أنّ اختلاف نقاطها على طول المجرى الهوائيّ يؤدي إلى تمايز الأصوات ، وإذا كان الرّضيّ وغيره من علماء العربية قد اكتفوا بهذا حسبُ ، فإنّ الدّرس الحديث يرجع هذا التّمايز أيضًا إلى غرفة الرّنين الّتي تعملها الأعضاء الصّوتيّة (٣) ، ولمعرفة موقف الرّضيّ من المخارج الصّوتيّة ، وتوزيع الأصوات عملت الجدول الآتي الّذي استندت أساسياته على بحث الدّكتور : هادي نهر الموسوم بـ (الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين (*)) ، وأبقيت على تصنيف ابن جني للفائدة العلمية ولأثر هذا الرّجل في الدّراسات اللاحقة :

---

(٣) دراسة الصوت ١٦٤ .

(*) البحث منشور في (مجلة آداب المستنصرية ، ع ٨ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٦٠) سنة ١٩٨٤م .

جدول رقم (١) المخارج الصوتية عند الرضي مع سيبويه وابن جني .

	المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني ت ٣٩٢هـ	عند الرضي ت ٦٨٨هـ	الملاحظات
٠١	أقصى الحلق .	ء ، هـ ، ا	ء ، ا ، هـ	ء ، هـ ، ا	لي وقفة مع ترتيب الرضي لحروف الحلق .
٠٢	وسط الحلق .	ع ، ح	=	=	
٠٣	أدنى الحلق .	غ خ	=	=	سمّاه الرضي : (راس الحلق) (١) .
٠٤	من أقصى اللسان ، وما فوقه من الحنك الأعلى .	ق	=	=	اقتصر في (ق ، ك) على توضيح الألفاظ وقال في إدغام الكاف في القاف : " .. والإدغام حسن والبيان أحسن ، لأن القاف أدخل " (٢) (ينظر مصطلح الأدخل) .
٠٥	من أسفل ذلك ، وأدنى إلى مقدم الفم .	ك	=	=	
٠٦	من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى .	ج ، ش ، ى	=	=	قال الرضي : " الجيم أقرب إلى أصل اللسان ، وبعده إلى خارج الفم الشين ، وبعده إلى خارجه الياء " (٣) .
٠٧	من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس	ض	=	=	بعد أن وضح حافة اللسان وأقسام الأسنان قال : " فأنت تخرج الضاد من أقصى إحدى حافتي اللسان إلى قريب من رأس اللسان ، ومنتهاه أول مخرج اللام .... وموضعها من الأسنان نفس الأضراس العليا ، فيكون مخرجها بين الأضراس وبين أقصى إحدى حافتي اللسان ، وأكثر ما تخرج من الجانب الأيمن على ما يؤذن به كلام سيبويه ، وصرح به السيرافي " (٣) .
٠٨	من أدنى حافة اللسان إلى منتهى	ل	=	=	قال الرضي : " واللام ابتداؤه - على ما قال سيبويه - من الضاحك إلى الثنية

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٧٨ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٢ .

	المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني ت ٣٩٢هـ	عند الرضي ت ٦٨٨هـ	الملاحظات
	طرف ٱللّسان بينها وبين ما يليها من ٱلحنك ٱلأعلى، وما فويق ٱلضّاحك وٱلنّاب وٱلرّباعية وٱلثّنية (٤).				«لأنَّ ٱلضَّادَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَضْرَاسِ وَحَافَّةِ ٱللِّسَانِ، وَٱللَّامُ يَخْرُجُ مِنْ فُوَيْقِ ٱلضَّاحِكِ وَٱلنَّابِ وَٱلرَّبَاعِيَةِ وَٱلثَّنِيَّةِ، لَا مِنْ نَفْسِ ٱلْأَسْنَانِ وَحَافَّةِ ٱللِّسَانِ» (١)
٩	من طرف ٱللّسان بينه، وما فويق ٱلثّنايا	ن	=	=	قال الرّضيّ: «ٱلنُّونُ أَقْرَبُ إِلَى رَأْسِ ٱللِّسَانِ مِنَ ٱلرَّاءِ» (٢) وقال: «وَٱلْحَقُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لِلنُّونِ مَخْرَجَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِي ٱلْفَمِ، وَٱلْآخَرُ فِي ٱلْخَيْشُومِ» (٣)
١٠	من مخرج ٱلنّون غير أنّه أدخل في ظهر ٱللّسان.	ر	=	=	قال ٱلرّضيّ: «وَمَخْرَجُ ٱلرَّاءِ هُوَ مَخْرَجُ ٱلنُّونِ غَيْرَ أَنَّهُ أَدْخَلُ فِي ظَهْرِ ٱللِّسَانِ قَلِيلاً، لِٱنْحِرَافِهِ إِلَى ٱللَّامِ؛ أي ٱلرّاءُ مَائِلٌ إِلَى ٱللَّامِ» (٤)
١١	ممّا بين طرف ٱللّسان، وأصول ٱلثّنايا.	ط، د، ت	=	=	قال ٱلرّضيّ: «... مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُ ٱللِّسَانِ بِٱلثَّنَايَا كَمَا ٱتَّصَلَ بِأُصُولِهَا، لِإِخْرَاجِ ٱلطَّاءِ وَٱلدَّالِ» (٤).
١٢	ممّا بين طرف ٱللّسان	ز، س، ص	ص، ز، س	ز، س، ص	قال فيها وفي سابقتها: «تَرَاخَيْنَ عَنِ ٱللَّامِ إِلَى ٱلثَّنَايَا، وَلَيْسَ فِيهِنَّ ٱنْحِرَافٌ نَحْوَ ٱللَّامِ كَمَا كَانَ فِي ٱلرَّاءِ» (٥) وَيقولُ في عبارة سيبويه: «فَعَلَى مَا قَالَ مَخْرَجُ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ هُوَ مَخْرَجُ ٱلنُّونِ» (٦)
١٣	ممّا بين طرف ٱللّسان، وأطراف ٱلثّنايا.	ظ، ذ، ث	=	=	ٱقتصر على قوله (في معنى طرف ٱلثّنايا): «أي ٱلثَّنَايَا ٱلْعُلْيَا» (٧) وقال في إدغام ٱللّام فيهن «لِأَنَّهُنَّ مِنْ أَطْرَافِ ٱلثَّنَايَا، وَقَارَبْنَ مَخْرَجَ ٱلْفَاءِ» (٨)، وقال: «إِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا رَأَيْتَ طَرَفَ ٱللِّسَانِ خَارِجاً عَنْ أَطْرَافِ ٱلثَّنَايَا» (٩)

(١) ش ش ٣ / ٢٥٣ . وٱلكتاب: ٤/ ٤٣٣ وفيها سقط بعد كلمة (فويق) إلى ما قبل كلمة (ٱلثّنايا) في مخرج ٱلنّون، وٱلصّحيح في طبعة بولاق ٢/ ٤٠٥ (وقد ذكرها ٱلرّضيّ كاملة مع بعض ٱلتّصرف. (٢) ش ش ٣/ ٢٥٣ . (٣) ش ش ٣ / ٢٧١ . (٤) ش ش ٣/ ٢٥٣ (٥) ش ش ٣/ ٢٧٩ . (٦) ش ش ٣/ ٢٥٤ ونقل ٱلرّضيّ عبارة سيبويه لكنّه جعل مكان فويق ٱلثّنايا، طرف ٱلثّنايا وذكره لطرف ٱلثّنايا يتنافى مع مقولة بعدها وهو كون مخرج هذه الحروف مخرج النون وعبارته في مخرج ٱلنّون ٱلّتي هي رأي سيبويه في الكتاب ٤/ ٤٣٣ فيمكن أنْ يكونَ تحريفاً . (٧) ش ش ٣/ ٢٥٤ (٨) ش ش ٣/ ٢٧٩ (٩) ش ش ٣/ ٢٨٣

المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني	عند الرضي ٦٨٨هـ	الملاحظات
من باطن ٱلشفة ٱلسفلى وأطراف ٱلثنايا ٱلعلى .	ف	=	=	لم يعرض له ، ولكنه ذكر مقاربة مخرج (ظ ذ ث) لمخرج الفاء (١) .
مابين ٱلشفتين .	ب ، م ، و	=	=	لم يعرض له ، وفي مكان آخر قال عن الميم : "لِأَنَّ فِيهِ ٱلْغُنَّةَ كَٱلنُّونِ ، وَهُوَ شَفَوِيٌّ كَٱلْبَاءِ" (٢) ، وقال "آلَةُ ٱلضَّمَّةِ ٱلشَّفَةُ" (٣) وهي أيضاً "مَخْرَجُ ٱلْوَاوِ" (٤) .
ٱلخياشيم .	ن	ن (الخفية والخفيفة)	=	قال في إخفاء ٱلنون مع سوى حروف ٱلحلق : "... فَيُقْتَصَرُ عَلَى مَخْرَجِ ٱلْخَيْشُومِ فَيَحْصُلُ ٱلنُّونُ ٱلْخَفِيَّةُ" (٥) . ونقل في ٱلمتفرعات عن ٱلسيرافي نحو ذلك (٦) .

(١) ش ش ٣/ ٢٨٣ .

(٢) ش ش ٣ / ٢١٦ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٦ (ينظر مصطلح آلة الضمة)

(٤) ش ش ٣ / ٢٦١ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

(٦) ينظر ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وينظر : الكلام عنها في ٱلأصوات ٱلمتفرعة من هذا الفصل .

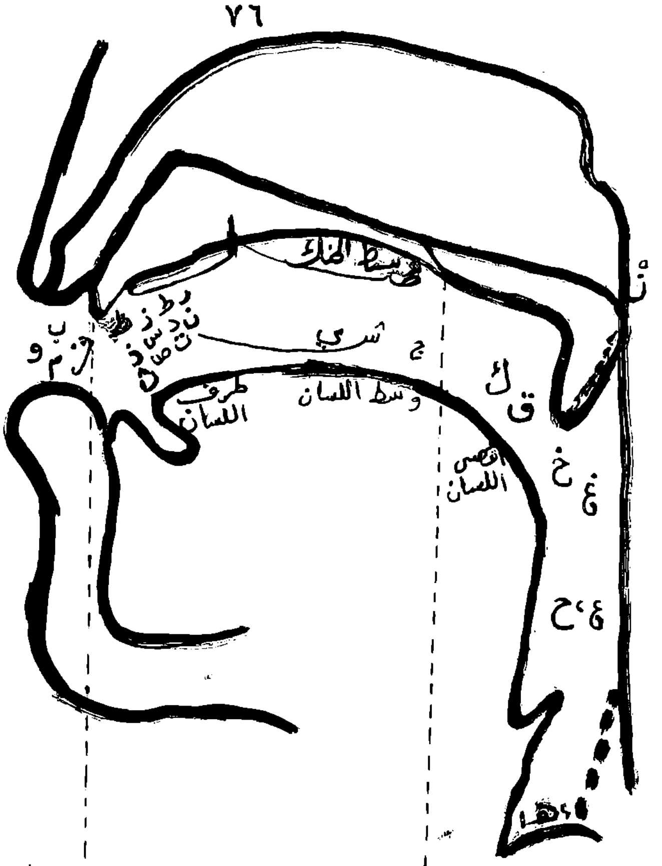

أ• مقطع طوليّ لآلة الحروف •

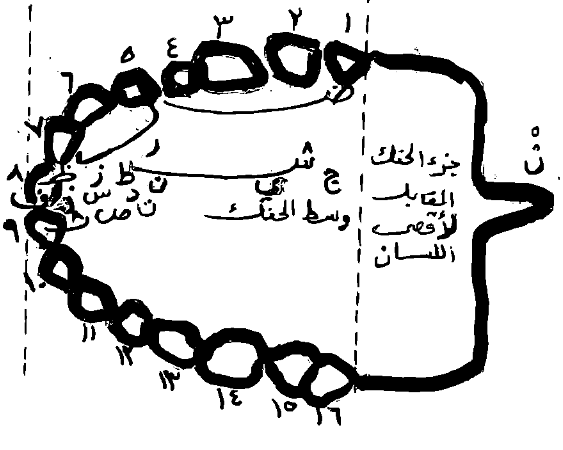

ب• مقطع عرضي للأسنان وٱلْحنك ٱلْأعلى •

آلة الحروف وتقسيم ٱلْأسنان وتوزيع ٱلْأصوات بحسب مخارجها عند ٱلرَّضيّ (*)

ـ أُرقـــام ٱلْأسنان :

(١ ـ ٤) و (١٦ ـ ١٣) = ٱلْأضراس

٥ و ١٢ = ٱلضّواحــك

٦ و ١١ = الأنيـــاب

٧ و ١٠ = ٱلرّباعيـّــات

٨ و ٩ = ٱلثّنايـــا

(*) مخطط الرسم عن : علم الاصوات العام : ٧٥

- وقفة مع المخارج الصوتية:

١ - أكد الرضي بشكل صريح تبنيه لترتيب سيبويه، وتفضيله على ترتيب أستاذه الخليل او أية آراء مخرجية من نحو ماذكر للأخفش والفراء ، قال بعد أن ذكر ترتيب الخليل، ومخالفة الفراء لسيبويه في موضعين: "أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَعَلَ مَخْرَجَ الْيَاءِ وَالْوَاوِ وَاحِداً، وَالآخَرُ أَنَّهُ جَعَلَ الْفَاءَ وَالْمِيمَ بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ "(١) قال عقيب ذلك: "وَأَحْسَنُ الأَقْوَالِ مَاذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ ، وَعَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ بَعْدَهُ "(١).

أمّا بشأن الأخفش فقد قال: "وَمَذْهَبُ الأَخْفَشِ أَنَّ الأَلِفَ مَعَ الْهَاءِ ، لاقُدَّامَهَا وَلَا خَلْفَهَا "(٢)؛ فقد دحضها بقول ابن جنّي (الذي يرى - مثل سيبويه - كونهما متعاقبين مع اختلافه عنه بتقديم الألف): "لو كَانَا مِنْ مَخْرَجٍ لَكَانَ يَنْقَلِبُ الأَلِفُ هَاءً لاهَمْزَةً إِذَا حَرَّكْتَهَا ، وَلِمَانِعٍ أَنْ يَمْنَعَ مِنَ انْقِلَابِ الأَلِفِ هَمْزَةً بِالتَّحْرِيكِ "(٢).

وفي مخالفة المصنف سيبويه في مخرج اللام وأنّه : "مَادُونَ طَرَفِ اللِّسَانِ إِلَى مُنْتَهَاهُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ"(٣) أي : يجعله من نفس الأسنان ، وحافة اللسان بحسب الرضي، فقد أعقبه بـ : "وَجَمِيعُ عُلَمَاءِ هَذَا الْفَنِّ عَلَى مَاذَكَرَ سِيبَوَيْهِ ، وَالْمُصَنِّفُ خَالَفَهُمْ كَمَا تَرَى ، وَلَيْسَ بِصَوَابٍ "(٤).

وتبني الرضي لآراء سيبويه سواء أكانت هنا أم في غيره تبيّن حصافة تفكيره السليم في اتباع الرأي الأسلم علمياً، فالرضي - كما أعتقد - ليس بشخصية مقلدة، فليس همّها إلّا تبنّي الآراء التي يعتزّ بها العلماء ، وهي آراء سيبويه، بل هو رجل تثبت كتاباته تمكّنه في جوانب الدراسات اللغوية المختلفة ؛ ويكفي في ذلك أنّه لم يتبنّ رأي أستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو هو في مكانته لدى العلماء ، وقد تبنّت آراءه جماعة غير قليلة من العلماء .

ويتبيّن من الجدول متابعته تلك، وهو يخالف ابن جنّي عند مخالفته في ترتيب بعض الأصوات عمّا عند سيبويه .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٤ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٣) الشافية : ٢٥١ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٥٣ .

٢ ــ لَقَدْ وقفتُ في موضوع ٱلْادغام على نصّ للرّضيّ يتّخذ فيه ترتيباً للحروف الحلقيّة مغايراً ماهو متعارف عليه في ترتيبها عند ٱلْخليل أو سيبويه أو ٱبن جنّيّ ، إذْ قال في هــذا النص : " ... لِأَنَّ أَنزلَهَا فِي ٱلْحَلْقِ أَثْقَلُهَا ، فَأَثْقَلُهَا ٱلْهَمْزَةُ ثُمَّ ٱلْهَاءُ ، ثُمَّ ٱلْعَيْــنُ ثُمَّ ٱلْغَيْنُ ، ثُمَّ ٱلْحَاءُ ، ثُمَّ ٱلْخَاءُ ، فَٱلْحَاءُ أَخَفُّ مِنَ ٱلْغَيْنِ وَٱلْخَاءِ " (١) .

فهو يقدّم ٱلْغين ويؤخّر ٱلْحاء ، وٱلْحال أنّ ٱلْحاء مع ٱلْعين من وسط ٱلْحلق وٱلْغين من راْس الحلق (أدنى ٱلْحلق) مع ٱلْخاء ، ولكن مايُمكن أن يكونَ ترتيباً جديداً أوّل وهلة يتهاوى ساقطاً للاسباب الآتيــة :

آ ـ آخر ٱلنّص يناقض ماقبله ، وهو قوله : " فَٱلْحَاءُ أَخَفُّ مِنَ ٱلْغَيْنِ وَٱلْخَاءِ " ومقتضــى ما تقدّمه يقول إنّ ٱلْحاءَ أثقل من ٱلْخاء ، لكونها أنزل منها ؛ ولكنّ هذا ٱلْجزء من ٱلنّــصّ لايتطابق أيضاً مع موقفــه السّابق ٱلّذي عرضته في الجدول .

ب ــ تصريحه ٱلْواضح باعتماده ترتيب سيبويه بحسب الفقرة (١) ، ولمْ أجد أيّة إشارة غيــر هذه قد يتّخذ فيها ترتيباً جديداً أو أيّ تعديل يراه .

جـ ــ يقولُ ٱلرّضيّ في ٱلْحاء : " وَأَمَّا مُنَاسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ ، فَلِأَنَّهُمَــا مِنْ وَسَطِ ٱلْحَلْقِ " (٢) ، وهذا يناقض ٱلنّص المتقدّم ، لِأَنَّ ذلك يضعُ ٱلْحاء مع الخاء في راْس ٱلْحلق أو أدنى ٱلْحلق على ماهو الظّاهر .

وٱلّذي أخرج به ممّا سبق أنّ في ٱلنّص ٱلسّابق شيئيْنِ : ٱلْأوّلَ تحريف بين ٱلْغين وٱلْحاء ، ربّما يكون من عمل ٱلنّاسخ ، وربّما يكون سهواً من الرّضيّ تأثُراً لاشعوريّاً بالترتيــب الهجائــي .

والثّاني : تصحيف في ٱلْجزء ٱلْأخير من ٱلنّصّ وهو أنّ ٱلْحاءَ خاءٌ والخاءَ حــاءٌ .

وعلى هذا أرى أنّ ٱلنّصّ مدار ٱلْحديث يجب أنْ يكون هكذا : (لأنّ أنزلها في ٱلْحلــق أثقلها ، فَأثقلها ٱلْهمزةُ ثمّ ٱلْهاءُ ، ثمّ ٱلْعين ، ثمّ ٱلْحاء ، ثُمّ ٱلْغين ، ثمّ ٱلْخاء ، فَٱلْخــاء أخف من ٱلْغين وٱلْحاء) .

٣ ــ إنْ كان الرّضيّ لم يشرْ صراحة إلى حاجة علم ٱلْأصوات في إنتاج ٱلْأصوات ٱللّغويّــة إلى علم ٱلتّشريح ، فإنّــه قد أقرّ ضمناً بذلك بحرصه على ٱلتّقسيم ٱلدّقيق لِلْأسنان ووصــفِ حافّة ٱللّسان عند وقفتــه على مخرج ٱلضّادِ . (على ما سبق من أجزاء آلة ٱلصّوتِ) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٥ ، وللتأكّـد من صحة الطبع وقفت على الموضوع في طبعة أخرى من شرح الشافية بتحقيق عبد الرحمن خليفة وقد وجدتها تطابق الطبعة المعتمــدة ينظر منها : ٣٣٨ ، ولتبنّيــه آراء سيبويــه ينظر منها : ٣٣٢ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٦٦ .

وقد أشار إلى أهمية ذلك بعضُ ٱلعلماء ٱلسّابقين كٱبن سينا في رسالته (السّابقة)(١)، والدّرس الحديث يرى أنّ على ٱلباحث الصّوتيّ أنْ يتمتّع بقدر من ٱلمعلومات ٱلّتي يقدّمها علم ٱلتّشريح؛ لأنّها تمثّل ٱلحجر ٱلأساسيّ في وصف ٱلأصوات وتصنيفها . (٢)

ـ ٱلأصْوَاتُ ٱلْمتفرِّعة :

ـــــــــــ (سبق مصطلح المُتفرِّع) . يقدّم لنا الرّضيّ هنا (وهي ٱلْخطوة ٱلْمتعارف عليها في ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ٱلعربيّ مبحثاً جديراً بأنْ يذكّرنا بأحدث نظريات علم ٱلأصوات الوظيفيّ أو ٱلتّشكيليّ (Phonology) وهي ٱلنّظريّة ٱلفونيميّة الّتي تعدّ معلماً مميّزاً لمدرسة براغ ٱللّغويّة (٣) ، حيث يقدّم لنا مجموعة من ٱلأصوات أصطلح عليها بٱلْمتفرّعة و " هي في ٱلحقيقة أشكال صوتيّة لِلْحروف ٱلأصليّة تختلف عنها ٱختلافاً صوتيّاً محدّدا ، بسبب وقوع هذه ٱلحروف في بيئة صوتيّة تجعلها تُلْفَظ بشكل مغاير جزئيّاً لِلشّكل ٱلأصليّ لها . . . وعلم اللغة الحديث يسمّي هذا ٱلصّوت (ألفوناً ـ Allophone)(٤) ".

فما هذه ٱلأصوات إلاّ هيئات صوتيّة لِلأصوات ٱلأصول الّتي تمثّل ٱلفصحى ، ويبدو أنّ ٱنعدام أثرها الدّلاليّ وٱختلافها بنحوٍ ما عن ٱلحروف ٱلأصول ٱلمقاربة هو ٱلّذي دعا سيبويه (وهو أوّل من أشار إليها) إلى محاولة تمييزها بوضع تسميات خاصة بها ، غير أنّ عمله لم يكن شاملا لجميع أو لأكثر هذه ٱلأصوات الّتي " لاتَبِينُ إلاَّ بِٱلْمُشَافَهَةِ " (٥) ممّا حدا ببعض علماء ٱلعربية إلى زيادتها، ومحاولة ٱلوقوف على حقيقة ما ٱستحسن منها وما ٱستهجن ، (وهو تقسيم سيبويه لها ، فقد وصف ٱلقسم ٱلأوّل بقوله : " وَهِيَ كَثِيرَةٌ يُؤْخَذُ بِهَا، وَتُسْتَحْسَنُ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرآنِ وَٱلأَشْعَارِ . . . ")(٦) .

---

(١) وأيضاً : ٱلرّازيّ في تفسيره الكبير ١ / ٦ ، وعلماء ٱلتّجويد بما حرصوا على وصف ٱلأعضاء ٱلصّوتيّة ، ينظر : ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة : ٩٦ وما بعدها .

(٢) ينظر علم اللغة : ١٤٠ ـــ ١٤١ .

(٣) للوقوف على هذه المدرسة واتجاهاتها ومنجزاتها يُنظر : مدرسة براغ ٱللّغويّة ، د . أحمد مختار عمر . مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، ع ١١ ، ١٩٧٧ .

(٤) الفونيم : ٨٢ .

(٥) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ .

(٦) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ ، يقصد بالكثرة دورانها على الألسن لا الكثرة العدديّة .

ووصف ٱلْقسم ٱلثّاني بقوله : " ... بِحُروفٍ غَيْرِ مُسْتَحْسَنَةٍ وَلَا كَثِيرَةٍ فِي لُغَةِ مَنْ تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُ ، ولا تُسْتَحْسَنُ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَلَا فِي ٱلشِّعْرِ ... "(١)، وقد تصدّى ٱلرّضيّ لها في درسه، حيثُ تتجلّى مقدرته في محاولة ٱلْكشف عن معيار ٱلْاستحسان والاستهجان في بعض ٱلْأصوات ٱلّتي يرى أنّها صوتٌ واحدٌ في ٱلْحقيقة، فقد قال (في ٱلشّين كٱلْجيم ، وٱلْجيم كٱلشّين حيثُ الاول مستحسن ، والثاني مستهجن عند سيبويه) :

" وَكِلْتَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، لٰكِنَّهُ إِنَّمَا ٱسْتُحْسِنَ ٱلشِّينُ ٱلْمُشْرَبَةُ صَوْتَ ٱلْجِيمِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ بِهَا إِذَا كَانَتْ ٱلشِّينُ سَاكِنَةً قَبْلَ ٱلدَّالِ ، وَٱلدَّالُ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ، وَٱلشِّينُ مَهْمُوسَةٌ رَخْوَةٌ تُنَافِي جَوْهَرَ ٱلدَّالِ ، وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً ، لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ تُخْرِجُ ٱلْحَرْفَ عَنْ جَوْهَرِهِ، فَتُشْرَبُ ٱلشِّينُ صَوْتَ ٱلْجِيمِ ٱلَّتِي هِيَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ كَٱلدَّالِ لِتَنَاسُبِ ٱلصَّوْتِ ، فَلَا جَرَمَ ٱسْتُحْسِنَ ، وَإِنَّمَا ٱسْتُهْجِنَ ٱلْجِيمُ ٱلَّتِي كَٱلشِّينِ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ بِهَا إِذَا سُكِّنَتْ وَبَعْدَهَا دَالٌ أَوْ تَاءٌ ، نَحْوَ ٱجْتَمَعُوا وَأَجْدَر . وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْجِيمِ وَٱلدَّالِ ، وَلَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلتَّاءِ تَبَايُنٌ ، بَلْ هُمَا شَدِيدَتَانِ ، لٰكِنَّ ٱلطَّبْعَ رُبَّمَا يَمِيلُ لِٱجْتِمَاعِ ٱلشَّدِيدَيْنِ إِلَى ٱلسَّلَاسَةِ وَٱللِّينِ، فَيُشْرِبُ ٱلْجِيمَ مَا يُقَارِبُهُ فِي ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُوَ ٱلشِّينُ ، فَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْمُتَنَافِيَيْنِ مُسْتَحْسَنٌ ، وَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْمِثْلَيْنِ مُسْتَهْجَنٌ ، فَصَارَ ٱلْحَرْفُ ٱلْوَاحِدُ مُسْتَحْسَناً فِي مَوْضِعٍ ، وَمُسْتَهْجَناً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ "(٢).

فٱلرّضيّ يرى أنّ ٱلْاستحسان وٱلْاستهجان معيار موقعيّ ، وليس معياراً خارجياً يُفرض فرضاً بل يُرعى فيه أمر ٱلنّطق فعدّ ٱلْفرار من ٱلْمثلين، ويعني بهما ٱلْجيم مع ٱلدّال وٱلتّاء، (وأطلق ٱلْمثلين للتّشابه في صفتيهما خاصة مع ٱلدّال)، فكان ٱلطّبع ٱلْعربيّ ٱلْفصيح يميل إلى ٱلْحفاظ على مثل هذا ٱلتّتابع ٱلنّطقيّ ٱلْيسير كما يراه، فلمّا فرّ منه كان لأجل هذا مستهجناً ، وما حصل في ٱلشّين كٱلْجيم عكس ذلك ، إذا تنافت ٱلشّين مع ٱلدّال فُرّ من هذا ٱلتّنافي، فكان مُستحسناً .

ويرى ٱلرّضيّ أنّ ماقاله هنا يضمّ أصوات ٱلْكاف كٱلْجيم وٱلْجيم ٱلّتي كٱلْكاف "إِلَّا أَنَّ أَصْلَ أَحَدِهِمَا ٱلْجِيمُ، وَأَصْلَ ٱلْآخَرِ ٱلْكَافُ "(٣) فٱلْأوّل في نحو جافر في كافر، وٱلثّاني في نحو كمل (أي : جمل) ، وفي رجل : ركل ، إلا أنّهما جميعاً مستهجنان وكذا مثلهما من ٱلْمتفرّعة ٱلْقاف بين ٱلْقاف وٱلْكاف ، فقد نقل عن ٱلسّيرافي قوله :

---

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٧ .

(١) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ .

" هُوَ مِثْلُ ٱلْكَافِ ٱلَّتِي كَٱلْجِيمِ وَٱلْجِيمِ ٱلَّتِي كَٱلْكَافِ " (*)

وٱلرّضيّ في هذا ٱلْموضوع يعتمد على ٱلسّيرافيّ الّذي فيما يبدو كـــان يتمتـع بموهبة جيِّدة في تمييز ٱلأصوات ٱلْمتقاربـة في أجراسها •

وٱلأصوات ٱلْمتفرِّعة ٱلْمستحسنة عنده هـي :

١ ـ ٱلْهَمْزة بينَ بينَ : وهو تعبير يجمع ثلاثة أصوات مابين الهمزة وأحد أصوات ٱلْمـد وظاهر كلام سيبويه أنّها واحدة (١)، ويرى د• تمّام حسّان أنّها " مُجَرَّدُ خَفْقَـةٍ صَدْرِيَّةٍ لَا يَصْحَبُهَا إِقْفَالُ ٱلْأَوْتَارِ " (٢) •

٢ ـ ٱلنُّون ٱلْخفيّة : يذكر ٱلرّضيّ : " قِيلَ : إِنَّ ٱلرِّوَايَةَ عَنْ سِيبويه: ٱلْخَفِيفَةُ، قال ٱلسّيرافيّ: يَجِبُ أَنْ يُقَالَ : ٱلْخَفِيَّةُ، لِأَنَّ ٱلتَّفْسِيرَ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وإِذْ هِيَ نُونٌ سَاكِنَةٌ ظَاهِرَةٌ مَخْرَجُهَا مِنَ ٱلْخَيْشُومِ فَقَـطْ " (٣) وتحدّد مجيئها موقعيًّا قبل ٱلْحروف الخمسة عشـر (حروف ٱلْفم وٱلشّفة) •

٣ ـ ألف الإمالة : يُسمِّيها سيبويه ألف ٱلتّرخيم، وتبدو بحسب بعض ٱلْمحدثين، " صوت لين نصف ضيـق " (٤) •

٤ ـ لام ٱلتّفخيم : (٥) (بحسب مصطلح ٱلتّفخيم) •

٥ ـ ألف ٱلتّفخيم : (٥) (بحسب مصطلح ٱلتّفخيم)، ولم يذكرها ٱبنُ ٱلْحاجب وٱستدركها عليه ٱلرّضيّ •

٦ ـ ٱلصّاد كَٱلزّاي (٥) : في نحو يَصْدُقُ، وصَدَقَ (سبق في مصطلحي ٱلتّناسب وٱلْمضارعة) •

٧ ـ ٱلشّين كَٱلْجيم : (كذا في مصطلح ٱلْمضارعة)، وقد سبق ٱلْكلام عنها •

هذه هي ٱلْمستحسنة، ويبلغ عددها عنده تسعة أصوات •

---

(١) ينظر : الكتاب:٤/ ٤٣٢، ش ش ٣/ ٢٥٤، وفي تخفيف ٱلْهمزة ش ش ٣ / ٣٠ •
(٢) اللغة العربية : معناها ومبناها : ٥٣ •
(٣) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ •
(٤) في ٱلْبحث ٱلصّوتيّ : ٧٨، وينظر : ش ش ٣/ ٢٥٥، والكتاب:٤/ ٤٣٢ •
(٥) ش ش ٣ / ٢٥٥ •
(*) ش ش ٣/ ٢٥٧ •

أمّا ٱلأصوات ٱلمتفرّعة ٱلمستهجنة، فهي :

١ ـ ٱلصّاد كالسّين : قال ٱلرّضيّ : " فربّما بعضهم من ٱلسّين، لكونهما من مخرج واحد " (١)

٢ ـ ٱلطّاء كالتّاء : قال عنها : " تكون في كلام عجم أهل ٱلمشرق كثيراً، لأنّ ٱلطّاء في أصل لغتهم معدومة ... " (١)

٣ ـ ٱلفاء كالباء : نقل عن السّيرافيّ : " هي كثيرة في لغة ٱلعجم، وهي على ضربين : أحدهما لفظ ٱلباء أغلب عليه من ٱلفاء، وٱلآخر لفظ ٱلفاء أغلب عليه من ٱلباء، وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى ٱلباء وٱلفاء ٱلمخلصين، قال : وأظنّ أنّ ٱلعرب إنّما أخذوا ذلك من ٱلعجم لمخالطتهم إيّاهم " (١) فهذا ٱلمتفرّع يضمّ صوتي : (V و P) في ٱلإنكليزيّة فالأوّل صوت ٱلفاء مع ٱلجهر، والآخر صوت ٱلباء مع ٱلهمس، ويمكن أن يكون صوت (P) من بقايا السّاميّة ٱلأمّ في ٱلعربيّة، فقد عدّ برجشتراسر هذا الصّوت أحد أصواتها وهي أصل ٱلفاء ٱلفصيحة . (٢)

٤ ـ ٱلضّاد ٱلضّعيفة : ينقل عن السّيرافيّ أنّها عند من لم تكن ٱلضّاد ٱلفصيحة من أصواتهم " فربّما أخرجوها ظاء، لإخراجهم إيّاها من طرف ٱللسان وأطراف ٱلثّنايا، وربّما تكلّفوا إخراجها من مخرج ٱلضّاد، فلم يتأتّ لهم، فخرجت بين ٱلضّاد وٱلظّاء " (١) ويذكر عن حاشية كتاب ٱبن مبرمان ما يفيد أنّها الصّوت المفخّم للتّاء، كما يقال في أثرد له : أضرد له، ويعتقد سيبويه أنّ خروجها من ٱلجانب ٱلأيسر أخفّ من ٱلأيمن لاعتياد ٱلأيمن على ٱلصّحيحة . (٣)

وأرى أنّ هذا ٱلصّوت أحد أمثلة ٱلتّطور ٱلصّوتيّ ٱلّذي حدث لصوت ٱلضّاد الّذي رآه بعض ٱلمحدثين صوتاً غريباً جدّاً، ليس له نظير في أيّة لغة إنسانيّة أخرى، ورآه آخر صوتاً مجهولاً من ٱلصّعب تصوّره، وينظر بعض ٱلباحثين إلى أنّ هذا ٱلصّوت هو ٱلمقابل ٱلمهموس للضّاد . (٤)

٥ ـ ٱلكاف كالجيم (سبق ٱلكلام عنها وعن أختها .) ويصطلح عليها أيضاً بالكاف بين ٱلكاف وٱلجيم (٥)، يقول د . تمّام حسّان فيه : " من أصوات ٱلكاف لم يفقد همسه

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٦ .

(٢) التّطور النحويّ : ١٣، ٢٣٦، دروس في علم أصوات العربيّة : ٤٢ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٤) ٱلضّاد العربيّة مثال للتّطوّر ٱلصّوتيّ : ٩٤، ١٠٠، ١٤٥، ووجودها في بعض ٱللغات ٱلأجنبيّة .

وإنْ أصبح معطشاً لِتعطيشِ ٱلْجيم،وهذا ٱلصّوتُ هو ٱلّذي يصفُهُ ٱلنُّحاةُ بٱصطلاح ٱلْكَشْكَشَةِ ، وهو شَبيهٌ لِمَا في نطق ٱلْعراقيّينَ لكلمةِ (كَيْفَ) "(*)

٦ ـ ٱلْجيم كٱلْكاف : "وهِيَ فاشِيَةٌ فِي أهْلِ ٱلْبَحْرَيْنِ "(٢).

٧ ـ ٱلْجيم كٱلشّين : (سبق ٱلْكلام عنها) ٠

٨ ـ ٱلْكاف بين ٱلْقاف وٱلْكاف: (سبق الكلام عنها) ٠

٩ ـ ٱلْجيم ٱلّتي كٱلزاي (٢) : كما في (أَجْدَر) (وعلى ما في مصطلحي ٱلْمضارعة وٱلإشراب)

١٠ ـ ٱلشّين ٱلّتي كٱلزّاي (٢): كما في (أَشْدَق) (وعلى ما في مصطلحي ٱلمضارعة وٱلإشراب)

١١ ـ ٱلْياء كٱلْواو ؛قال ٱلرّضيّ : "وَمِنْها أيْضاً ٱلْياءُ كٱلْواوِ في قيل وبيع ـ بٱلإشمام "(١) (ينظر مصطلح الإشمام)؛وهو أحد ٱلصّوائت ٱلطّويلة ٱلْمتفرعة ٠

١٢ ـ ٱلْواو كٱلْياء : قال : "وٱلْواوُ كالياء في مذعور وٱبْنِ نُور ، كَمَا ذَكَرْنا فِي بَابِ ٱلإمَالَةِ "(٢)

وبعدُ : فإنّ ٱلرّضيّ يرمي ٱبنَ ٱلْحاجب بٱلْوهم عندما يرى عدم تحقّق بعض ٱلْأصوات وهي ٱلجيم كالكاف والجيم كالشين ٠ وقد زاد عليه ٱلْأصوات في:(٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢)، زيادةً على ماذكرهُ من عدم ذِكْرِه لـ (ألف ٱلتّفخيم) ٠

وعلى ماذكر ٱلرّضيّ فعدد ٱلْمتفرعة المستهجنة يبلغ ٱثني عشرَ متفرعاً،فيكون مجموع المتفرعات بقسميها واحداً وعشرينَ صوتاً أو يكون تسعةَ عشرَ صوتاً،لموقفه في متفرع الجيم ومتفرع الكاف بينما لم يذكر سيبويه منهما الا أربعةَ عشرَ فرعاً ٠ (٣)

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٧٠

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٧،وينظر ٣ / ٢٩ ٠

(٣) ينظر الكتاب:٤ / ٤٣٢ ٠

(*) اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٤ ٠

٢ـ آليةُ الصِّفاتِ الصَّوتيّةِ : لقدْ قُمْتُ في مَبحثِ المُصطلحاتِ الصَّوتيّةِ في الفَصْلِ الأوّلِ بتقديمِ مفهوماتِ الرّضيِّ في طبيعةِ هذه الصِّفاتِ الّتي هيَ إحدى مرتبتي التّمايزِ بينَ الأصواتِ الّتي تنبّه لهَا الدّرسُ الصّوتيُّ العربيُّ مُنذُ أيامِ سيبويهِ (وقد حَرِصْتُ كثيراً في أنْ أكونَ دقيقاً في فَهْمِ مقاصدِهِ وَأُجنِّبَ نفسي وغيري تكلّف سحبِ تلكَ المفهوماتِ إلى مَاتوصّلَ اليه الدّرسُ الحديثُ .

ولابُدّ لي من وقفةٍ هنا ، استكمالاً لِمَاتقدّمَ في المُصطلحاتِ ، وَاستكمالاً للبحثِ الّذي أنا بِصددِهِ وحرصاً على تكاملِ النّظرةِ .

تقومُ فكرةُ الصِّفاتِ الصّوتيّةِ على مُلاحظةِ الآليّةِ المَخرجيّةِ الّتي يَعملُها العضوُ المُتحركُ مَعَ العضوِ الثّابتِ وهي تتفاوتُ بينَ الاتّصالِ التّامِّ (بالاعتمادِ التّامِ على نقطةِ المَخرجِ فَيُقْفَلُ بذلك المجرى الهوائيُّ كماهُوَ الحَالُ عندَ الأصواتِ الشّديدةِ (أوْ الإنفجاريّة) والانفراجِ التّامِّ بَيْنَ العُضوينِ على مَاهُوَ الحالُ عِنْدَ إصدارِ صوتِ الالفِ وبَيْنَ هَاتيْنِ الآليتَيْنِ درجاتٌ متفاوتةٌ مِنَ التّضييقِ والتّوسّعِ عَلَى مَاهُوَ الحَالُ في بقيّةِ الأصواتِ (وهي الرّخوةُ والواوُ والياءُ) أو أنْ تُوجَدَ الآليتانِ الغَلْقُ والانفتاحُ وهُوَ مَايُسمّى عند الرّضيِّ بالصِّفةِ مابينَ الشّدةِ والرّخاوةِ وقد يَقْتصرُ الاتّصالُ أو التّضييقُ على نُقطةِ المَخرجِ كما في السّابقةِ أو قدْ يشملُ منطقةً تَحْتَوِي نُقاطاً مُتعدّدةً كمافي نُطقِ الأصواتِ المُطبقةِ وعندَ التّفشي ، وهناكَ صفةٌ أُخرى لاحظَهَا الرّضيُّ ترتبطُ بالمدّةِ الزّمنيّةِ الّتي يَمكُثُ فيها العُضوانِ متقاربيْنِ وقد سمّاها الإشباعَ فإذا كانَ هذا الإشباعُ مَعَ الحَبْسِ التّامِ أو التّضييقِ فهو صفةُ الجَهرِ وعدمُه الهَمسُ ؛ أمّاإذا كانَ الإشباعُ مَعَ الانفتاحِ الكَامِلِ للمَجرى فهو المدُّ .

ولَحِظَ الرّضيُّ أيضاً أنَّ لِلْشفتيْنِ دوراً مُهمّاً في الصّفاتِ الصّوتيّةِ فعمليةُ تدويرِ الشّفتيْنِ تَنْتجُ الضِّيقَ المميّزَ لكلٍّ من الواوِ والضّمةِ عَنِ الفتحةِ والألفِ اللّتيْنِ يُفرّجُ بينَ الشفتين فيهما . أمّا الكسرةُ والياءُ فلاتَمَيُّزانِ هنا بل بارتفاعِ وَسطِ اللّسانِ إلى مافوقَه من الحَنَكِ عَلى مَايرى الرّضيُّ (١) . وفيما يأتي الوقوفُ عِنْدَ بعضِها .

---

(١) الحقيقةُ العلميّةُ لتمايزِ الضّمةِ : أنَّ للضّمةِ حجرتيْ رنين : الأولى حلقيةٌ ضيّقةٌ والأخرى فمويةٌ أماميّةٌ واسعةٌ ؛ أمّا عند الكسرة فحجرتا الرنين حلقيّةٌ خلفيّةٌ ، أمّا الفتحة فهي تمتلكُ أوسعَ حجرة رنين تمتدّ من الحلق إلى الشّفتين (ينظر تحليل الظّواهر الصّوتيّة في قراءة يعقوب الحضرمي : ٩٩) والكلام يشمل أصوات المدّ المجانسة للحركات مع بعضِ الاختلافِ القليلِ .

أ ـ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ : لَقِد ورثَ الرَّضيُّ عن ٱلعلماءِ ٱلْمتقدمينَ إدراكاً متقدِّماً جداً في ٱلنِّظامِ ٱلوظيفيِّ لِلُّغةِ ٱلْعربيّةِ ٱلْفصحى بتركيزِهَا ٱلْخَاصِ على مجموعةٍ من ٱلصِّفاتِ دونَ غيرِها مع رَفْضِها لمظاهرِ التَّنازُل عن هذهِ الصِّفاتِ عند عملياتِ الإدغامِ أوْ التَّقاربِ الصَّوتيِّ الَّذي يحدثُ بينَ الأصواتِ،وقَدْ جمعوا هذهِ الصِّفاتِ بحروفِها في (ضَويَ مِشْفَرٌ)،وقد عمِلَ الرَّضيُّ على وضعِ الاصطلاحِ المُناسبِ لها ألا وهو مُصطلح (فَضِيلَةُ ٱلْحَرفِ)،وعمِلَ على جمعِ حروفٍ أُخرى يُمكنُ أنْ تَشملَها هذهِ النَّظرةُ.والصِّفاتُ هنا هي:اللِّينُ،والاستطالةُ،و(التَّفشي والرَّخاوة)،والغُنَّةُ،والتَّكريرُ،والتَّأفيفُ ؛ وزادَ عليْها:ٱلإطباقَ،والصَّفيرَ •

وأمامَ هذهِ النَّظرةِ فإنَّنا نَقفُ على الصِّفاتِ ٱلمُهيمنةِ في ٱلْعربيّةِ ٱلْفصحى،ونجِدُ أنَّ صفاتِ ٱلْجهرِ وٱلْهمسِ والشِّدَّةِ والرَّخاوةِ ليستْ بذلكَ الاعْتبارِ في تمايزِ الأصواتِ فَبالإمكانِ التَّنازلُ عنها في ٱلتَّحولاتِ ٱلصَّوتيّةِ دونَ أنْ تختلَّ الدَّلالةُ •

وقد تمَّ(على وفقِ هذا) النَّظَرُ إلى مجملِ عملياتِ الإدغامِ وَوَصْفُها بٱلْقبولِ أوِ الرَّفْضِ اعتماداً على مدى اعتبارِها لوجودِ هذهِ الصِّفاتِ في الأصواتِ المُدغمةِ •

ب ـ ٱلْجَهْرُ وٱلْهَمْسُ : في ٱلْوقتِ الَّذي أدركَ فيه ٱلْمحدثونَ آليّةَ هاتينِ ٱلصِّفتينِ بعملِ الأوْتارِ ٱلصَّوتيّةِ في ٱلْحنجرةِ،فهي تَتذبذبُ عند الجهرِ،ولا تتذبذبُ عِنْدَ الهَمْسِ (١) بوساطةِ ما امتلكوه من أجهزةٍ،نجدُ أنَّ الرَّضيَّ قَدْ أدركَ من قبلُ هاتيْنِ الصِّفتينِ عبْرَ ماتتمتعُ بهِ مجموعةُ الأصواتِ المنتميةِ لكلٍّ منهما بوضوحٍ سمعيٍّ موازنةً مع مقابلتِها الأخرى ؛ وهُوَ ماقرَّرَه(يسبرسن)بأبحاثِهِ حينَ وضعَ مدرجاً لستِّ درجاتٍ لمستوياتِ ٱلْجهرِ،وتَنْتهي بٱلمرتبةِ السَّادسةِ،بالأصواتِ ٱلْمهموسةِ مثل الكافِ والتَّاءِ والسِّينِ (٢) • ويبدو لي أنَّ الرَّضيَّ قد اعتمدَ في ذلك على ملاحظتِهِ الذَّاتيّةِ من جانبٍ،ومن جانبٍ آخرَ على الأثرِ عن سيبويه • وقدْ جَهِدَ الرَّضيُّ في محاولةِ الوقوفِ على ٱلْمعيارِ المميِّزِ لهاتينِ الصِّفتيْنِ ؛ فرأى أنَّ ذلكَ يكمُنُ في جريانِ النَّفَسِ،وعدمِه،وربَّما أدخلَ فيها معياراً آخرَ هو الصَّوْتُ الخارجُ منَ الصَّدْرِ الَّذي نقلَهُ عن بعضِهم (٣).

وإذا كانَ بامكانِ المُحدثينَ أنْ يجدُوا في صوتِ الصَّدرِ إشارةً إلى صوتِ التَّذبذبِ ٱلْحنجريِّ،فلا أعتقدُ أنَّ مفهومَ الرَّضيِّ هنا يُساعد على ذلكَ • فقد توصلتُ من

---

(١) ينظر ؛ دراسة الصوت: ١٠٦ ، ميكانيكية النطق: ٣٠٥ •

(٢) اللُّغة وعلم النَّفس: ٨٢ ، ظاهرة الوضوح السَّمعيّ في الأصوات ٦٧ ـ ٦٨ •

(٣) ينظر : ش ش ٣ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩ •

من خلال كلامه أنّ الإشباع في الاعتماد هو إشارة إلى مدّة الإعاقة المخرجيّة، وهي تمنع النّفس لأجل هذا من المرور، أمّا ضعف أو قلّة الاعتماد فيسمح بمرور النّفس، وفي الحالتين يمكن أن يمرّ الصّوت معهما، ويسمع، فكان الهواء الخارج بحسب اعتقاد الرّضيّ (على ما أرى) مركّباً من شيئين هما (النّفس + الصّوت)، والصّوت: هو جزء من النّفس مكيّف بكيفية خاصة، وعلى وفق هذا تتمّ صفتا الجهر والهمس، ويدخل على التّصور السّابق اعتبارات أخرى تؤدّي إلى القول بالجهر في حروف ليست مجهورة عند المحدثين، وذلك لارتباطها بمسألة ارتفاع الصّوت وخفضه مع دخول عمليات التّقابل في الصّفات في المخرج الواحد عند الرّضيّ عاملاً مهماً، ومؤثّراً نتيجة لما قدّمه الخليل وسيبويه من أفكار، من نحو: " فلولا بحّة في الحاء لأشبهت العين... ولولا هتّة في الهاء ... لأشبهت الحاء "(١) لتقارب مخارجها، والهمزة " مهتوتة مضغوطة، فإذا رفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف .. "(٢)، وقول سيبويه "ولولا الإطباق لصارت الطّاء دالاً، والصّاد سيناً، والظّاء ذالاً، ولخرجت الضّاد من الكلام، لأنّه ليس شيء من موضعها غيرها "(٣).

وأستطيع القول أنّ هذا الكلام لا يقتصر على الرّضيّ فقط بل يعمّ معظم ما قدّم لنا التّراث الصّوتيّ منذ الخليل وحتّى ما قبل العصر الحديث، وبروز الاتّجاهات الحديثة في علم اللّغة الحديث.

وممّا تقدّم يمكنني أن أفسّر وجود أصوات الهمزة والقاف والطّاء في مجموعة المجهورات، مع أنّ الدّرس الحديث قد بيّن عكس ذلك بوساطة الأجهزة المختبريّة فالهمزة على ما يرى الرّضيّ تمتلك نبرة تجري مجرى التّهوّع (والنّبرة على ما هو استعمال الرّضيّ هي ارتفاعة في الصّوت (وقد مرّ في مصطلح النبر)، فهي الهمزة(٥) المهموسة عند بعض المحدثين (٤)، أو لا مهموسة ولا مجهورة عند بعضهم الآخر، أو حتّى المجهورة كما سمعت ذلك من أحد الأساتذة الأفاضل (٦). هي مجهورة

---

(١) العين: ١/٥٧.
(٢) نفسه: ١/٥٢.
(٣) الكتاب: ٤/٤٣٦.
(٤) ينظر: العربية ولهجاتها: ١٢، مناهج البحث: ٩٧، دروس في علم أصوات العربية: ١٢٣، العربية الفصحى: ٣٨.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٩٠، علم اللغة العام (الأصوات) : ١١٢.
(٦) وهود. طالب عبد الرّحمن في مناقشة إحدى رسائل الماجستير.

أيضاً عند الرضيّ بمقابلتها مع الصوت الضعيف (الخفيّ) رفيقها في المخرج صوت الهاء ، فهي أكثر قوةً بما فيها من حفز وشدة أمام مجرّد خروج النفس ليس أكثر عند الهاء الذي رأى بعضهم (١) ، أن يطلق عليه (صائت مهموس) مراعاةً لهذه الآليّة .

ويعضّد تفسيري هنا : ما يقرّره الرضيّ نفسه حين يقول : " قد يحصل (يعني : اختلاف الحروف) مع اتّحاد المخرج بسبب وضع الآلة من شدّة الاعتماد وسهولته " (٢) وقال أيضاً " بل إنّما يختلف بالجهارة والّلين والغلظ والرقّة " (٣) .

ويمكن أيضا أن يكون اقترانها (شبه الدائم) بأصوات المدّ قد أوحى إليه ومن سبقه أن يقول بجهرها .

أمّا الطاء والقاف فكلاهما من المستعلية الّتي يرتفع اللسان عند النطق بها (مع اختلاف سطح الاحتكاك عند التصويت بهما) فكلاهما يمتلك صفة قوّة فالإطباق صفة فضيلة لا يمكن التنازل عنها ، ولها مكان الصدارة في الاعتبارات الصوتيّة ولها أيضاً قوّة التأثير الّتي رصد الرضيّ بعضها كما في (اصطبر واطّرب) والاستعلاء قريب منها كما أنّ عمق مخرج القاف قد أدّى وظيفة هنا بقربه من الأصوات الّتي تحتاج " إلى اعتماد قويّ وهي حروف الحلق " (٤) .

ولهذا على وفق ما سبق تمّ وصف هذه الأصوات بالجهر والّتي يعزّزها أيضًا كون هذه الأصوات شديدة (انفجاريّة) وهي صفة قوة أمام الرّخاوة ... وعلى هذا لحظنا أنّ مفهومي المجهور والمهموس تتداخل عليهما اعتبارات صوتيّة (بعيدة عن عمل الأوتار الصوتيّة أو قريبة منها) مع اعتبارات غير صوتيّة ، كأن تعبّر عن نظرة اجتماعيّة أو نتاج تداخل عوامل صوتيّة متعدّدة تبرز لنا المصطلح محملاً بكلّ ذلك .

---

(١) ينظر: علم اللغة : ١٧٨ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٥١ .
(٣) ش ش ٣ / ٢٥٠ .
(٤) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

وتقدمي السابقِ في تعليلِ وجودِ أصواتِ الهمزةِ والقافِ والطاءِ في خانةِ المجهورات - أكونُ قد زدتُ على التعليلاتِ التي تتواردُ في كتبِ المحدثين (١) مكررةً لاحقاً عن سابقٍ تعليلاً ربما يكونُ أكثرَ وجاهةً ومساساً بحقيقةِ وجودِها هنا ، وأُشيرُ إلى أنني لم أقفْ عند واحدٍ من الباحثين على مثلِ هذا التفسيرِ الخاص بهذه الأصواتِ ، ومفهومي الجهرِ والهمسِ في التراثِ العربيِّ الإسلاميِّ .

- جدول رقم (٢) الأصواتُ المجهورةُ والمهموسةُ بين الرضيِّ والمحدثين (٢)

	الأصواتُ المجهورةُ	الأصواتُ المهموسةُ
المحدثون	يْ ، وْ ، ج ، ع ، غ ، ض ، ل ، ن ، ر ، ز ، ظ ، ذ ، م ، د .	ء ، هـ ، ح ، خ ، ك ، ش ، ص ، ت ، س ، ث ، ف ، ق ، ط
الرضي	ء ، وْ ، يْ ، د ، ق ، ط ، ظ ، ل ، ز ، ب ، ض ، ذ ، غ ، ر ، ج ، ن ، م ، ع .	س ، ت ، ش ، ح ، ث ، ك ، خ ، ص ، ف ، هـ .

إذن للرضيِّ مفهومانِ لكلٍّ من الجهرِ والهمسِ يمكنُ أن أعبرَ عنهما بالشكلِ الآتي :-

---

(١) ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) : ١١٠ و ١١١ و ١٢١ ، ودروس في علم أصوات العربية : ٣٥ ، ١٥٦ ، وأصوات العربية بين التحول والثبات : ٢٥ - ٣٨ ، وينظر التطور النحوي : ١٦ - ١٧ .

(٢) فكرة الجدول عن الدراسات الصوتية عند علماء العربية : ٦٧ .

١ـ ٱلْمَفهومُ ٱلآليُّ (١) : وهو : ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + جرى ٱلصّوت ــــــــ (١)

أو : ٱلْجهر = حبسُ ٱلنّفس + حبسُ ٱلصّوت ــــــــ (٢)

ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + جرى ٱلصّوت ــــــــ (٣)

أو ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + حبسُ ٱلصّوت ــــــــ (٤)

ولا يعني حبسُ النّفس أوْ حبسُ الصّوت أنَّهما لا يمكنُ أن يَنْفذا من نقطةِ ٱلْمخرجِ، بل يعني قصر المدّة الزّمنيّة لعدمِ جريانِها (بحسب مصطلحات : جرى النّفس وجرى الصّوت، وحبس النّفس) .

ولمّا كانَ كلٌّ من جرى الصّوتِ يعني الرَّخاوة، وعدمِ جَرْيِهِ يعني الشّدّة .

ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + ٱلرّخاوة .... (١)

ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + ٱلشّدّة .... (٢)

ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + ٱلرّخاوة .... (٣)

ٱلْهمس = جرى ٱلنَّفَس + ٱلشّدّة .... (٤)

٢ـ ٱلْمفهومُ الوَظيفيّ (٢) :

ٱلْجهر = ٱلْهمس + صفة قوّة .... (٥)

ٱلْهمس = ٱلْجهر ـ صفة قوّة .... (٦)

وصفةُ القُوّةِ كما سبقَ تَتَدخّل فيها اعتباراتٌ صوتيّة واجتماعيّة، ويقولُ الرّضيّ في ٱلْمَجهورة : " لَابُدَّ فِي بَيَانِها، وإِخراجِها مِن جَهْرِها ، وَلَا يَتَهَيَّأُ ٱلنُّطْقُ بِهَا إِلَّا كَذٰلِكَ ، كَٱلْقَافِ وَٱلْعَيْنِ ، بِخلافِ ٱلْمَهموسِ، فَإِنَّهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ أَنْ تَنْطِقَ بِهِ، وَيسْمَعُ مِنْكَ كَمَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَجْهَرَ بِهِ " (٣) ، وهذا يُؤكّدُ بشكْلٍ واضحٍ المُعَادِلتين (٥) و(٦) و خاصةً رقم (٦) .

ـ (يجبُ الرّجوعُ إلى مُصطلحَيّ ٱلْجَهر وٱلْهمس)

---

(١) أعني به مفهومه للتّهيئة ٱلْمخرجيّة عند ٱلنّطق .

(٢) أعني به مفهومه في التّمايز ٱلصّوتيّ .

(٣) ش ش ٣/٢٥٨ .

جـ - ٱلشِّدَّةُ وٱلرَّخاوةُ ومابينهما :

تنقسمُ الأصواتُ اللُّغويّةُ بحسَبِ هذهِ قسمةً مستأنفةً ثلاثةَ أقسامٍ : شديدةً ورخوةً ومابينهما (١) ، وعند ٱلمُحدثِينَ هي : ٱلانفجاريّةُ ، وٱلاحتكاكيّةُ وٱلمتوسِّطةُ أو المائعةُ وغيرها من التّسميَاتِ ، وسبقَ أنْ أشرتُ في المصطلح الى وضوحِ آليتِها ٱلميكانيكيّةِ عند الرّضيّ وكذلكَ وضوحِ أثرِها السّمعيّ القائمِ على الخطِّ ٱلزّمنيّ ٱلفيزيائيّ الّذي تمثّل بما لاحظَه مِن آنيتِها عند الشّدّةِ ، الّذي يستلزمُ إدراكُه لاستمراريّةِ الرّخوةِ وقد ماثلَ ٱلمُحدثون (٢) هذا القولَ عندَ وصفِهم لهذهِ الأصواتِ غيرَ إنّنا نجدُ أصواتاً وردتْ عند الرّضيّ على غيرِ الصّفةِ الّتي وردت بها عند المحدثِينَ ، وهي أصواتُ الجيمِ ، والضّادِ ، والعينِ (ينظر الجدول رقم ٣) ؛ لكنّ الوقفةَ المتأنّيةَ مع هذهِ الأصواتِ تبيّنُ أنّ الرّضيّ وقبلَه سيبويهِ لم يكونا واهمَيْنِ مع هذهِ الأصواتِ ، وأنّ احتمالَ تطوّرِ هذهِ الأصواتِ كبيرٌ جداً .

(جدول رقم (٣) ٱلأصوات الشّديدة وٱلرّخوة ومابينهما بين ٱلرّضيّ وٱلمحدثين) (٣)

	ٱلأصوات الشّديدة	ٱلأصوات الرّخوة	مابينهما
الرّضيّ	ء ، ج ، د ، ك ، ق ، ط ، ب ، ت ،	هـ ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ض ، ز ، ظ ، س ، ث ، ذ ، ف ،	ل ، م ، ي ، ع ، ن ، ا ، و
المحدثون	ء ، ت ، ك ، ض ، ط ، د ، ب ، ج ، ق ،	هـ ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ز ، س ، ظ ، ث ، ذ ، ف ، ع ،	ل ، م ، ر ، ن

فالجيمُ مجهورةٌ شديدةٌ مثلُ ٱلجيمِ ٱلمصريّةِ الحاليّةِ ، لكنّ مخرجَ الجيمِ العتيقةِ مخرجُ الشّينِ والياءِ ، أمّا ٱلمصريّةُ فمخرجُها مخرجُ ٱلكافِ ، وماقالَهُ بعضُ المحدثِينَ في الجيمِ

---

(١) ينظر ش ش ٣ / ٢٦٠ .

(٢) ٱلأصوات والحروف : ٢٤٦ .

(٣) فكرة الجدول عن : الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة : ٧٦ .

:إنّها (انفجاريّة - احتكاكيّة)،فإنّما تأثّر بالجيم الشّاميّة،وهي غير الجيم العتيقة التي يمكن أن يكون نطق العاميّة العراقيّة في نحو (جمل)،و (جيكاره) أوضح مثّل لها . (١)

أمّا الضّاد،فهي مثال جيد للتّطوّر الصّوتيّ وأهمّ مايميّزها قديماً أنّها كانت صوتاً جانبيّاً احتكاكيّاً،وهي الآن صوت شديد بحيث يبدو أنّ صورتها الأولى قد اضمحلت حتى كادت تختفي (٢) وقد اختلطت مرةً بالظّاء،ومرةً بالدّال المفخّمة واخرى باللّام المفخّمة (٣) .

أمّا ما يخصّ صوت العين،فقد يتأكّد صحة ماقاله الرّضيّ في صفته متابعاً لسيبويه،إذا تمّ النّظر إليها على وفق الضّابط الذي اعتمده،فالصّوت لا يجري معها مثل مايجري مع الرّخوة،ولا ينقطع انقطاعه مع الشّديدة " وذلك أنّها يمكن أن يجري الصّوت معها عند الوقف عليها إلاّ أنّ في ذلك مشقّةً وكلفةً،ويمكن معرفة ذلك بنطقها في كلمة (إرجع) مثلاً،ومقارنتها بصوتي الهمزة والحاء في كلمتي (إرجي)و (أرجح)" (٤)

ويبدو أنّ عدم الاستقرار المخرجيّ لهذا الصّوت،كان السّبب في إحداث هذه الصّفة،كما لاحظه الرّضيّ من ميله إلى مخرج الحاء ،إذ قال : " أمّا العين فينحصر الصّوت عند مخرجه،لكن لقربه من الحاء التي هي مهموسة ينسلّ صوته شيئاً قليلاً ، فكأنك وقفت على الحاء " (٥) .

وقد أحسن سيبويه عندما قصر صفة مابين الشّدّة والرّخاوة على صوت العين فقط (٦) ،وما عمله الرّضيّ في متابعته المبرد (٧) (على مايبدو) من تعميم هذه

---

(١) ينظر : علم اللّغة العام (الأصوات) : ١١٥ ،علم اللّغة : ١٥٦ ، مناهج البحث : ١٩٠ - ٢٠٤ ،الدّراسات اللّهجية والصّوتيّة : ٣١٦ - ٣١٧ ، الأصوات والحروف :٢٤٦ - ٢٤٧ ،ويقرر د . حسام النّعيميّ بقائها على ألسنة القرّاء ينظر : أصوات العربيّة : ٦٢ - ٧٠

(٢) يرى بعض الباحثين وجودها الآن في بعض العربيّة الجنوبيّة،وبعض الأوربيّة ينظر : الضّاد مثال للتّطور الصّوتيّ : ١١٣ - ١١٤ ، اللغات الساميّة : ٣٠ .

(٣) في نطق الضّاد ينظر : كلام العرب:٢٥ - ٣٢ ،أصوات العربيّة :٥٠ - ٥٢ ، الحروف والأصوات : ٢٤٧ .

(٤) أصوات العربيّة : ٣١٧ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٦) الكتاب ٤ / ٤٣٥ .

(٧) ش ش ٣ / ٢٦٠ ،وينظر المقتضب : ١ / ١٩٦ .

الصّفة لتشملَ حروفَ (لِمْ يَرُوعُنا) ففيه مافيه مِن التكلّفِعفمن هذه الأصوات تتميّز حروفُ:(ألالفِ،والواوِ،والياءِ) المدّيّة،أوغير المدّيّة بجريان واضحٍ للصّوت نتيجةً لسعة مخارجِها (ولي وقفةٌ معها في صفة المدّ) • أمّا بقيّة الأصوات (أيْ: اللّامِ،والميمِ، والرّاء،والنّون) بفعلى مافيها من إمكانيّة جريان الصّوت بما يقرّبها من أصواتِ العلّة إلاّ أنّ الرّضيَّ (على ما يبدو)قد أعتمدَ على خاصيّتها النُّطقيّة لا السّمعيّة حيثُ هيئتُها تضمُّ شيئين:الاعتراضَ التّام،وعدم الاعتراض،أوْ تكرار ذلك مُتَعاقِباً،كمافي الرّاء،ولذا أرى أنّ التّسمية الدّقيقة لهاهي(الشّديدة ــ الرّخوة) على مابيَّنْتُ في المصطلح •

د ــ ألإطباقُ وألانفتاحُ :

نقلَ الرّضيُّ عن سيبويه (مع اختلافِ الألفاظ عمّا في الكتاب) " لَوْلَا ألإطْبَاقُ فِي ألصَّادِ لَكَانَ سِيناً ،وفي ألظّاءِ كَانَ ذالاً ، وَفِي ألطَّاءِ كَانَ دَالاً، وَلَخَرَجَتْ الضَّادُ مِنَ ألْكَلامِ ؛ لِأنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ ألْحُرُوفِ مِنْ مَوْضِعِهَا غَيْرُهَا "،(١) ولاستيعابه كلامَ سيبويه،فقد جعلَها إحدى الصّفات الفضيلةِ الّتي لايُتَنَازَلُ عنها لعملِها الواضحِ في تَمييزِ أصواتِها عن مقابلاتِها المُنفتحة • لكنّ ماقرّره سيبويه وتبعه فيه الرّضيّ لاينسجمُ مع مايراهُ ألمُحدثونَ في مقابلاتِها ؛ حيثُ تبدو مقولتَنا الطّرفين على وفقِ الجدول الآتي :

(ــ جدولا ألإطباق بين ألرّضيّ وألمحدثين).(٢)

الجدول الرّقم (٤أ) (الرّضيّ)

المطبق	الصفات	المنفتح	الصفات
ط	مجهور،شديد	د	مجهور،شديد
ص	مهموس ،رخو	س	مهموس،رخو
ظ	مجهور، رخو	ذ	مجهور، رخو
ض	مجهور، رخو	ــ	ــ

الجدول الرّقم (٤ب) (المحدثون) •

المطبق	الصفات	المنفتح	الصفات
ط	مهموس ،شديد	ت	مهموس،شديد
ص	مهموس ، رخو	س	مهموس، رخو
ظ	مجهور ، رخو	ذ	مجهور، رخو
ض	مجهور ،شديد	د	مجهور، شديد

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٢،وينظر:الكتاب : ٤/ ٤٣٦•

(٢) استفدت فكرة الجدولين من: الدراسات الصوتية عند علماء العربية: ٦٨و ٦٩ •

(٣) ترى أودبتي،أنّ مقابل الظاء هو الزاي ،ينظر بحث في فينولوجيا اللغة العربية ١٧٢•

فالطّاء يقابلُ الدّال والضّاد لامقابلَ له ،أمّا عند المحدثينَ فإنّ مقابلَ الطّاء هو التّاء ومقابلَ الضّاد هو الدّال.وأرى أنّ هذا التّقابلَ نتيجةً لما وصفَ الرّضيُّ به الطّاء من الجهر الّذي وقفْنا عليه فيما سَبَق؛ وشرطُ التّقابلِ أنْ يكونَ الصّوت مشابهاً لمقابلهِ بكلّ صفاته إلاّ الصّفةَ المُقابلة؛ ولهذا فمِنَ الطّبيعي أنْ يكونَ المقابلُ صوتَ الدّال ؛ لأنّه مجهورٌ وشديدٌ ومن مخرجِ الطّاء .

أمّا كونُ الدّال مقابلاً للضّادِ عند المُحدثين فلا يتعارضُ مع ماقدّمه سيبويه والرّضيّ؛ لأنّ الضّاد عندَ المحدثينَ انفجاريٌّ (شديدٌ) ؛ أمّا الضّاد العتيقة فهي رَخوةٌ مستطيلةٌ جانبيّةٌ لايُشاركُها في مخرجِها غيرُها .

هـ-المـدّ : يميز الرّضيّ طائفةً من الأصواتِ بما تمتلكه من امتدادٍ صوتيّ؛ وهي أصواتُ:(الألف والواو والياء)؛ ولأجلِ هذه الصّفة ،فإنّها تعدُّ قسماً واضحاً متميّزاً عن بقيّة الأصوات ولأجل هذه الصّفة ؛ نرى الرّضيَّ يطلقُ عليها في بعضِ المَواقع بـ (حُرُوفِ الإطْلاَق)؛ لما تَسْمَحُ صِفَتُها من التّرديدِ والتّرجيع ، قالَ الرّضيّ : " وحُرُوفُ الإطْلاَق : أيْ الألفُ والوَاوُ والياءُ ، هِيَ المُتَعيِّنَةُ مِنْ بَيْنِ الحُرُوفِ لِلتّرديدِ والتّرجيعِ الصّالِحَةُ لَها ، فمِنْ ثَمَّ تَلْحَقُ في الشّعْرِ (لِقَصْدِ الإطْلاَقِ) كَلِمَاتٍ لاتَلْحَقُهَا في غَيْرِ الشّعْرِ " (١) .

ومع تميّزُ أصواتِها عَن غيرِها؛ فإنّها لَمْ تخرجْ عند الرّضيّ عن التّوزيع المتعارَف عَليه في الأصواتِ الصّحيحة (الصّامتة)؛ فَهُوَ يَنْسِبُ الألِفَ إلى مخرجِ أقصى الحلق معَ الهمزةِ والهاءِ؛ والياءَ إلى مخرجِ الجيمِ والشّين؛ وهو مخرجُ وسطِ اللّسان ومافوقه؛ أمّا الواوُ فينسبه إلى الشّفةِ مع الباءِ والميمِ؛ (ينظرالجدول الرقم (١)) وهي عند الرّضيّ أخفى الحُروفِ لِسعَة مخارجها؛ والالف اوسعها ولا يتضيّق المجرى الهوائيّ على امتدادِهِ ؛ وهو يقف (على وفق النّظريّة الصّامتيّة) ليبيّنَ أنّ هذهِ الأصواتَ متفاوتةٌ في هذا الاتّساع؛ فيقولُ : " وإنّما كانَ الاتّساعُ لِلألِفِ أكثرَ لِأنّكَ تَضمُّ شَفَتَيْكَ لِلْواوِ؛ فَيتَضيَّقُ المَخْرجُ وتَرفعُ لِسانَكَ قِبلَ الحَنَكِ لِلْياءِ . وأمّا الألِفُ فَلا تَعْمَلُ لَهُ شَيْئاً مِنْ هَذا؛ بلْ تُفْرِجُ المَخْرَجَ؛ فأوْسَعُهُنّ مَخْرجاً الألِفُ ، ثُمّ اليَاءُ ، ثُمّ الوَاوُ " (٢) .

---

(١) ش ش ٢/٣١٦ .

(٢) ش ش ٣/٢٦١ .

وهذا الوصفُ بالاتّساع يتوافقُ مع نظرة المحدثين لهذه الأصواتِ ، قال (بلومفيلد) فيها " إنّها تعد يلاتٌ للصّوت المنطوقِ لاتتضمنُ غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتّصالاً لا من اللّسان ولا الشّفتين " (١) ، ولا ينقضُ هذا التّوافقَ قولُه بوجود بعض التّضييق فهذا التّضييق معتبرٌ عند الرّضيّ من حيثُ هي مع بعضها لا من حيثُ هي مع غيرها كما يتّضحُ من بناء النّص .

وعلى العموم فإنّ هذه الأصواتَ عند المحدثين (وتشاركها الحركاتُ) لا يتمّ النّظرُ إليها على وفقِ ما عرفَ مع الصّوامت ، بل الأمرُ فيها مختلفٌ ، وقد جرتْ محاولاتٌ كثيرةٌ للوقوفِ على المعيار الصّحيح لتمايزها عن الصّوامت وتمايزها بينها ؛ وأبرزُ تلك المحاولاتِ ما قام به العالمُ الإنكليزيّ (دانيال جونز) حيثُ يرى هذا العالمُ : أنّ المعيارَ الّذي يجبُ أنْ يعتمدَ هنا هو وضعُ اللّسانِ حالَ التّصويتِ باحدِ تلك الأصواتِ فمعَ الألفِ يستقرُّ اللّسانُ في قاعِ الفمِ ، ولهذا فقدْ عُرف بـ (الواسع) ، ومعَ الواوِ يرتفعُ الجزءُ الخلفيُّ من اللّسانِ نحوَ الطّبقِ اللّيِّنِ أو اللّهاةِ ؛ ولذا فالواوُ صائتٌ خلفيٌّ ضيّقٌ ، ومعَ الياءِ يرتفعُ الجزءُ الاماميُّ من اللّسانِ نحوَ الحنكِ الصّلبِ ؛ ولذا تسمّى الياءُ صائتاً اماميّاً ضيقاً ، وارتفاعُ اللّسانِ معهما ينبغي أنْ يكونَ إلى نقطةٍ لاتحدثُ أيَّ نوعٍ من الاحتكاكِ المسموعِ (٢) ، كذلك تدخلُ الشّفتانِ فيها معياراً لتمايزها " فتدويرُ الشّفتينِ أوعدمه السّمةُ الّتي تفرّقُ بينَ الضّمةِ والكسرةِ " (٣) ، وكذلك بينَ الواوِ والياءِ .

ومع فرق الدّقّة والاختلافاتِ المنهجيّة بينَ القدماءِ والمحدثين فإنّ الرّضيّ قد اقتربَ منَ الإدراكِ الصّحيحِ للطّبيعةِ المخرجيّة النّاتجة عن حركةِ اللّسانِ والشّفتينِ ، ففي الواو كانَ المظهرُ الأكثرُ بروزاً هو تدويرُ الشّفتينِ ، أمّا مع الياءِ فلاحظَ أنّ اتّخاذَ الشّفتينِ وضعَ الانفراجِ لا يبدو متميّزاً أمامَ وضعهما معَ الألفِ ، ولمّا كانَ وضعُ الانفراجِ يسمحُ بملاحظةِ حركةِ اللّسانِ فقد مكّنهُ ذلكَ أنْ ينسبَ الياءَ إلى وسطِ اللّسانِ ، ولم

---

(١) دراسةُ الصّوت : ١١٤ ــ ١١٥ .

(٢) يُنظر : علمُ الأصواتِ العام : ١٢٩ ــ ١٣٧ ، ومع شهرةِ ماقدّمه جونز فإنّ عليه عيبَ في شيئين : أ ــ إنّه لا يصفُ شكلَ اللسان كلّه بل يقتصرُ على أعلى نقطةٍ منه (ب) موضع النّطقة يذكره مقرباً فلا يقيس أماميّتها أو خلفيتها . ينظرُ : الكلامُ إنتاجُه وتحليلُه : ٧٣ ــ ٧٤ .

(٣) علمُ الأصوات العام : ١٣٥ .

يمكنه أن يعرف وضع اللسان عند الواو، لصعوبة ذلك لاحتجاجه عنه في بعض النصوص، التي يرد فيها كون الإشمام حال الرفع أو الضم فقط يوضح أن هناك ما يمكن أن يخفى عليه من حركة اللسان إذ يقول : " والشفتان بارزتان لعينيه، فيدرك نظره ضمهما، وأما الكسرة فهي جزء الياء التي مخرجها وسط اللسان، والفتحة جزء الألف التي مخرجها الحلق وهما محجوبان بالشفتين والسن ؛ فلا يمكن للمخاطب إدراك تهيئة المخرجين للحركتين " (١) ؛ فعمق الهيئة المخرجية التي يعملها اللسان في الواو، أدى إلى التعويل على الأظهر من هيئتها المخرجية الاخرى، وهي تدوير الشفتين. وقوله بارتفاع وسط اللسان إلى ما فوقه من الحنك الأعلى يبدو قريباً من تصنيف "جونز" بارتفاع الجزء الأمامي من اللسان .

أما الألف فلما كان اللسان لا يرتفع معها بل يبقى مستقراً في قاع الفم، والشفتان تتخذان وضعاً محايداً غير مميز ؛ فمن الأنسب له أن ينسبه إلى أقصى المخارج، وخاصة إنه يدرك تسمية الخليل لها بالهوائية. (٢)

ولا يغيب عنا ما يمكن أن أعانه مع الياء والألف خاصة بوجود نماذج جرى فيها التبادل بين الجيم والياء، والألف والهمزة، وهو شيء معتبر جداً في التفكير الصوتي التراثي في مثل هذه المواقع .

ووقف الرضي أيضاً على مجموعة أخرى من الأصوات تمتاز بهذه الصفة (أي : المد) هي الحركات، وتبرز هذه الصفة من خلال مسألة التبعيض بين الحركات وأصوات المد حيث يلحظ أن الصفة المميزة بين أية منها وصوت المد المجانس تقوم على فكرة الزمن النطقي، وهو ما أصطلح عليه بالإشباع (*)

ومن النصوص الواضحة لهذه العلاقة قوله : " ... لأن الحركة في الحقيقة بعض حروف المد بعد الحرف المتحرك بلا فصل ؛ فمعنى فتح الحرف الإتيان ببعض الألف عقيبها، وضمها الإتيان ببعض الواو عقيبها، وكسرها الإتيان ببعض الياء عقيبها " (٣) . وهي فكرة بديهية جداً في درس الرضي، ومن المسلمات، ولهذا فقد أقتضى أن تكون الحركات هي أصل المد ؛ قال الرضي : " الفتحة سبب حصول الألف " (٤) ؛ وقال أيضاً " لأنك إذا أسكنت حرف العلة بلا مد ولا اعتماد عليها وبعض ذلك الحرف، فيكون عين الحركة، إذ هي أيضاً بعض الحرف كما قلنا " (٥)، ولهذا أرى أن الأصوات المدية يجب أن تسبق

---

(١) ش ش ٢/ ٢٧٦ .

(٢) ينظر : ش ش ٣/ ٢٥١ .

(٣) ش ش ١/ ١١٨ .

(٤) ش ش ١ / ١٢٣

(٥) ش ش ١/ ١١٩ .

(*) ينظر : مصطلح الإشباع .

بحركةٍ مجانسةٍ لتحقق صفةَ الامتداد أو الإقلات عن ذلكَ .

أمّا إشاراتُهُ إلى مخارجها فقد ذكر أنّ آلةَ الضمّةِ هي الشّفة (ينظر مصطلح آلة الضمة ،ورأى أنّ وجودَ الفتحة قبل الحلقيّ معناهُ وجودُ حرفٍ قبلَها من حيّزها بجزئيّتها من الألفِ الحلقيّ (١) . وبالامتداد الزمنيّ أو علاقةِ الجزئيّة بين الحركاتِ وأصواتِ المدّ ، بدا لي الرّضيّ متقدّماً على أحدثِ محاولاتِ المحدثينَ لتمييزِ الصّوائت المختلفة ،وهي محاولةُ اللّغويّ CATFORD الذي قال: " فَالْمُلاحَظُ أَنّ تَلَبُّسَ الزَّمَنِ بِالْحَرَكَةِ وَارْتِبَاطَهُ بِهَا ،أَكْثَرُ مِنْ ارْتِبَاطِهِ بِالصَّامِتِ ، ذَلِكَ أَنّ الْحَرَكَةَ يُمْكِنُ مَدُّهَا ، وَيَكُونُ هَذَا الْمَدُّ جُزْءاً مِنْ إِنْتَاجِهَا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ فِي إِنْتَاجِ الصَّامِتِ ، فَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الصَّوامِتِ الْمُخْتَلِفَةِ لَا يَكُونُ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا مَمْدُودَةٌ أَوْ غَيْرُ مَمْدُودَةٍ ،وإِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ " (٢) .

وبعدُ ،فإنّ امتلاكَ أصواتِ المدّ لرموزٍ خطيّة جعلهم يعاملونها معاملةَ بقيّة الحروفِ بخضوعها لمبدإ تصنيفِ الحروفِ إلى متحرّكٍ وساكنٍ،وهي لاتتعدّى كونَها حركاتٍ طوالٍ،وفي ذلك ينصّ الرّضيّ على حركيّتها قائلاً : " الْمَدُّ يَقُومُ مَقَامَ الْحَرَكَةِ (٣) " ، وَيجوّزُ التقاءَ السّاكنينَ عند ما يكونُ الأوّلُ منهما حرفاً ليّناً،لأنّ الحركةَ بعض (التّفصيل في الاتجاه الثّالث من هذا الفصل ، مع رصدٍ لاشتراكهما في الوظيفة المقطعيّة التي تؤديانها في نظام الأداء العربيّ) .

وإذا كانَ تقدُّمُ الحركة قبلَ المدّ المجانسة علامةً على امتداديّتهِ،فإنّ وجودَ حركةٍ غير مجانسةٍ قبلَ صوتِ المدّ (وهو : الواوُ أو الياءُ فقط) تحصلُ حالةٌ يعرّفها الرّضيّ بقلّةِ المدّ ،ويعبّر عن هذينِ الصّوتين : الواوُ أو الياءُ ماقبلَها من الحركةِ من غيرِجنسها ، ويعبّر عن الحالة المدّيّة هنا أحسنَ تعبير في التقاءِ السّاكنين،حيثُ يقولُ في قولٍ : " فَإِنَّكَ إِذَنْ تَهَيَّأْتَ فِيهِ بَعْدَ الْقَافِ لِلْمَدِّ الْأَلِفِيِّ : أَيْ الْفَتْحَةِ ، ثُمَّ انْتَقَلْتَ فِي الْحَالِ إِلَى الْمَدِّ الْوَاوِيِّ شَائِباً شَيْئاً مِنَ الْمَدِّ الْأَوَّلِ بِالْمَدِّ الثَّانِي،وَمَيْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَدَّيْنِ إِلَى جَانِبٍ غَيْرِ جَانِبِ الآخَرِ ،فَلَا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ الْوَاوِيِّ تَمَامَ التَّمَكُّنِ (٤) " .

---

(١) ينظر : ش ش ٢/٢٧٦ .

(٢) عن الحركات بين المعيارية والخصائص النطقية : ١٣١ .

(٣) ش ش ٣/٢٤٨ ، ش ك ٢/٥٠٥ ،ويحدث العكس " قيام الحركة مقام الحرف الرابع " عن ش ك ١/٥٠٠ ،وقوله : " صارت الحركة ... كحرف " عن ش ش ٢/٣٩ .

(٤) ش ش ٢/٢١٢ .

على غيرِ مايحدثُ في نحوِ قُول الصموم قافه، وذلك لأنّك :

" تتهيّأ بعد النّطقِ بالقافِ للواوِ ، وذلك لأنّ الضّمّة بعضُ الواوِ فيسهلُ عليكَ المجيءُ بعدَ الضّمّةِ بالواو كاملةً ، لأنّه لم يُخالطْها إذن نوعٌ آخرُ منَ المدِّ كما خالطَها في نحو قَوْل "(١) وهو تصوّر خطيرٌ جداً في النّظام المقطعيّ الّذي سنقفُ عندَه فيما بعدُ، بعون اللّهِ.

فتتابعُ المدّين لا يمكنُ في المَقطعِ، فتحتالُ العربيّةُ بتحويلِ أحد الصّوتين، (وهو الثّاني) الى شُبه صامتٍ، الّذي عبّر عنه الدّرسُ الْحديثُ بالرمزين (Y و W = ى و و) وشبه الصامت (Semi-Consonant) يكونُ عادةً ضمنَ التّتابعِ الّذي ذكرَهُ الرّضيّ مسبوقاً بالفتحةِ فيعملُ معها مايُعْرَفُ عند المُحدثين بصوتِ المدّ المركّب (Diphthong) ويرمز له بـ (aw و ay) (أيّ : (٢) .

وقدْ أدركَ الرّضيّ اقترابَ (ي ، و) من الصّوامت (أو الصّحاح) بما عبّر عنه بمصطلح القُوّةِ، وذلكَ عند ماتتْبعُها الحركةُ أو يكونان مُضعّفين، فتخرجُ هذه الأصوات من حالةِ الاعتلال (التّغيير) إلى حالةِ القوّةِ (الثّبات) المتمثّلة بالصّحاح (بحسب مصطلح القوّة) .

وسأقفُ عندَ المسلكِ المقطعيّ لهذه الأصوات، ومعاملةِ العربيّةِ لها معاملةَ الأصواتِ المدّيّة في موضعِها من الاتجاه الثّالث لهذا الفصل .

كذلكَ من الأصوات الّتي تتمتّع بصفةِ الامتدادِ (ماوقف عليه الرّضيّ) : الأصوات المدّيّة المتفرّعة، ويبدو أنّ منها المستحسنَ وهي : الالفُ الممالة (أي : ألف التّرخيم) وألف التّفخيم، ومنها المستهجنُ وهي الياء كالواو والواو كالياء ، ولابُدّ أن تسبق كلاً من هذه الأصوات حركةٌ مجانسةٌ، فهناك الفتحة الممالة نحو الكسرة والفتحة الممالة نحو الضّمّ والكسرة المشمّ ضمّاً والضّمّ المشمّ كسرة . (٣)

---

(١) ش ش ٢/ ٢١١ـ ٢١٢ .

(٢) ينظر دراسة الصوت : ٢٨٣ و ٣٠٣ .

(٣) ينظر : الاصوات المتفرعة ٦ و ش ش ٣/ ٤ ، ٢٩ .

ٱلإتّجاه ٱلثّاني : ٱلأصوات في حالة ٱلتّجاور وٱلتّركيب (ٱلتّعامليّة)

يقدّم لنا الرّضيّ في هذا ٱلاتّجاه مجموعة من ٱلظّواهر وُجدتْ نتيجة لحالة ٱلتّجاور بين ٱلأصوات وتركيبها بعضها مع بعض من نحو : ٱلإدغام وٱلإعلال وٱلإبدال وٱلحذف وٱلقلب ٱلمكانيّ ٱلّتي تُعدّ مظاهر ٱلتّطور ٱلصّوتيّ ٱلّذي يعتري ٱللغة ٱلإنسانيّة، وليس ٱلعربيّة فقط، وقد ٱستطاع بعضُ ٱللغويين ٱلمرموقين (*) ٱلوصولَ إلى أفكار تحدّد سير هذه ٱلتّطورات أو بعضها ، وٱصطلحوا عليها بٱلقوانين ٱلصّوتيّة.

فٱلتّطورات ليستْ عشوائيّة ، قال دي سوسير : "إنّ ٱلظّواهر ٱلصّوتيّة ليستْ ٱلبتّة ظواهر مطلقة دائماً ، بلْ إنّها تخضعُ في أغلب ٱلأحيان لقيود مُعيَّنةٍ ، وبعبارةٍ أُخرى فليس جنس ٱلصّوتم هو ٱلّذي يتحوّلُ، إنّما ٱلّذي يتحوّل هو ٱلصّوتم ، كما يرد في ظروف معيّنة من جوارٍ صوتيّ، وتنبيرٍ وغيرها " (١)

فالقوانين الصّوتيّة ليس كٱلقوانين ٱلطّبيعيّة ، فهي ترتبط بظروف متعددة ، وتبدو فكرة ٱلقانون ٱلصّوتيّ عند ٱلرّضيّ تدور ضمن ٱتّجاهين يُمثّلهما مصطلحا (ٱلتّخفيف، وٱلثّقل) يجمعهما ٱلميل نحو: ٱلسُّهولة وٱلتّيسير، أو ٱلأيسر فونيميا ، أو ٱلحدّ ٱلأدنى من ٱلجهد (بحسب المحدثين)، أو ٱلسّلاسة عند ٱلرّضيّ على حدّ مصطلح ٱلسّلاسة).

وفيما يأتي وقفات مع ٱلمظاهر ٱلّتي قدّمها ٱلرّضيّ ممثّلة هذا ٱلاتّجاه من ٱتّجاهات نظره إلى ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة .

أ ــ ٱلإدْغامُ : (ويرتبط منه ههنا إدغام ٱلمتقاربين): إنّ حالة ٱلإدغام من أبرز مظاهر ٱلتّطورات ٱلصّوتيّة في ٱلعربيّة، وهي ٱلمماثلة ٱلكليّة ٱلرّجعيّة (٢) عند ٱلمحدَثين ، إذ إنّ ٱلغالب في ٱلإدغام أنْ يُدغم ٱلأوّل في ٱلثّاني، وهو قياس ٱلعربيّة ٱلفصيحة، ويجد هنا أنّ أبناء ٱللغة يميلون إلى إخراج ٱلصّوتين ٱلمتتابعين صوتاً واحداً، وهو رأي ٱلرّضيّ وقد وافقه بعض ٱلمحدثين (٣) ، فرأوا فيه

---

(١) دروس في ٱلألسنيّة ٱلعامّة : ٢١٩ .

(٢) لِلْوقوف على ٱلأنواع ٱلمختلفة لهذه ٱلظّاهرة، يُنظر : علم الأصوات : ١٤١ــ١٤٢

(٣) ينظر : اللغة : ٩٤، ودراسة ٱلصّوت : ٣٣٣، المحيط : ١٢٣، المدخل إلى علم اللغة : ٩٧، وذهب آخرون إلى أنّ الإدغام حرفان، دراسات في علم أصوات العربيّة : ٢٥ ــ ٣٢، وينظر: في حقيقة الادغام ـ لجعفر عباينة، وعلم الأصوات: ١٨٠ .

(*) ينظر: تاريخ علم اللغة : ٢١٤. ومابعدها ، دروس في الألسنة: (٢٢٣ــ ٢٣١)

إخراجاً بالصّامت الطّويل (بحسب مصطلح الإدغام) ، وقد عملت الجدول رقم (٥) للوقوف على بيان التّنازلات المخرجيّة وعلى مستوى الصّفات لنتبيّن المسلك الفنولوجي للعربيّة في هذه الظّاهرة (يقتصر الكلام على الإدغام في الفصحى المشتركة[1])

جدول رقم (٥) إدغام الحلقية وأقصى اللسان ووسطه والشّفويّة.

المخرج −	المخرج +	الصفات: الهمس	الجهر	الشدة	الرخاوة	فضيلة الحرف	الملاحظات
		المتنازل عنها (ـ) / المكتسبة (+)					
حنجريّ	حلقيّ						أُجبه حّاتماً.
حلقيّ	حلقيّ	+	−				أرفع حّاتماً
حلقيّ	حلقيّ	+	−				إذبحّتوداً (إذبحْ عتوداً).
حنجريّ	حلقيّ						أذبحّاذه (أذبحْ هذه).
طبقيّ	طبقيّ	−	+				أُسلخ غّنمك.
طبقيّ	طبقيّ	+	−				أدمخ خّلفاً.
لهويّ	طبقيّ						الحق كّلده.
طبقيّ	لهويّ						أنهك قّطناً.
غاريّ	غاريّ	+	−				أبعج شّبثاً.
شفويّ	شفويّ			−	+	+ غنة	أضرب مّالكاً.
شفويّ	أسنانيّ			−	+	+ تافيف	أضرب فّاجراً.

< (يوضح سير الادغام) ، ـ (للتنازل) ، + (للاكتساب)

(1) ... في حالات الإدغام هذه ش ش ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ ، ٢٧٦، ٢٧٨ ، ٢٨٣ .

١ـ ٱلْإدغام ٱلْمتبادل داخل ٱلْمجموعات : (١)

آ ـ إدغام مجموعة (ت / د / ذ / ظ / ط / ث) بعضها في بعض، وفي (ص / ز / س)؛ وممّا ذكره ٱلرّضيّ فإنّ ٱلْإدغام هنا يتمُّ على وفق ٱلْقياس (أيْ : ٱلْأوّل في ٱلثّاني)، ويتمّ في هذا ٱلسّبيل ٱلتّنازل عن ٱلْمخرج وٱلصّفات ٱلصّوتيّة ومنها صفات فضيلة (أعني : ٱلْإطباق) في ٱلظّاء وٱلطّاء .

وبحسب ٱلْبحث ٱلْحديث فإنّ ٱلْإدغام يتمّ بين مخرجين (ٱلْأسنانيّ، وٱلْأسنانيّ ٱللّثويّ) ، ويذكر ٱلرّضيّ إدغام هذه ٱلْأصوات أيضاً في صوتيْ ٱلضّاد وٱلشّين؛ لما فيهما من ٱستطالة فيقربا من حروف طرف ٱللّسان، وهو في ٱلضّاد أقوى؛ لأنّ ٱلضّاد قريبٌ من ٱلثّنية، ويبدو من وجهة نظر ٱلْحديثة أنّ ٱلْإدغام هنا مع ٱلضّاد لِاتّحادها مخرجاً مع تلك ٱلْأصوات، أمّا مع ٱلشّين ٱلْغاريّة أو (مخرج وسط ٱللّسان)، فإنّ بينهما مخرجاً واحداً هو ٱلْمخرج ٱللّثويّ ممّا يصعب معه ٱلْقول بأنّ عامل ٱلْإدغام هو ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ .

ب ـ إدغامُ مجموعة ٱلصّفير : (ص / ز / س) بعضها مع بعض :

يتمّ في هذا ٱلْإدغام ٱلتّنازل عن صفات ٱلْإطباق وٱلْجهر وٱلْهمس مع ٱلْإحتفاظ بٱلرّخاوة ٱلْمميّزة بما فيها من صفير ؛ أمّا ٱلْمخرج، فيتمّ ٱلْحفاظ عليه؛ لأنّها من مخرج واحد هو (بين طرف اللسان وفويق الثنايا) عند ٱلرّضيّ ، وعند ٱلْمحدثين تشتركُ هذه الأصوات مع (د / ت / ض / ط) في ٱلْمخرج الأسنانيّ ٱللّثويّ .

د ـ إدغام مجموعة (ظ / ث / ذ) بعضها في بعض :

وهي ٱلْأصوات ٱلْأسنانيّة أو (أطراف ٱلثّنايا) عند ٱلرّضيّ ؛ ويتمّ في هذا ٱلْإدغام ٱلتّنازل عن صفات الاطباق، والجهر، والهمس، ويعتقد ٱلرّضيّ أنّ ٱلْإدغام ههنا أقلّ من ٱلْإدغام في ٱلْمجموعة ٱلصّفيريّة، وٱلسّبب في ذلك كما يرى أنّه " إذا وَقَفْتَ عَلَيْهَا رأيْتَ طَرَفَ ٱللِّسَانِ خَارِجًا عَنْ أطْرَافِ ٱلثَّنَايَا ، بِخِلَافِ حُروفِ ٱلصَّفِيرِ، وَٱلْإعْتِمَادُ بِٱلْإدْغَامِ عَلَى ٱلْحَرْفِ ٱلْمُنْحَصِرِ بِٱلْأسْنَانِ أسْهَلُ مِنْهُ عَلَى ٱلْحَرْفِ ٱلرِّخْوِ ٱلْخَارِجِ عَنْ رُؤُوسِ ٱلْأسْنَانِ ".(٢) .

---

(١) يُنظر لحالات ٱلْإدغام هنا: ش ش ٣ / ٢٨١ ـ ٢٨٣، والخارج عند ٱلْمحدثين عن دراسة ٱلصّوت: ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٨٣ .

٢ـ إدغام حرف في مجموعة حروف (١) :

آ . إدغام اللام : يرى الرضيّ (وهو مسبوق في ذلك) أنّ لام المعرفة تدغم في أصوات: (ن /ر/د /ت /ص/ز/س/ط/ظ/ث/ذ) وكذا في (ض /ش) لمخالطتها حروف طرف اللسان، وعند المحدثين (على فرض وجود الإدغام) فإنّه يتمّ بين اللام اللثوي مع زميليه في المخرج (ر /ن)، ومع الحروف (الأسنانيّة ـ اللثويّة) وهي (د /ت /ض / ط/ س/ ز/ص)، ومع الحروف (الأسنانيّة) وهي (ذ /ث / ظ) ومع حرف من المخرج الغاري هو الشين ، ويرى الرضيّ أنّ هذا الإدغام يحدث على سبيل الوجوب .

ب . إدغام النون : وهو واجب (كما يرى الرضيّ) " قُرْبَ مَخْرَجٍ كَاللَّامِ وَالرَّاءِ أَوْقُرْبَ صِفَةٍ كَالْمِيمِ ، لِأَنَّ فيه أيضاً الْغُنَّةَ ، وَكَالْوَاوِ وَالْيَاءِ ، لِأَنَّ النُّونَ مَعَهُمَا مِنَ الْمَجْهُورَةِ وَمَابَيْنَ الشَّدِيدَةِ وَالرِّخْوَةِ " (٢) وهذا من المحدثين مقبولٌ في اللام والراء، لأنّهما معه من مخرج واحد هو (اللثويّ)، وعلى نحو ما في الياء، لكونها من المخرج المجاور له فهي غاريّة ، أمّا مع الواو، فلايُمكن القبول بالتقارب الخرجيّ، لأنّها من الطّبق .

ـ ملاحظات حول حالات الادغام :

آ . إنّ الموقعيّة بماعبّر عنها الرضيّ في سير القياس (أي : قلب الأوّل إلى الثّاني) تتفاعل مع التّقارب المخرجيّ للعمل على إزالة التّمايز الّذي يتمتع به الصّوت السّابق عن اللاحق بتماثلهما في صوت واحد ، هو الصّامت الطويل، أي : الصّوت الثّاني لكن " مَعَ اعْتِمَادٍ عَلَىٰ مَخْرَجِهِ قَوِيٍّ " (٣) .

ب . يبني الرضيّ تصوّره لضعف الصّوت المدغم من خلال سكونه ، إذ الاعتماد بالسّاكن أقلّ ممّا هو عليه الاعتماد والحرف متحرّك ؛ وهذا يُوفّر ضعفاً في الحدود الصّوتيّة بين المتجاورين فيميل المتكلّم إلى دمجهما في حرفٍ واحدٍ .

د . تدخل مُرونة أعضاء التّصويت عاملاً مهمّاً في إحداث الإدغام، إذ سجّل الرضيّ كثرة لمظاهر الإدغام في حروف طرف اللسان ؛ بحيث تبدو الفواصل المخرجيّة متعدّمة مع قلّة ذلك في أصوات الحلق لصلابة جدار الحلق .

---

(١) ينظر لحالات الادغام ههنا ش ش ٣ /٢٧٩ ، ٢٧١ ـ ٢٧٤، ٢٨٠ ،ومخارجها عند المحدثين عن : دراسة الصوت : ٢٦٣ـ ٢٧٣ .

(٢) ش ش ٣ /٢٧٢ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٣٥ .

هـ - قياس ٱلْإدغام للفصحى مطرّد في ٱلْحلقيّة، وفي غيرها ، لكنّ ٱلْحلقيّة تعمل الى ٱلْانحياز بنفسها لقياس خاص بها مع مراعاة ٱلْقانون ٱلْعام ٱلْيسير ، وهو (ٱلتّخفيف)، وقياسها هو أن يدغم (ٱلْأنزل في ٱلْأعلى) ، لأنّ الحلقيّة (وهذا يعني في ٱلْمفهوم ٱلْحديث أصوات مخارج : ٱلطّبق ، وٱلْحلق، وٱلْحنجرة) أثقلها أنزلها في ٱلْحلق ، فلا جرم كان لها قياسها ٱلْخاص .

و - لقد وقفت مع ٱلرّضيّ على مظاهر إدغاميّة يتنازل فيها عن ٱلْجهر أمام الهمس تصل الى ٧٥٪ للجهر ، مقابل ٢٥٪ تنازل عن الهمس ، كذلك فإنّ في إدغام المجموعات والحروف سلوكاً واضحاً لهذا ٱلتّنازل ، ويشير هذا الى كون صفة ٱلْجهر لا تشكّل صفةً أساسيةً لتمايز ٱلْأصوات عند التّعامليّة .

ز - احتفاظ واضح بٱلرّخاوة، فمن حالات ٱلْإدغام في ٱلْجدول وغيره نرى أنّ كثيراً منها لا يتمّ إلّا مع مماثل في ٱلرّخاوة، ويؤكّد ، بشكل فعّال مجموعةُ ٱلصّفير بٱلْإدغام فيها ، أو ٱلْإدغام مع بعضها .

ح - ٱلتّنازل عن ٱلصّفة ٱلْفضيلة واضحٌ وخاصة فضيلة ٱلْإطباق ٱلّتي يتنازل عنها مع ٱلظّاء وٱلطّاء وٱلصّاد عند عمليات إدغامها في ٱلْمجموعات ، ٱلّتي يحاول ٱلرّضيّ فيها تمايزها بوضع معيار ٱلْمحافظة على هذه ٱلصّفة بقوله : (في إدغام ٱلْمجموعة الأولى) : " فَٱلْأَفْصَحُ إِبْقَاءُ ٱلْإِطْبَاقِ، لِئَلَّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ " (١) ، وكذا يفعلُ مع ٱلثّانية ، ويفعل ذلك أيضا مع ٱلصّفير .

ط - إنّ ما يتصوّره ٱلرّضيّ في إدغام ٱللام يبدو واضحَ ٱلتّكلف، فٱلتّقارب ٱلّذي يعتقده ، متباعد، لأنّه يشمل مخارج متعدّدة متقدّمة ومتأخّرة عن مخرج اللام ، فهذا ٱلصّوت ٱللثويّ يدغم في حروف مخارج: (ٱلأسنانيّ - ٱللثويّ وٱلأسنانيّ وٱلْغاريّ)، ويبدو أنّه لهذا ٱلْاتّساع يضيفُ عاملاً آخر لِلْإدغام هو كثرة تردد لام ٱلْمعرفة. وكلاهما غير مسلّم به ، لذلك فإنّ ما يقدّمه بعضُ المحدثين من مقترح لفهم هذه ٱلظّاهرة ٱلْمتعلّقة بٱلْحروف ٱلشّمسيّة وٱلْقمريّة ، يبدو غايةً في ٱلْوجاهة ٱلْعلميّة تعززه نتائج الدّراسات المقارنة مع أخوات ٱلْعربيّة ، إذ ذهب أستاذنا ٱلْفاضل ٱلدّكتور غالب ٱلْمطلبيّ (وهو صاحب هذا ٱلمقترح) إلى ٱلقول بـ :

" إنّ ٱلْإطار ٱلتّاريخيّ لظاهرة ٱلتّشديد ، وكذلك ٱلتّحليل ٱلصّوتيّ قد يقودان إلى تصوّر مخالف لِما ذهب إليه سيبويه ، إذ إنّ من ٱلْممكن ٱلْاعتقاد بأنّ ٱلتّشديد ههنا هو ٱلْمسؤول عن ظهور ٱللام في أداة ٱلتّعريف ٱلْعربيّة، وليس ٱلْعكس ، ويُمكن تفسير ذلك بأنّ ٱلْعربيّة قد فعلت ههنا ما فعلته في مواضع أخرى

---

(١) ش ش ٣ / ٢٨١ ، وينظر ش ش ٣ / ٢٨٣ .

من نزعةٍ إلى إلغاء ٱلتّضعيف كراهيّةً له ،وذلك باستبدال أحد ٱلصّوتيْنِ ٱلْمتماثليْنِ بصوت مخالف في عمليّة معروفة بالمخالفة (Dissimilation) ،وعادةً ما يكون هذا ٱلصّوت ٱلْجديد من أصوات ٱلْمدّ ٱلطّويلة (Long Vowel) أو أشباهها من ٱلْمائعة "(١)

ى ـ إنّ ٱعتماد ٱلرّضيّ على (طرف ٱللّسان) واضحٌ جداً في عملية ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ ٱلّتي يراها،وهو ما يوقعه في خلاف مع ٱلْمحدثين ؛ إذ إنّه يجعل من ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ شاملاً لمنطقةٍ واسعةٍ تضمُّ (ستةَ مخارج) ،زيادة على مخرج ٱلضّاد ٱلْمنتهي بطرف ٱللّسان لِٱستطالته ،ويشاركه في ذلك ٱلشّين .

ك ـ إنّ وجود حالات إدغام بين ٱلْأصوات ٱلْمتباعدة بنظر ٱلْمحدثين ينبغي أنْ تُنظر من خلال ٱعتبارات أُخرى غير ٱلتّقارب المخرجيّ أو في ٱلصّفة ...

ب ـ مظاهر أخرى لِلْمماثلة ٱلْكليّة : لقد ٱحتوى درس ٱلرّضيّ وقفاتٍ متفرّقةٍ تعبّر عن أنماط أُخرى من ٱلْمماثلة ٱلْكليّة هي :

١ ـ ٱلْإتْبَاعُ : وهو مصطلح ٱلْمماثلة بين ٱلْحركات،وهو ٱصطلاح ٱلْانسجام ٱلْمدّي (Vowel Assimilation) عند ٱلْمحدثين (٢) ،وقد وقفتُ عند بيان هذا المصطلح على معظم مظاهره فأكتفي هنا بٱلْإشارة إلى بعض ما حدث في الفصحى من هذه ٱلظّاهرة ففي قوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ قال الرّضيّ : " لِأنّ ضَمّةَ ٱلرّاءِ لِضَمّةِ ٱلْاعْرَابِ (٣) .

غير أنّي أشير إلى أنّ معظم ما أورده ٱلرّضيّ لهذه الظاهرة يقتصر على ٱللّهجات وٱلْقراءات ٱلْقرآنيّة،ويبدو أنّه ظاهرةٌ واضحةٌ جداً في ٱلسّلوك ٱللّهجيّ وٱلْقرائيّ

٢ ـ ٱلْمماثلة بين أشباه ٱلْمدّ وٱلصّحاح : ففي (ٱفْتَعَلَ) ممّا فاؤُه واوٌ أو ياءٌ يجري إدغام هذيْنِ ٱلصّوتيْن في ٱلتّاء كما في (ٱتَّعَدَ ، وٱتَّسَرَ ، وٱتَّصَلَ) وهي ٱلْمماثلة الرّجعيّة على ما عليه سلوك ٱلْإدغام ٱلْعامّ ؛ قال ٱلرّضيّ : " فَتَقَعُ ٱلتّاءُ بَدَلاً مِنْهَا كَثِيراً،لٰكِنَّهُ مَعَ ذٰلِكَ غَيْرُ مُطَّرِدٍ ، إلّا فِي بَابِ ٱفْتَعَلَ "(٤) ، ويبدو أنّ ٱلرّضيّ

---

(١) اداة التعريف في العربية : ٩٨ .
(٢) ينظر : في اللهجات العربية : ٦٧ ،(الحاشية) .
(٣) ش ش ٢ / ٢٤٢ .
(٤) ش ش ٣ / ٨٠ .

يعتقد أنّ ٱلإدغام ههنا يجرى عبر مرحلتين هما: ٱلإبدال، ثمّ ٱلإدغام ؛ وذلك يؤكّد نظرته أنّه " لَا يُمْكِنُ إِدْغَامُ ٱلْمُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا بَعْدَ جَعْلِهِمَا مُتَمَاثِلَيْنِ " (١) كما أنّ هناك عوامل غير ٱلتّقارب تعمل هذا الادغام لتباعد مخرجي ٱلصّوتيْن .

٣ـ ٱلمماثلة بين ٱلحركات وأشباه ٱلمدّ : ومظاهرها كثيرة، وهي تسايِر مقتضيات ٱلْبِنْيَة ٱلمقطعيّة لِلعربيّة فيما يُعرف بظاهرة ٱلإعلال ، ٱلّتي أرى من ٱلمناسب عرضها في ٱلأتّجاه ٱلثّالث من ٱتّجاهات ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ .

ج ـ ٱلمماثلة ٱلتّناسبيّة : وهو أصطلاح رأيتُه ممثّلاً لوجهة نظر ٱلرّضيّ في ٱلإدغام ٱلّذي يعتقده في كلمة (ستّ) في ٱلفصحى، وفي إدغام (مَحُّمْ) في لهجة تميم، وهي بحسب تصوّره : (أنْ يتماثل ٱلصّوتان عبر ٱنقلابهما معاً إلى حرف واحد ضعّف متناسب معهما صفةً ومخرجاً) ففي (سِتّ) ٱلْاصل فيها (سُدْس) فمع ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ بين ٱلسّين وٱلدّال لم يُمْكِنْ أنْ يقلب أحدهما إلى ٱلآخر خوفاً من تتابع ٱلسّينات وحفاظاً على فضيلة ٱلصّفير، وأيضا " بَيْنَهُمَا تَنَافُرٌ فِي ٱلصِّفَةِ ، لِأَنَّ ٱلدَّالَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَٱلسِّينَ مَهْمُوسَةٌ رخوةٌ ؛ فَتَقَارُبُهُمَا دَاعٍ إِلَىٰ تَرْكِ ٱجْتِمَاعِهِمَا مُظْهَرَيْنِ ، وَكَذَا تَنَافُرُهَا وَقَلْبُ أَحَدِهِمَا إِلَى ٱلْآخَرِ مُمْتَنِعٌ كَمَا مَرَّ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَلْبُهُمَا إِلَى حَرْفٍ يُنَاسِبُهُمَا وَهُوَ ٱلتَّاءُ، لِأَنَّهُ مِنْ مَخْرَجِ ٱلدَّالِ، وَمِثْلُ ٱلسِّينِ فِي ٱلْهَمْسِ "(٢) ، اما المظهر الاخر لهذه ٱلظّاهرة فسيتمّ ٱلوقوفُ عليه في مكانه من البحث الأخير لهذه ٱلرّسالة بعون الله تعالى .

ولكِنّ ما يعتقده ٱلرّضيّ لِأصل (سِتّ) فيه شيء من ٱلتّكلف وٱلبعد، لأنّ هذا العدد في السّاميات يرِدُ وليس فيه شيء من ٱلدّال بل فيه ٱلتّاء وٱلسّين وٱلشّين حيث ورد العدد على ٱلصّيغ ٱلآتية : (٣) ، شششو (آشورى) ، وشش (عبرى) ، وشتا (آرامي) ، وسسو (حبشي) ، ويرى كانتينو أنّ تاء (ستّ) هي تاء سينية (٤) ، وعنده أنّها إحدى أصوات السّاميّة ٱلأمّ .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٥ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٦٦ وما يتصوّره ٱلرّضي هنا لا يتصوّر مثله سيبويه أو آبن جنّي (الكتاب: ٤/ ٤٨١ـ ٤٨٢ ، التّصريف الملوكي: ١٠١ .

(٣) ينظر : تاريخ ٱللغات ٱلسّامية : ٢٨٨ .

(٤) ينظر : دروس في علم أصوات العربيّة : ٧٢ .

د ـ ٱلْمماثلة ٱلْجزئيّة : وهي أنْ يقتصر ٱلتّماثل إلى ما دون ٱلتّماثل ٱلْكليّ، ويذكر ٱلرّضيّ لهذه ٱلْمماثلة نوعين أو درجتين: ٱلْأولى تكون بإنْ يُقلَب أحدُ ٱلصّوتين الى قريب من ٱلثّاني قلباً كاملاً كما هو ٱلْمفهوم من قوله عن ٱلْإمالة وٱلتّجانس في (يَزْدُلُ) : " وَهٰذا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِٱلْإمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ إذْ " أبْدَلُوا مِنَ ٱلسِّينِ صَاداً " على ما ذكرت في مصطلح ٱلتّجانس.

أمّا ٱلدّرجة ٱلثّانية فهي أنْ يُشمّ أحدُ ٱلصّوتين شيئاً من صوتٍ يقاربه بفعل وجود ٱلصّوت ٱلثّاني، ولكن لا إلى حدّ ٱلْإبدال أو القلب ، بل فقط إلى ما يُسمّيه بِٱلْإشمام أو ٱلْمضارعة أو ٱلْإشراب ، وهو ما يحدث في أشدر وأجدر، فبفعل ٱلدّال يتمّ إشراب ٱلشّين وٱلْجيم صوتَ ٱلزّاي، وكذلك في (صدر) فبسبب وجود ٱلْفاصلة (أي : ٱلْحركة) تضعف ٱلْمماثلة من ٱلْإبدال إلى ٱلْإشمام فيُشمّ ٱلصّاد صوت الزاي . وقال في هذه : " جَعْلُ ٱلصَّادِ مُضَارِعًا لِلزَّايِ " (*)

ومن أمثلة ٱلدّرجة ٱلْأولى ما تتميز به صيغة (ٱفْتَعَلَ) من سلوك مّا رصده ٱلرّضيّ، فإذا كانت ٱلْفاء أحد ٱلْأصوات ٱلْمستعلية ٱلْمطبقة ما عدا الطّاء، فتحدث ٱلْمماثلة بإنْ تكتسب التّاء صفة ٱلْإطباق (أي : رفع ٱللّسان نحو ٱلطّبق) ؛ قال ٱلرّضيّ : " بِأَنْ تَجْعَلَ ٱلتَّاءَ إطْبَاقاً ، فَتَصِيرُ طَاءً ، لِأَنَّ ٱلطَّاءَ هُوَ ٱلتَّاءُ بِلَا إطْبَاقٍ " (١) ، نحو : اصطبر واضطلع ، فٱلصّيغة قبل هذا ٱلتّماثل ثقيلة كما يرى ٱلرّضيّ فـ " تَخْفِيفُهَا بِقَلْبِ ٱلتَّاءِ إلىٰ حَرْفٍ يَكُونُ أَقْرَبَ إلى فَاءِ ٱلْكَلِمَةِ " (١) .
ومثل هذه ٱلنّظرة من قبل ٱلرّضيّ أكّدها ٱلْبحث ٱلْحديث عند دراسته لِلنّظام الفينولوجي للعربيّة فقد أثبت أنّه " عندما يُوجد صوتٌ مفخّم (ٱلْمُطبق) ساكن في مقطع ما، فإنّ جميع المقطع يصبح مفخّماً " (٢) .

---

(١) شرش ٢٨٧/٣ .
(٢) ٱلتّشكيل الصّوتيّ : ٥٠ .
(*) ينظر مصطلح المضارعة : ٥٣-٥٤ (من الدّراسة) .

وإذا كان ٱلفاء زاياً أو ذالاً،وهما صوتان مجهوران " وَٱلتَّاءُ مَهْمُوسَةٌ فَتُقْلَبُ دَالاً؛لِأَنَّ ٱلدَّالَ مُنَاسِبٌ لِلذَّالِ وَٱلزَّايِ فِي ٱلْجَهْرِ وَلِلتَّاءِ فِي ٱلْمَخْرَجِ " (١) ، نحو: ازدان،واذتكر . وقد رصد ٱلرَّضيّ حدوث ٱلإدغام بعد ذلك في هذه ٱلصّيغة فيصبح ٱلفعلان على ٱلشّكل: آدّان وأذّكر وادّكر، (٢) .

ومن ٱلألفاظ ٱلّتي حدثتْ فيها هذه ٱلظّاهرةما أورده ٱلرّضيّ في قلب ٱلسّين صاداً عند وقوعه قبل ٱلأصوات المستعلية،سواء أكانت متصلة به كصقر، أمْ منفصلة بحرف نحو صَلَخَ ، او بحرفين أو بثلاثة نحو صلق وصراط وصاليق ،لأنّه يثقل التصعد من منخفض،فأبدلوها مايوافقها في صفتها ،وهي الصّاد،على مايرى الرضي (٣) والأصح أنَّ هذه ٱلأصوات قد أثّرتْ بصفتها على ماقبلها فاكتسبَتْ ٱلسّين ٱستعلاءً جعلها ٱلقابل المطبق لها وهي ٱلصّاد ؛ وهذه المماثلة من نوع ٱلرّجعيّة،أمّا في صيغة ٱفتعل،فالمماثلة تقدّميّة .

ومن ٱلمظاهر ٱلأخرى لهذه ٱلظّاهرة مايحدث لِلنّون من إخفاء مع الحروف سوى حروف الحلق ، إذ لم يكنْ بين تلك ٱلأصوات،وهذه ٱلنّون قُربٌ لا في ٱلمخرج، ولا في ٱلصّفة تبيح ٱلتّقارب ٱلتّام ليحدث ٱلإدغام فتُخفى ٱلنّون بقلّة ٱلاعتماد،وذلك بإنْ يقتصر نطقها على مخرج ٱلخيشوم ، أيْ : هي مجرد صوت ٱلغنّة ، ويرى الرّضيّ أنّ النّون من ٱلأصوات ٱلّتي يحتاج فيها لجهد أكثر من غيرها يُساوي ٱلجهد مع ٱلأصوات ٱلحلقيّة،لذا "فَٱلنُّونُ وَحُرُوفُ ٱلْحَلْقِ مُتَسَاوِيَانِ فِي ٱلْاحْتِيَاجِ إِلَى فَضْلِ ٱعتمادٍ وإِعْمَالٍ لِآلَةِ ٱلصَّوتِ (٤) " فهي معها ظاهرة غير خفيّة : " لِيَجْرِيَ ٱلْاعْتِمَادُ انِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ " (٤) ، والنّون مع ٱلأصوات غير ٱلحلقيّة يتمّ إخفاؤها،فيعتمد ٱللسان فيها على ٱلنّقطة ٱلمخرجيّة لِلصّوت بعدها مع مرور الهواء من ٱلخيشوم بانخفاض ٱلطّبق ٱللين وفتح مجراه،وإذا كان بعدها ٱلباء فإنّ تخالف هيئتها المخرجيّة يؤدّي الى قلب ٱلنّون ميماً،وهو من مخرج ٱلباء وفيه ٱلغُنّةُ كما في عنبر،وكذلك في (سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٥) عبر ٱلمماثلة ٱلجزئيّة إذ ٱلتّماثل بوساطة ٱلمخرج ،وكل حالات

---

(١) ش ش ٣/٢٢٧ .

(٢) ينظر : ش ش ٣/٢٨٦ .

(٣) ش ش ٣/٢٣٠ .

(٤) ش ش ٣/٢٧٢ .

(٥) سورة الحج الاية:٦١و٧٥ وينظر ش ش ٣/٢١٦ ، ٢٧٣ .

النون هنا تتم المماثلة بوساطة الاقتراب المخرجي، لذلك فإن النون تمتلك تنوعاً واضحاً في الفوناتها (١).

إن الرضي باعتماده على الخفة والثقل في تبرير مثل هذه التحولات الصوتية ينسجم بشكل عام مع ما يراه المحدثون من خلال قانون السهولة والتيسير الصالح لتفسير كثير من التحولات الصوتية .

والرضي أيضاً في تصوره لدراسة هذه الظاهرة وعدم تجاوزه حدود التجاور الصوتي يتطابق مع التصورات المنهجية التي تتم فيها دراسة هذه الظاهرة عند المحدثين مع ملاحظة إدراكه المتقدم في كل ذلك باعتماده على التقارب أو التباعد في المخرج والصفة .

هـ ـ ظاهرة المخالفة الصوتية (Dissimilation)

قد تسلك الأصوات في تجاورها مع بعضها عكس ما سلكته في المماثلة (٢)، فيما يعرف بالمخالفة وهي نزعة الصوتين المتشابهين إلى الاختلاف (٣) وتكون هذه الظاهرة بعض السلوك المتبع في التخلص من اجتماع المثلين أو الامثال (٤)، واصطلح عليها أيضاً بالتباين (٥)، والتخالف (٢)، ولقد ربط الرضي هذه الظاهرة بالاستثقال الحاصل من وجود متماثلين؛ إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع الى الموضع نفسه واصطلح على هذه الكلفة بالكراهية، قال الرضي : " وَاجْتِمَاعُ المِثْلَيْنِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ مَكْرُوهٌ أَلاَ تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ: أَوَاصِلُ وَأُوَيْصِلُ " (٦) فقد قلبت الواو

(١) ينظر: أثر القراءات في الأصوات : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٢) اللغة : ٩٤ .

(٣) الألسنية العربية : ٥٤ .

(٤) إلى جنب الحذف والفصل والادغام ينظر: ظاهرة كراهية توالي الأمثال .

(٥) علم اللغة: د. وافي : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

(٦) ش ش ٣/ ٥٨ .

ٱلأُولى همزةً لتلك ٱلكراهيّة وكذا من هذه الظّاهرة تخفيف ٱلهمزتين في نحو (آدم) (١).

ويدرك الرّضي أنّ وجود فاصل بين هذين ٱلصّوتين ممّا يزيل تلك ٱلكراهيّة فلا يقلب أحدهما إلى مغايره وهو الّذي سلك في نحو (أائمّة) (*).

ومن مظاهر هذه الظاهرة ما كان من إبدال ٱللام ٱلثّانية ياءً كما في نحو أملَيْتُ وقَصَّيْتُ وتقضّي ٱلبازي فبكره ٱجتماع ٱلأمثال ولا طريق لهم إلى ٱلإدغام فيستريحون إلى قلب ٱلثّاني ياءً لزيادة ٱلأستثقال (كما في مصطلح ٱجتماع ٱلمثلين والأمثال).

وقال ٱلرّضيّ: "وأَبْدَلُوا أَيْضاً مِن أَوّلِ حَرْفَيْ ٱلتَّضْعِيفِ فِي وَزْنِ فِعَّال إذا كانَ ٱسْماً لَامَصْدَراً، نَحْوَ: دِيمَاسٍ وَدِيبَاجٍ وَدِينَارٍ وقِيرَاطٍ وشِيرَازٍ" (٢)

ويذكر ٱلرّضيّ أيضاً ٱنقلاب نصف ٱلمدّ إلى مغايره بسبب هذه ٱلظّاهرة حيث قالَ: "وَجَازَ فِي ٱجْلِيوَاذٍ وَٱخْرِيوَاط في مَصْدَرِ ٱجْلَوَّذَ وَٱخْرَوَّطَ" (٣) وفي بوائع وأوائل وعيائل جمع بائعة وأوّل وعيّل "يُسْتَثْقَلُ لِأَجْلِ حَرْفَيْ ٱلعِلَّةِ وَكَوْنِ ٱلْجَمْعِ أَقْصَى ٱلْجُمُوعِ" (٤).

ومن هذه ٱلظّاهرة ما يحدث عندما تتبع ٱلضّمة ٱلواوَ إذ يتمّ ٱلتّخلص من هذا ٱلتّتابع بقلب ٱلواو همزةً من نحو: وُجوه وأدْؤُر وأنْؤُر، قالَ الرّضيّ: "وذلك لِأَنَّ ٱلضَّمَةَ بَعْضُ ٱلْوَاوِ، فَكَأَنَّهُ ٱجْتَمَعَ وَاوَانِ" (٥) ولذلك فهو جائزٌ جوازاً مطّرداً لاينكسر على حدّ قوله، ومن جنسه ما حدث لكلمة (حَيَوَان) إذ: "أُبْدِلَتِ ٱلثَّانِيَةُ لِأَنَّ ٱسْتِكْرَاهَ ٱلتَّتَالِي إِنَّمَا حَصَلَ لِأَجْلِهَا" (٦) يعني تتالي ياءين.

---

(١) ش ش ١/ ٢٥.

(٢) ش ش ٣/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) ش ش ٣/ ٢١١. وينظر ش ش ١/ ٥٥، ١١٢.

(٤) ش ش ٣/ ١٠١.

(٥) ش ش ٣/ ٧٨.

(٦) ش ش ٣/ ٧٣.

(*) ش ش ٣/ ٥٨.

ويُلاحَظ في طبيعة ٱلْأصوات الحاصلة أنّها في الأغلب أصوات نصف مدّ ، وما كان من ٱلْهمز فهو إبدال نَبريّ ، ويبدو أنّ هذه ٱلظّاهرة قد أربكتْ بعض ٱللغويين فَحَاروا في بعض ٱلصّيغ فهذا ٱبن منظور (١) يحار في أمر النُّون فَيعدّها أصليّة في مادة (عنصل) وزائدة في مادّة (عصّل) وٱلْحقيقة أنّ ٱلْمخالفة قد عملت على " فَكِّ ٱلْإِدْغامِ بِإِقْحَامِ ٱلنّون بَدَلاً مِنْ أحدِ ٱلْحَرْفَيْنِ ٱلْمُتَمَاثِلَيْنِ " (٢) .

ويمكن أنْ يكونَ ماذكره ٱلرّضيُّ في إدغام اللام من جملة أحداث هذه ٱلظّاهرة في ٱلْعربيّة على مابيَّنته بعضُ ٱلدّراسات ٱلْمعاصرة بٱلْاعتماد على نتائج ٱلدّراسات ٱلْمقارنة وٱلتّحليل ٱلصّوتيّ (٣) ، فعلى هذا فإنّ لهذه ٱلظّاهرة دوراً خطيراً في ٱلْعربيّة .

و – ظَاهِرَةُ ٱلْإِبْدَالِ : سبق في مصطلح ٱلْإبدال أنْ أشرتُ إلى أنّ ٱلرّضيّ يقصد بظاهرة ٱلْإبدال ذلك ٱلْإبدال ٱلّذي لايكونُ لأجل ٱلْإدغام .
وجعلُ حرف مكان حرف غيره، أحد مظاهر ٱلتّعامليّة بين ٱلْأصوات وشرطه كما يراه ٱلرّضي هو ٱلتّقارب مخرجاً أوصفة أو كليهما ، ودائماً يبحث عن هذه ٱلْعلاقة، لهذا فهو يتركُ رأي ٱلْمبرد في أنّ أصل همزة فعلاء هي ٱلنّون ٱستدلالاً برجوعها في صنعاني وبهراني ويأخذ برأي سيبويه أنّ ٱلنّون بدل من ٱلْواو ، إذْ قال : " وٱلْأَوْلَى مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ ؛ إِذْ لَامُنَاسَبَةَ بَيْنَ ٱلْهَمْزَةِ وَٱلنُّونِ " (٤) وللوقوف على مظاهر ٱلتّعامليّة في هذه ٱلظّاهرة ؛ عملت الجدول المرقم (٦) ، وأهملتُ فيه مواطن إبدال : (ٱلْهمزة ، وٱلْألف، وٱلْياء، وٱلْواو) لِلسّلوك ٱلْفينولوجي ٱلْخاص بهذه ٱلْأصوات ٱلّذي تتبيّنه في ظاهرة ٱلْإعلال ، وتخفيف ٱلْهمزة وغيرها في ٱلْفصل ٱلْقادم .

---

(١) اللسان مادة : (عصّل ، عنصل) .
(٢) الاقيسة الفعلية المهجورة : ٤١ .
(٣) ينظر : أداة ٱلتّعريف في ٱلْعربيّة : ٩٨ . وقد سبق هذا ٱلرّأي في ملاحظات الادغام (ط) .
(٤) ش ش ٣/٢١٩ .

جدول رقم (٦) حالات الإبدال في العربيـــة .

(ينظر : ش ش ٣/٢١٥ - ٢٣٣) /المخارج عن: دراسة الصوت : ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

ت	حرف البدل وصفاته	الحرف المبدل منه	مخرج الحرف المبدل منه	الصفات الصوتيّة المتنازل عنها (ـ) المكتسبة (+) .					الملاحظـات
				الجهر	الهمس	الشدّ	الرّخاوة	الصّفة الفضيلة	
١	م شفوي	و ن ب	طبقيّ لثويّ شفويّ			− (ب)	+ (ب)	+ غنة ـ لين ـ ... + غنة	فم < فَوَهَ . في كلمة عنبر وشنباء . بنات مخر < بنات بخر، راتماً < راتباً .
٢	ن لثوي	و	طبقيّ					+ غنة ـ لين	صنعانيّ < صنعاويّ .
٣	ت أسنانيّ لثويّ	و ي	طبقيّ غاريّ	− −	+ +	+ +	− −	ـ لين ـ لين	اتَّعَدَ < اوْتَعَدَ . اتَّسَرَ < ايْتَسَرَ .
٤	هـ حنجريّ	و ي ت	طبقيّ غاريّ (أسنانيّ لثوي)	− − 	+ + 	 −	 +	ـ لين ـ لين 	هناه < هناو (خلاف في أنّ الهاء للسّكت) هذِهِ < هذي ؛ في الوقف علـــى التّاء الأسميّة .
٥	ل لثويّ	ن	لثويّ					ـ غنة	أصيلال < أصيلان .
٦	ط أسناني لثوي	ت	أسنانيّ لثويّ					+اطباق	في (افْتَعَلَ) اذا كان الفاء أحد الاصوات المطبقـة
٧	د أسناني لثوي	ت	أسنانيّ لثويّ	+	−				في (افتعل) اذا كان الفاء أحـــد الأصوات المجهورة: د، ذ، ز .
٨	ص أسناني لثوي	س	أسنانيّ لثويّ					+اطباق	اذا وقعت السّين قبل الأصوات المستعلية (صقر صلخ ، صلق ، صراط ، صماليق
٩	ز أسناني لثوي	س	أسنانيّ لثويّ	+	−				يزدل < يسدل .

- نتائج جدول حالات الإبدال في الفصحى :

١- جرى تنازل عن الجهر بمقدار (٣٠٪) ، وعن الرخاوة بمقدار (٢٨٪) ، وبمقدار (١٤٪) لكلّ من الهمس والشدّة ؛ وذلك من مجموع الحالات البالغ عددها (١٤ حالةً)

٢- ورد التنازل عن الصفة الفضيلة بنسبة (٣٥٪) .

(٣) العلاقة المخرجيّة غير موجودة فيما يقرب من نصف حالات الإبدال في العربيّة ؛ إذ لا وجود لها في :

(م > و ، ن > و ، ت > و ، ت > ي ، هـ > و ، هـ > ي

هـ > ت) وتبدو لي غامضة ، وربما كان سبب وجودها الأساس هو افتراض النحاة فقط .

(٤) العلاقة واضحة في : (م > ب ، ط > ت ، د > ت ، ص > س

ز > س ، م > ن ، ل > ن)

(٥) في الحالات (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) يتمّ الإبدال عبر المماثلة الصوتيّة ، بوجود صوت بعدها يمتلك صفة قوّة أمام صفته ، فيكتسب هذه الصفة فيتحوّل إلى مقابله في الصفة في مخرجه . ويعني ذلك أيضاً محافظة واضحة على النقطة المخرجيّة واعتداداً بها في التمايز الصوتيّ .

(٦) يمكن تبرير الإبدال الذي يفتقر إلى وضوح العلاقة بين الصوت المبدل منه والمبدل بتداخل بعض الاعتبارات غير الصوتيّة .

ز- القلبُ المكانيُّ : مظهر آخر من مظاهر التعامليّة التي رصدها الرضيّ في عمله وهو يعرّفه قائلا : " تَقْدِيمُ بَعْضِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ الْقَلْبُ فِي الْمُعْتَلِّ وَالْمَهْمُوزِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِهِمَا قَلِيلاً ، نَحْوَ : اضْمَحَلَّ وَاكْرَهَفَّ في اضْمَحَلَّ وَاكْفَهَرَّ (*) وهو أحد المظاهر التي تنطوي تحت أحوال الأبنية (على ما أرى) وأنّ الرضيّ قد قصر عن إدراك حقيقة كونه أحدها مع عقليّته ورجاحتها في فهم الظاهرة اللغوية ؛ وعلى هذا فهو أحد المظاهر الصرفيّة الصوتيّة .

وتبدو هذه النظرة منعدمة عند المحدثين ممّن رصد هذه الظاهرة ؛ إذ علّل المحدثون هذه الظاهرة بعلل شتى فمنهم من ذهب إلى وجود علّة نفسيّة (١) ، وآخر (٢)

---

(١) د . عبد الرحمن أيوب في : محاضرات في اللغة : ١٧١ .

(٢) د . إبراهيم السامرائي في التطور اللغوي التاريخيّ : ١٢٠ .

(*) ش ش ١/ ٢١ .

بعدم الإدراك للكلام من قبل الأطفال ، وعلّل آخر (١) ، من بعد ما أقامها على الأساس نفسه الذى أقام عليه التشابه (المماثلة) بخطأ الناطقين ونقص الالتفات ، وآخر (٢) أنّ هناك إهمالاً في التنسيق بين الفكر وأعضاء النطق ، ويرى آخر (٣) : أنّ ذلك من دواعي قانون السهولة والتيسير أو الحدّ الأدنى من الجهد .

كما هو واضح ، فإنه لا أحد من الباحثين السابقين تعرّض للكلام عن علّة هذا القلب من خلال نوعية الأصوات المتقدّمة أو المتأخّرة (أي بالاستناد على الناحية الصوتيّة ــ الصرفيّة) إلا مانجده من شيء بسيط (لم يتعدّ مكانه) عند برجشتراسر (٤) ، وتبعه فيه هنري فليش (٥) ، في القلب الخاص بصيغة (افتَعَلَ) ؛ إذ يرى أنّ أصلها (اتْفَعَلَ) وهو الأساس السامي للصيغة وقد قُلِبَتْ خاصّة عندما تكون الفاء صوتاً صفيريّاً لعدم تقبّل العربيّة لتتابع صوت احتباسيّ (شديد) ، وصوت رخو صفيريّ .
وإذا كان هذا موقف المحدثين من علّة هذه الظاهرة ، فإنّ الرضيّ (فيما يبدو لي) قد ارتضى أنْ يَفهم علّتها ضمن الاعتبارين اللذين أرى أنّه ينبغي مراعاتها في عموم الظواهر الصرفيّة الصوتيّة ، وهما : مقتضيات الكلمة مقطعيّاً ، وطبيعة أصوات الكلمة .
قال الرضيّ : " وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ فِي الْمُعْتَلِّ وَالْمَهْمُوزِ " إذ يلحظ ارتباط هذه الظاهرة في أكثر مواقعها تردّداً بطبيعة معيّنة من الكلمات تتميّز بأصواتها ذات الخصائص الوظيفيّة المتميّزة عن باقي الأصوات ، وهي : أصواتُ العلّة والهمزة .
وتتوضح اعتبارات الكلمة المقطعيّة بقوله (عند بيان نسبة تردّد هذه الظاهرة موقعيّاً) : " وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِتَقْدِيمِ الآخِرِ عَلَى مَتْلُوِّهِ كَنَاءَ يَنَاءُ فِي نَأَى يَنْأَى ، وَرَاءَ فِي رَأَى ، وَلاعٍ وَهَاعٍ وَشَوَاعٍ فِي لَائِعٍ وَهَائِعٍ وَشَوَائِعٍ ، وَالْمَهَاةِ وَأَصْلُهَا الْمَاهَةُ ، وَأَمْهَيْتُ الْحَدِيدَ فِي أَمْهَتُّهُ ، وَنَحْوَ جَاءٍ عِنْدَ الْخَلِيلِ " (٦) .

---

(١) فندريس : اللغة ٠ ٩٤ .
(٢) نقلاً عن ، خواطر وآراء صرفية : ١٦ .
(٣) د . داود عبده : دراسات في علم أصوات العربيّة : ٩٢ .
(٤) التّطور النحوى : ٩٢ .
(٥) العربيّة الفصحى : ١٤٦ والحاشية (٢) .
(٦) ش ش ١ / ٢١ ــ ٢٢ .

فالملاحظ هنا أنّ التّخلص من المقطع المفتوح في نهاية الكلمة كان نتيجة هذا القلب كما في نأى وينأى ورأى ؛ أمّا في نحو لاعٍ وهاعٍ وشواعٍ ، فيبدو أنّ التّخلّص من النّبر التّوتري (صوت الهمزة) الواقع بعد صوت الألف المثّل للنّبر الطّولي ، فهذا التتابع النّبري يتخلّص منه بسحب النّبر التّوتريّ إلى آخر الكلمة ثمّ جرى إسقاطه فيما بعد (مع احتمال عدم حدوث أيّ قلب مكانيّ في هذه الألفاظ بإسقاط الهمزة مباشرة) ؛ ويبدو أنّ هذا السّلوك في التّخلص من النّبر هو الّذي دعى الخليل إلى أنْ يرى القلب قياسيّاً في كلّ ما أدّى ترك القلب فيه إلى اجتماع همزتين كجاءٍ وساءٍ ونحوهما على ما رُوِيَ عنه الرّضيّ الّذي قال (واصفاً إيّاه) : " فَلَمّا رَأَى فِرَارَهُمْ مِنَ الأَدَاءِ إِلَى هَمْزَةٍ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ أَوْجَبَ الفِرَارَ مِمَّا يُؤَدّي إِلَى هَمْزَتَيْنِ (١) " وهو ما لم يُسلِّم به سيبويه، والرّضيّ، وممّا يؤكّد سلوك الرّضيّ ههنا أيضاً قوله بالمبدأ المستند إلى صحة الكلمة أمام عدم التّصحيح في القول بوجود القلب في الصّحيحة ، إذْ قال : " فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا صَحِيحَةً مَعَ ثُبُوتِ العِلَّةِ فِيهَا دُونَ الأُخْرَى كَأَيِسَ مَعَ يَئِسَ، فَالصَّحِيحَةُ مَقْلُوبَةٌ مِنَ الأُخْرَى " (٢) ، وغير خفيّ أنّ ظاهرة الإعلال تقوم على إعادة التّوازن المقطعيّ للكلمة إثر الاضطراب المسبّب عن تكتّل مجموعة من الأصوات المتجانسة (الصّوائت وأشباهها) بتأثيراتها على قمّة المقطع الّتي عادةً ما تشغلها الصّوائت .

زيادةً على ما سبق يرى أنّ القلب قد يكون أحد وسائل التّخفيف مراعاةً للسّهولة والتّيسير حيث يقول (في تخفيف الهمزة) : " وَرُبَّمَا قُدِّمَتِ الهَمْزَةُ الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ بِحَالِهَا لَكَانَ تَخْفِيفُهَا بِالحَذْفِ ، اسْتِكْرَاهاً لِلْحَذْفِ ، فَيُقَالُ فِي يَسْأَلُونَ : يَاْسَلُونَ ، لِأَنَّ تَخْفِيفَهَا إِذَنْ بِالقَلْبِ لَا بِالحَذْفِ ... وَمِثْلُهُ فِي يَيْأَسُ يَاْءَسُ (٣) " ويكمل الرّضيّ ملاحظته لكيفيّات هذا التّقديم، فيقول : " وَقَدْ يُقَدَّمُ بَتْلُوُّ الآخِرِ عَلَى العَيْنِ نَحْوَ طَأْمَنَ وَأَصْلُهُ طَمْأَنَ ، لِأَنَّهُ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ ، وَمِنْهُ اطْمَأَنَّ يَطْمَئِنُّ اطْمِئْنَاناً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ العَيْنُ عَلَى الفَاءِ كَمَا فِي أَيِسَ وَجَاهٍ وَأَيْنُقٍ وَالآرَاءِ وَالآبَارِ وَالآدُرِ ، وَتَقَدُّمُ اللَّامِ عَلَى الفَاءِ كَمَا فِي أَشْيَاءَ عَلَى الأَصَحِّ ، وَقَدْ تُؤَخَّرُ الفَاءُ عَنِ اللَّامِ كَمَا فِي الحَادِي وَأَصْلُهُ الوَاحِدُ (٤) "

---

(١) ش ش ١ / ٢٥ .
(٢) ش ش ١ / ٢٤ .
(٣) ش ش ١ / ٣٩ .
(٤) ش ش ١ / ٢٢ .

ويقول ٱلرّضيّ فيما وصفوا من مقاييس لمعرفة هذا ٱلقلب : " وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ جَمِيعَ مَاذُكِرَ مِنَ ٱلْمَقْلُوبَاتِ يُعْرَفُ بِأَصْلِهِ ، فَٱلْجَاهُ وَٱلْحَادِي وَٱلْقِسِيّ عُرِفَ قَلْبُهَا بِأُصُولِهَا وَهِيَ ٱلْوَجْهُ وَٱلْوَحْدَةُ وَٱلْقَوْسُ ، وَكَذَا أَيِسَ يَأْيَسُ بِٱلْيَأْسِ ، وَآرَاءٌ وَآدُرٌ بِرَئْمٍ وَدَارٍ ؛ فَإِنْ ثَبَتَ لُغَتَانِ بِمَعْنًى يُتَوَهَّمُ فِيهِمَا ٱلْقَلْبُ وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ كَجَذَبَ جَذْبًا وَجَبَذَ جَبْذًا لَمْ يُحْكَمْ بِكَوْنِ إِحْدَاهُمَا مَقْلُوبَةً مِنَ ٱلْأُخْرَى ، وَلَا يَلْزَمُ كَوْنُ ٱلْمَقْلُوبِ قَلِيلَ ٱلْإِسْتِعْمَالِ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ كَثِيراً كَٱلْحَادِي وَٱلْجَاهِ ؛ وَقَدْ يَكُونُ مَرْفُوضَ ٱلْأَصْلِ كَٱلْقِسِيِّ ؛ فَإِنَّ أَصْلَهُ ـ أَعْنِي ٱلْقُوُوسَ ـ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ " (١)

فَٱلرّضيّ هنا يقف موقفَ ٱللّغوي ٱلقدير ٱلّذي يُدرك عدم احتكام ٱللّغة لبعض مايضعه علماؤها من معايير في سعيهم ٱلحثيث لتحديد ٱلظّواهر ٱللّغويّة وفق ما اختاروه من تلك المعايير . ولم يُشر ٱلرّضيّ إلى نوع آخر من ٱلقلب ٱلمكانيّ ، وهو ٱلقلب ٱلّذي يحدث بين ٱلحركات والصوامت ويُشاطره في هذا علماء ٱلعربيّة جميعهم ، ولكنّه أشار إليه تحت عنوان آخر هو (نَقْلُ ٱلْحَرَكَةِ) كٱلّذي يحدث فيما يُصطلح عليه (ٱلاعلال بٱلنّقل) ، وعند بعض أنواع ٱلإدغام ، وهو في ٱلمتحركين وقبلهما ساكن ، فيتمّ نقل حركة ٱلأوّل إلى ٱلسّاكن ، وغير ذلك من ٱلمواضع على ماسبق بمصطلح نقل ٱلحركة .

ح ـ ٱلحَـذْف : وهو سقوط صوت أو أكثر من أصوات ٱلكلمة مما عرف عند ٱلرّضيّ تحت مصطلحات ٱلحذف الاعلاليّ والحذف التّرخيميّ وحذف الاعتباط والحذف نسبيّاً (ينظر : ٱلمصطلحات ٱلسّابقة في مواضعها) ، ومن خلال ماتمّ للرّضيّ هنا ، فإنّه يبرز (كراهية توالي الأمثال) عاملاً مهمّاً في سقوط ٱلأصوات مع معيار آخر هو (كثرة ٱلاستعمال) ، و خاصّة فيما كان متقارباً منها ؛ ومن ذلك سقوط ٱلتّاء من ٱلأفعال ٱلمضارعة على وزني تَفَعَّل وتَفَاعَل عندما يكون حرف ٱلمضارعة تاءً (٢) ، وفي اسطاع يَسطيع سقطت ٱلتّاء على مايرى الرّضيّ لاجتماع متقاربين هما (ٱلتّاء وٱلطّاء) ، مع عدم إمكانيّة ٱلإدغام بسبب سكون ٱلحرف ٱلسّابق وكثرة الاستعمال أُسقط ٱلتّاء خلافاً لـ (استدان) ؛ لأنّها أقلّ استعمالاً (٢) ، وذلك معيار أبرزته ٱلدّراسات ٱلمعاصرة عاملاً مهمّاً في قصّ ٱلألفاظ ؛ إذ قال فندريس : " ومن ٱلحقائق ٱلمقرّرة عند ٱلمحدثين من علماء ٱللغات ، أنّ كثرة ٱلاستعمال ، تُبلي ٱلألفاظ ، وتجعلها عرضةً لقصّ أطرافها ، تماماً كما تُبلى ٱلعملات ٱلمعدنيّة وٱلورقيّة ٱلّتي تتبادلها أيدي ٱلبشر " (٣) ، ومن أمثلة هذه ٱلظّاهرة ماذكره ٱلرّضيّ من قولهم : بَلْعَنْبَرِ وبَلْحَارِث وسَلْقَامِ وعَلْرْضِ وغيرها (٤) .

ويبرز من أمثلة ٱلظّاهرة ٱلمختلفة ارتباطها ٱلواضح بوجود عوض عن ٱلصّوت ٱلسّاقط مماثلاً له أو قريباً منه كما سبق وما كان من سقوط ٱلنّون في نحو : إِنِّي ، وكأنّي ، وما كان من ٱلأفعال ٱلخمسة عند اتّصالها بإحدى ٱلنّونات (٥) .

(١) ش ش ١/٢٤ . (٣) اللغة : ٨٩ . (٥) ش ش ٣/٢٩٤ .
(٢) ش ش ٣/٢٩٢ . (٤) ش ش ٣/٢٤٥-٢٤٦ .

ٱلِاتِّجَاهُ ٱلثَّالِثُ : ٱلْأَصْوَاتُ فِي نِظَامِ ٱلْأَدَاءِ

آ ـ ٱلرَّضِيّ والبِنْية المقطعيّة لِلْعربيّة :

أنطلقُ في هذا البحث من فكرتين أساسيّتين وعامّتين هما: الابتداء، والتقاء الساكنين حيثُ يعبّر الرّضيّ عن الفكرة الأولى قائلاً :

" ٱلْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ ٱلِابْتِدَاءَ بِٱلسَّاكِنِ مُتَعَذِّرٌ ، وذَهَبَ ٱبْنُ جِنِّيّ إِلَى أَنَّهُ مُتَعَسِّرٌ لَا مُتَعَذِّرٌ ، وَقَالَ : يَجِيءُ ذَلِكَ فِي ٱلْفَارِسِيَّةِ نَحْوَ شْتَر ، وسْطَام ، وَٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ ، وَلَابُدَّ مِنَ ٱلِابْتِدَاءِ بِمُتَحَرِّكٍ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ ٱلْمُتَحَرِّكُ فِي شْتَر وَسْطَام فِي غَايَةِ ٱلْخَفَاءِ (كَمَا ذَكَرْنَا) ظَنَّ أَنَّهُ ٱبْتُدِئَ بِٱلسَّاكِنِ ، بَلْ هُوَ مُعْتَمِدٌ قَبْلَ ذَلِكَ ٱلسَّاكِنِ عَلَى حَرْفٍ قَرِيبٍ مِنَ ٱلْهَمْزَةِ مَكْسُورٍ ، كَمَا يُحَسُّ فِي نَحْوِ عَمْرٍو وَقْفاً بِتَحْرِيكِ ٱلسَّاكِنِ ٱلْأَوَّلِ بِكَسْرَةٍ خَفِيَّةٍ ، وَلِلُطْفِ ٱلِاعْتِمَادِ لَا يَبِينُ ، وَأَمَّا ٱلْوَقْفُ عَلَى مُتَحَرِّكٍ فَلَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ " (١)

ويعبّر عن الفكرة الثّانية قائلاً :

" أَقُولُ : إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْحَرْفَيْنِ ٱلسَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفاً صَحِيحاً لَا يُمْكِنُ ٱلْتِقَاؤُهُمَا إِلَّا مَعَ إِتْيَانِكَ بِكَسْرَةٍ مُخْتَلَسَةٍ غَيْرِ مُشْبَعَةٍ عَلَى ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمَا ، فَيَحْسَبُ ٱلْمُسْتَمِعُ أَنَّ ٱلسَّاكِنَيْنِ ٱلْتَقَيَا ، وَيُشَارِكُهُ فِي هَذَا ٱلْوَهْمِ ٱلْمُتَكَلِّمُ أَيْضاً ، فَإِذَا تَفَطَّنَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلِمَ أَنَّ عَلَى ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمَا كَسْرَةً خَفِيفَةً، نحو: بَكْرْ، بِشْرْ ، بُسْرْ ، حُرِّكَتْ عَيْنُ ٱلثَّلَاثَةِ بِكَسْرَةٍ خَفِيفَةٍ ، وإِلَّا ٱسْتَحَالَ أَنْ تَأْتِيَ بَعْدَهَا بِٱلرَّاءِ ٱلسَّاكِنَةِ ، وَإِنَّمَا تَحُسُّ بِذَلِكَ وَتَتَفَطَّنُهُ بَعْدَ تَثَبُّتِكَ وَتَأَنُّقِكَ فِيمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَإِذَا خَلَّيْتَ نَفْسَكَ وَسَجِيَّتَهَا وَجَدْتَ مِنْهَا أَنَّهَا لَا تَلْتَجِيءُ فِي ٱلنُّطْقِ بِٱلسَّاكِنِ ٱلثَّانِي ٱلْمُسْتَحِيلِ مَجِيئُهُ بَعْدَ ٱلسَّاكِنِ ٱلْأَوَّلِ مِنْ بَيْنِ ٱلْحَرَكَاتِ إِلَّا إِلَى ٱلْكَسْرَةِ ...

وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفَ لِينٍ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ ٱلْتِقَاؤُهُمَا لَكِنْ مَعَ ثِقَلٍ مَا ، وَإِنَّمَا أَمْكَنَ ذَلِكَ مَعَ حُرُوفِ ٱلْعِلَّةِ لِأَنَّ هَذِهِ ٱلْحُرُوفَ هِيَ ٱلرَّوَابِطُ بَيْنَ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَأْخُذُ أَبْعَاضَهَا ، أَعْنِي ٱلْحَرَكَاتِ ، فَتَنْتَظِمُ بِهَا بَيْنَ ٱلْحُرُوفِ ، وَلَوْلَاهَا لَمْ تَتَّسِقْ " (٢)

---

(١) ش ش ٢/ ٢٥١ .

(٢) ش ش ٢/ ٢١٠ ـ ٢١١ .

تقدّم هاتان الفكرتان (وللوهلة الاولى) البنى الأساسية التي يستند إليها نظام الأداء في العربيّة أو لنقل التشكيل العربي ؛ إذ نلحظ من خلالها أنّ الدارسين للعربيّة قديماً أوجدوا لهم نظاماً مقطعيّاً بسيطاً يقوم عليه أداؤها الصّوتيّ ؛ وذلك من خلال تقسيمهم الحرف إلى قسمين (متحرّك وساكن) وعلى وفق هذين يتمّ تشكيل السّلسلة المنطوقة ، وهنا ندرك الحقيقة التي سبقنا إلى إدراكها المستشرق الشّهير هنري فليش بقوله : " فمن الممكن أنْ نختم هذا البحث بحقيقة ثابتة هي : أنّ التّفكير الصّوتيّ لدى ابن جنّي والنّحاة العرب يتحرّك داخل النّظام المقطعيّ للغة " (١) ، فكما تقوم المقاطع الصّوتيّة عند المحدثين على تتابع معين من الصّوامت والصّوائت فكذلك الامر عند علمائنا السّابقين بما وصفوا من فكرة السّاكن والمتحرك (بغض النّظر عن الاختلافات الكميّة والنّوعيّة) (٢) . وقد أقام الرّضيّ على هذه نظرته إلى التّشكيل الصّوتيّ ، فالوحدة المقطعيّة كما هي عند المحدثين لم تكن متصوّرة عنده ، لكنّ الأفكار التي يقدّمها تتسامى لتخضع لها النّظام المقطعيّ الذي يقدّمه المحدثون للعربيّة (ممّا سنقف عنده قريباً) .

لا بدّ لي هنا قبل الدّخول إلى عرض أفكاره أنْ أؤكد نجاح فكره المنهجيّ في عدم التّعويل على حدود الكلمة بل تجاوزها إلى سلسلة الأصوات المعبّرة عمّا هو أوسع من الكلمة ؛ وذلك من خلال رصده لمواضع التقاء السّاكنين بين كلمتين ، وعدم تعليقه للابتداء والوقف ببداية ونهاية الكلمة ، بل ها بداية الكلام مطلقاً ونهايته المعبّرة عن السكوت والانتهاء . (٣) ، وبعد ، يمكن أنْ أجمل الأفكار المقطعيّة للرّضيّ على الشّكل الآتي :

١ـ أدرك الرّضيّ وظيفة الحركات في عمليّة التّشكيل الصّوتيّ للصّوامت أو الصّحاح ؛ إذ " لولاها لم تتّسق " إذن فهذه الحركات هي التي تعطي الصّحاح دورها في عمليّة التّواصل ؛ إذ لولاها لبقيت دون تركيب فالحركات لها وظيفة في التّشكيل

---

(١) التّفكير الصّوتيّ عند العرب : ٨٥ .

(٢) لقد قدّم كلٌّ من القاضي عبد الجبار وابن سينا وابن رشد والفارابي تصوّرات عن المقطعيّة ترتقي للدّلالة الفنيّة لمفهوم المقطع كما هو عند المحدثين (ينظر التفكير اللسانيّ : ٢٦١ ـ ٢٦٢) ويشاركهم كذلك ابن الدّهان اللّغوي (٥٩٢ هـ) ، (ينظر : الصّوتيات : ٤٢٧) .

(٣) ش ش ٢ / ١ / ٢٥ .

غاية في ٱلْخطوق، تشاركها في هذه ٱلْوظيفة حروفُ ٱلْعلّة (وقد وقفنا على العلاقة ٱلصّوتيّة بينهما في صفة ٱلْمدّ) وهو ينسجم وما يعطيه ٱلْمحدثون لها من وظيفة، إذ توصّلوا إلى أنّه لولا ٱلصّوائت بنوعيها ومكانها في قمّة ٱلْمقطع ٱلصّوتيّ لَمَا أمكن إسماع ٱلْمقطع وإدراكه ؛ كما إنّ تجمّعات ٱلصّوامت لاتتمّ إلاّ بوجود هذه ٱلأصوات .

٢- إنّ قوله بٱلاستحالة ٱلصّوتيّة في ٱلإبتداء بٱلسّاكن يسجّل به منعه لتتابع صحيحين في بداية ٱلنّطق ، وإذا وُجِد مثل هذا ٱلتّتابع فإنّ ٱلْعربيّة تحتال عليه بجلب صحيح في بداية ٱلنّطق ذي خصائص فنولوجية متميزة (أعني : ٱلْهمزة) ، تتبعها حركة مُختلسة (كسرة غالباً ، ربّما تكون قد فقدت ٱلْجهر عند ٱلاختلاس) ؛ ويرى بعض ٱلْباحثين ، أنّ هذا ٱلنّوع من ٱلْحركات قصيرٌ جداً (١) ، ويذهب د . كمال بشر (٢) إلى أنّ هذه ٱلْهمزة ليست همزة بٱلْفعل ، وإنّه على فرض وقوع نوع من ٱلتّحريك ٱلّذي يُسهّل عملية ٱلنّطق . وعلى ٱلْعموم فإنّ ما يذكره ٱلرّضيّ يعني : جلب متحرك في بداية الكلام ؛ واستناداً الى تقريره هذا فإنّ بداية ٱلْكلام يجب أنْ تكون على الأشكال : (ص ح ، ص م ، ص ح ص) ، أي : ٱلْمقاطع ٱلثّالثة ٱلأولى من مقاطع ٱلْعربيّة عند ٱلْمحدثين (٣) .

---

(١) ٱلتّصريف العربي : ١١٠

(٢) كتابه دراسات في علم اللغة : ١٤٣ - ١٤٤ ، وتشارك ٱلْعربيّة في هذا اللغات ٱلسّاميّةُ (ينظر : فقه اللغات السّامية : ٧٣) .

(٣) مجمل آرائهم يرى أنّها خمسة مقاطع ، وتوجد ٱختلافات متباينة في تسميات هذه ٱلْمقاطع لكنّها تشترك في محتوياتها ، وقد رأيتُ أنْ أضع تسميات أراها أكثر دلالة على محتوى وشكل المقطع مستفيداً ممّا ورد في كتبهم وهي :

١- ٱلْمقطع ٱلْقصير ٱلْمفتوح ، (ص ح) (مدلول ٱلْحرف ٱلْمتحرك ، من نحو : ـَ ، ـُ ، ـِ)

٢- ٱلْمقطع ٱلطّويل ٱلْمفتوح ، (ص م) (وهو مدلول إشباع ٱلْحرف ٱلْمتحرك من نحو : ما ، بي ، ذو)

٣- ٱلْمقطع ٱلْقصير ٱلْمغلق ، (ص ح ص) (من نحو : لَنْ ، مُذْ ، مِنْ)

٤- ٱلْمقطع ٱلطويل ٱلْمغلق (ص م ص) (من نحو : دار ، ميل ، عود)

٥- ٱلْمقطع ٱلْقصير ٱلْمزدوج ٱلْغلق (ص ح ص ص) (من نحو : شَمْسْ ، وقفا) .

ويضيف بعض ٱلْباحثين مقطعاً سادساً هو :

٦- ٱلْمقطع ٱلطّويل المزدوج ٱلْمغلق (ص م ص ص) (من نحو مادٌّ ، ضالّ ، وقفا) ====

٣- إذا كان ٱلرّضيّ قد رفض تتابع صحيحين في بداية ٱلْكلام فإنّه نسي أَنْ يُشير إلى أنّه لايمكن أنْ يُبْدَأ بحركة (١)، ويبدو أنّ إهماله هذا تأكيد لِلْبدهيّة ٱلْمتعارف عليها أنّ : " ٱلْحَرَكَة فِي جَوْهَرِهَا نَاقِصَةٌ ، فَهِيَ لَاتَقُومُ بِنَفْسِهَا ، وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ لِكَيْ تُوجَدَ إِلَى حَامِلٍ وَهُوَ ٱلْحَرْفُ " (٢) وقد أشار إلى تلبّسها بِٱلْحرف وإعقابها له بقوله " لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ بَعْضُ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلْمُتَحَرِّكِ بِلَا فَصْلٍ " (٣) ، وقد قرّر الدّرس ٱلْحديث بِٱلأجهزة ٱلْمختبريّة وجود منطقة ٱحتكاك عند نطق ٱلْحركة لوحدها أو في بداية ٱلْكلام - تشبه مايحدث عند ٱلْهمزة (٤) .

==== ويرى د . تمام حسّان وجود مقطع من نوع : ح ص (ينظر مناهج البحث : ١٤٠) ويجعله (ص) فقط في (اللغة العربية ، معناها ومبناها : ٩٦) ، ويجد ولي أن الواقع ٱلأدائيّ يقرر وجود ٱلْمقاطع الأربعة ٱلأولى فقط .

ٱلرّموز ٱلْمستعملة : ص = ٱلصّحيح / ح = ٱلْحركة / م = ٱلْمدّ

ٱلْكلمات ٱلْمستعملة : قصير = في المقطع حركة / طويل = في المقطع مد .

مفتوح = قمة ٱلْمقطع في نهايته / مغلق = ٱلصّحيح في نهاية المقطع / مزدوج ٱلْغلق = تتابع صحيحين في نهاية المقطع .

المصادر : زيادة على ماسبق، يُنظر: دراسة ٱلصّوت : ٢٥٦، في ٱلأصوات ٱللّغويّة: ٢٣٧ ومايليها، علم ٱلأصوات ٱلْعام : ٩٨، ١٤١ - ١٤٦ . ٱلْمدخل إلى علم ٱللّغة : ١٠٢ ، وينظر بحث: البنية المقطعية العربيّة .

(١) قال في سرّ ٱلصّناعة : ١/٤٩ : " لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتدأ باللام ".

(٢) التفكير الصوتي عند العرب : ٨٦ .

(٣) ش ش ١/١١٨ .

(٤) ٱلتّشكيل ٱلصّوتيّ : ٣٨، ويقول بروكلمان (فقه اللغات السامية : ٤١) : " كلّ حركة في أول ٱلْكلمة في ٱللّغات ٱلسّاميّة تنطق في ٱلأصل محقّقة، بمعنى أنها تسبق بهمزة ".

٤ ـ نهاية الكلام يمكن أن تكون صحيحاً ساكناً أو متحركاً ، وبهذا فيمكن أن تنتهي السّلسلة الصّوتيّة بمقطع مفتوح أو مغلق وإنْ كانت العربيّة تميل إلى إغلاق المقطع الأخير في السّلسلة .

٥ ـ إنّ منع الرّضيّ التقاء السّاكنين معناه رفضه تتابع ثلاثة صحاح في أثناء الكلام أو صحيحين عند الوقف (١)، أيْ إنّ الرّضيّ لا يرى تحقّقاً للمقطع الخامس والسّادس لا في حالة الدّرج ، ولا في الوقف والشّكل المقطعيّ عندها يصبح:

(المقطع الخامس: ص ح ص ص ← ص ح ص ح ص)

(المقطع السادس: ص م ص ص ← ص م ص ح ص)

٦ ـ إنّ قبول الرّضيّ تتابع ساكنين أوّلهما حرف لين (٢) ، معناه قبوله المقطع الرّابع أيْ: (ص م ص) على ما وضعه من الشّرطين ، وقبل الدّخول في الشّرطين أشيرُ إلى مسألة الاعتقاد بأنّ حروف اللين ومنها حروف المدّ ساكنةٌ (يمكن أن ننظر هنا في مصطلح الساكن) ، وربّما أدرك تعسّف النّظرة تلك عندما قال بإمكانيّة التقائهما ، الذى لم يكن من القوة بحيث يتجاوز قوله : "وَلٰكِنْ مَعَ ثِقَلٍ مَا " (٢)

٧ ـ يقولُ الرّضيّ : عندما يكون أوّل السّاكنين حرف لين :

" فَاعْلَمْ أَنّ أَوّلَ مِثْلِ هٰذَيْنِ السَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَلِفاً فَالأَمْرُ أَخَفُّ لِكَثْرَةِ المَدِّ الَّذِي فِي الأَلِفِ ، إِذْ هُوَ مَدٌّ فَقَطْ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ نَحْوُ مَادَّ وَسَادَّ أَكْثَرَ مِنْ نَحْوِ تُمُودَّ الثَّوبُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا وَاواً أَوْ يَاءً مَاقَبْلَهُمَا مِنَ الحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهِمَا ؛ وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ ذٰلِكَ فِي اليَاءِ في الاسم نحو سيْرٌ ؛ والدَّرَجَةُ الأَخِيرَةُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ السَّاكِنَيْنِ وَاواً أَوْ يَاءً قَبْلَهُمَا فَتْحَةٌ لِقِلَّةِ المَدِّ الَّذِي فِي مِثْلِ ذٰلِكَ ، وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ ذٰلِكَ إِلاّ فِي المُصَغَّرِ نَحْوَ خُوَيْصَّة " (٣).

---

(١) في شرح المفصل : ٩/ ١٢٠ ـ ١٢١ ، يقبل ابن يعيش بالتقائهما في الوقف

(٢) ش ش ٢/ ٢١١ .

(٣) ش ش ٢/ ٢١٢ .

يقرر هذا ٱلنص ملاحظة مهمّة وخطيرة في ٱلنّظرة ٱلْمقطعيّة هي : أنّ ٱلرّضيّ ، يسلك مع أصوات نصف ٱلمدّ سلوكه مع ٱلأصوات ٱلمدّ ية كما في خُوَيْصَّة ودُوَيْبَّة (١)، وعلى هذا فٱلنّظام ٱلعربيّ يُعامل هذه ٱلأصوات معاملته للأصوات ٱلْمدّ ية (٢)، وبحسب تصوّرات ٱلْمحدثين فإنّ (فتحة + ياء ساكنة) ؛ وهو مايطلق عليه ٱلصّائت ٱلْمركب (ٱلثّنائيّ) يُساوي ٱلصّائت ٱلطّويل من ٱلنّاحية ٱلْوظيفيّة) .

وعندي فإنّ ٱلرّضيّ يقبل بوجود ٱلمقطع ٱلْخامس أي (ص ح ص ص) فقط في هذا ٱلْموضع ويعلّل قبوله لهذا ٱلتّتابع بأحتفاظه بٱلصّفة المدّ ية وإنْ كانت أقلّ من المدّ في ٱلأصوات ٱلْمدّ ية .

٨- يشترط ٱلرّضيّ لوجود ٱلسّاكنين ٱلسّابقين (أي : ٱلسّاكنين أوّلهما لين) شرطين قال فيهما :

" هذا ، وَمَعَ ٱلْمَدِّ ٱلَّذي فِي حَرْفِ ٱللِّينِ يُشْتَرَطُ فِي ٱلسَّاكِنِ ٱلثَّانِي أَحَدُ ٱلشَّرْطَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ مُدْغَماً بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُدْغَمُ وَٱلْمُدْغَمُ فِيهِ مَعًا مِنْ كَلِمَةِ حَرْفِ ٱلْمَدِّ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُدْغَماً فِي مُتَحَرِّكٍ فَهُوَ فِي حُكْمِ ٱلْمُتَحَرِّكِ ، وَذٰلِكَ لِشِدَّةِ ٱلْتِصَاقِهِ بِهِ فَإِنَّ ٱللِّسَانَ يَرْتَفِعُ بِٱلْمُدْغَمِ وَٱلْمُدْغَمِ فِيهِ ٱرْتِفَاعَةً وَاحِدَةً ، فَيَصِيرَانِ كَأَنَّهُمَا حَرْفٌ وَاحِدٌ مُتَحَرِّكٌ ، ... (٣)

ٱلشَّرْطُ ٱلثَّانِي مِنَ ٱلشَّرْطَيْنِ ٱلْمُعْتَبَرِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فِي ٱلسَّاكِنِ ٱلثَّانِي : أَنْ يَكُونَ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ بِٱلسُّكُونِ ، أَوْ مُجْرًى مُجْرَى ٱلْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْوَقْفَ لِقَصْدِ ٱلْاسْتِرَاحَةِ وَمُشَارَفَةِ ٱلرَّاحَةِ تُهَوِّنُ عَلَيْكَ أَمْرَ ٱلثِّقَلِ ٱلَّذِي كُنْتَ فِيهِ " (٤) .

وهذان ٱلشّرطان يوضحان كراهيّة ٱلعربيّة لهذا ٱلتّتابع ٱلّذي لاتستسيغ ٱمتداده خارج ٱلْكلمة (وهي ملاحظة جديرة بٱلنّظر ، إذ تجعل للكلمة ٱعتبارات مقطعيّة تختلف عن تلك ٱلتي خارج حدودها ، ويمثّل هذا ٱلتّتابع ٱلْمقطع ٱلرّابع من مقاطع ٱلعربيّة (اى : ص م ص) ، وٱلرّضيّ بذكره هذين ٱلشّرطين يُذكّرنا بمجريات

---

(١) ينظر ش ش ٢/٥٠٢ .

(٢) يقول د . غالب المطلبي (في ٱلأصوات ٱللّغويّة : ١٠٥) : " لقد ٱنطلق ٱلدّكتور هنري فليش من هذه الملاحظة ، ومن ملاحظة ٱبن جنّي ٱلّتي سبقت الاشارة إليها إلى إثبات أنّ ٱلعربيّة عرفت ٱلمدّ ٱلْمركّب من قبل ٱلْوظيفة ٱللّغويّة وإلى أنّها عاملته معاملة صوت ٱلْمدّ ٱلطّويل "

(٣) ش ش ٢/٢١٢ - ٢١٣ .

(٤) ش ش ٢/٢١٣ - ٢١٥ .

الدرس المقطعي، إذ إن الدراسات المعاصرة (١) ، تقرر هذين الشرطين لوجود المقطع الطويل المغلق : وكراهية العربية له ، سببت أثراً واضحاً في البنية اللغوية للعربية.
وقد قامت بعض الدراسات (٢) ، برصد مظاهر متعددة من هذا الاثر . وبأشتراط وجود المدغم بعد صوت المد، فإن الرضي يبرز المعاملة الصوتية التي تؤكد رأيه السابق في الإدغام بأن الحرف المضعف ما هو إلا حرف واحد يعتمد عليه بقوة (أو الصامت الطويل) وقد لحظت - في سياق تقريره للتصورات السابقة - أنه يفرغ جانباً من دراسته لبعض الوقائع اللغوية لرصد التحولات التشكيلية (المقطعية) التي تطرأ على الكلمات عند دخولها في حال الحدث الفعلي الكلامي وعند اتصالها ببعض المورفيمات الصرفية التي تلحق الكلمات ، ووجدته يدخل اعتباراً آخر في الشكل المقطعي هو (عدم اللبس)، وذلك عند حذف حرف اللين الساكن الوارد في هذا المقطع لعدم توافر شرطيه، من ذلك الرصد :

١- إذا التقى ساكنان على غير ما سبق أولهما حرف مد ف "إنَّ لَمْ يُؤدِ الْحَذْفُ إلى اللَّبْسِ حُذِفَ الْمَدُّ ، سَوَاءٌ كَانَ السَّاكِنُ مِنْ كَلِمَةِ الْأَوَّلِ كَمَا فِي : خَفْ، وَقُلْ، وَبِعْ ، أو كَانَ كَالْجُزْءِ مِنْهُمَا ، وَذَلِكَ بِكَوْنِهِ ضَمِيرًا مَرْفُوعاً مُتَّصِلاً ، نَحْوَ تَخْشَيْنَ، وَتَغْزُونَ وَتَرْمِينَ، كَانَ أَصْلُهَا تَخْشَى وَتَغْزُو ، وَتَرْمِي ، فَلَمَّا اتَّصَلَتِ الضَّمَائِرُ بِهَا سَقَطَتِ اللَّامُ لِلسَّاكِنَيْنِ، أَوْ بِكَوْنِهِ أَوَّلَ نُونَيِ التَّأْكِيدِ الْمُدْغَمَ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ ، نَحْوَ اغْزُنَّ وَارْمِنَّ . . " (٣)
وكذلك يحذف الساكن الأول، وهو المد عند وقوع الساكن الثاني الذي يليه في كلمة أخرى كما نحو : خاف الله وخافوا الله وخافي الله ، يقول الرضي : "فَإِنَّهُ يُحْذَفُ حَرْفُ الْمَدِّ لِلسَّاكِنَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْتِقَائِهِمَا مُطْلَقاً وَإِنْ حَصَلَ جَمِيعُ الشَّرَائِطِ كُلْفَةً مَا كَمَا ذَكَرْنَا" (٤) .
ويبدو هنا الإدراك الممثل للواقع الفعلي ، إذ إن النظام الكتابي يبقي على صورة المد في مثل هذه الكلمات .

---

(١) ينظر الاصوات اللغوية ٦٤ ، المحيط : ٧٥ ومابعدها .

(٢) من تلك الدراسات : "أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية" د . يحيى القاسم

(٣) ش ش ٢/ ٢٢٦ .

(٤) ش ش ٢/ ٢١٣ .

ويرى ٱلرّضيّ فيما إذا أدّى هذا ٱلحذف إلى ٱللبس أن يحرّك ٱلثّاني " إذ ٱلمدّ لا يُحَرَّكُ كَمَا فِي مُسْلِمُونَ وَمُسْلِمَانِ ، فَإِنَّ ٱلنُّونَ فِي ٱلأصل سَاكِنٌ ، فَلَوْ حُذِفَتْ ٱلأَلِفُ وَٱلْوَاوُ لِلسَّاكِنَيْنِ لَٱلْتَبَسَا بِٱلْمُفْرَدِ ٱلْمَنْصُوبِ وَٱلْمَرْفُوعِ ٱلْمُنَوَّنَيْنِ ، وَكَذَا فِي يُسْلِمَانِ وَيُسْلِمُونَ وَتُسْلِمِينَ لَوْ حُذِفَتِ ٱلْمَدَّاتُ لَٱلْتَبَسَ ٱلْفِعْلُ بِٱلْمُؤَكَّدِ بِٱلنُّونِ ٱلْخَفِيفَةِ فِي بَدْءِ ٱلنَّظَرِ (١) " ؛

ويقولُ ٱلرضيّ أيضاً : " وَإِنَّمَا لَمْ يُحْذَفْ أَوَّلُ ٱلسَّاكِنَيْنِ ـ أعني ٱلأَلِفَ ـ فِي رَمَى وَغَزَا عِنْدَ ٱتِّصَالِ أَلِفِ ٱلْمُثَنَّى فِي غَزَوَا وَرَمَيَا وَأَعْلَيَانِ وَحُبْلَيَانِ ، بَلْ قُلِبَتْ واواً أَوْ يَاءً ، كَمَا رَأَيْتَ خَوْفاً مِنَ ٱلْتِبَاسِ ٱلْمُثَنَّى بِٱلْمُفْرَدِ " (٢) .

أمّا إذا لم يكن أوّل السّاكنين مدّة فوجب تحريكه ، إلّا إذا أدّى تحريكه إلى نقض ٱلْغَرض ، كما في (لَمْ يَلِدْهُ وَٱنْطَلْق (وهو عند تميم)) ؛ فهم يخففون ما كان على كَتِفٍ أي : (يَلِـدْ وطَلِـقْ) ؛ فيصبحان : (يَلْدْ ، طَلْق) وعند ٱلأمر أو ٱلْجزم يحتالون بتحريك ٱلآخِر لئلّا ينقضوا ما عملوا (٣) .

٢ـ ويرصد ٱلرّضيّ سلوكاً لبعض ٱللهجات تتخلص فيه من ٱلمقطع الرابع (ص م ص) : أي : من ٱلسّاكنين وأوّلهما مدّ ؛ على ٱلرّغم من توفّر شرطيْ قبوله في ٱلعربيّة ٱلفصحى ، وذلك ٱلسّلوك يؤكّد كراهية ٱلعربيّة على العموم لهذا ٱلمقطع ، إذ يتمّ ٱلتّخلص من هذا التتابع بوساطة إحداث همزٍ مكان ٱلمدّ .

قال ٱلرضيّ (فيما ٱغتفر فيه ٱلتقاء ٱلسّاكنين) : " وَثَانِي ٱلنَّوْعَيْنِ مَا يَكُونُ ٱلسَّاكِنُ ٱلثَّانِي فِيهِ مُدْغَماً وَٱلأَوَّلُ أَلِفٌ نَحْوَ ٱلضَّالِّينَ ، فَتُقْلَبُ ٱلأَلِفُ هَمْزَةً مَفْتُوحَةً ، كَمَا يُحكى عن أيوب ٱلسّختياني في ٱلشّواذ : (وَلَا ٱلضَّأَلِّينَ) وحكى أبو زيدٍ عَنْهُ : دَأَبَّة ، وَشَأَبَّة ، وأنشد : ... خاطمها زَأَمَّهَا أَنْ تَذْهَبَا ... أي زَامَّهَا ، فقلبها هَمْزَةً مفتوحةً ، إذْ لَا يستقيمُ هُنَا وَزْنُ ٱلشِّعْرِ بِٱجْتِمَاعِ ٱلسَّاكِنَيْنِ ، وروى أبو زيدٍ عن عمرو بن عبيد : (عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَأَنٌّ) " (٤) (الرحمن ـ ٣٩) .

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٠ .

(٢) ش ش ٢ / ٢٣١ .

(٣) ينظر : ش ش ٢ / ٢٢٦ و ٢٣٨ ومابعدها .

(٤) ش ش ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

وإذا كانَ ٱلرّضيّ يحكم بقبول هذا ٱلتّحول بما يراه علاقة مخرجيّة بين ٱلألف وٱلهمزة ، فإنّ ٱلدّرس ٱلحديث يتّخذ لنفسه طريقاً آخر ، إذ هو لا يحكم بمثل هذه ٱلعلاقة ف (هنري فليش) [١] ، يفسّره من خلال وجود نوعين من ٱلصّوّتات : ٱلأوّل ، ذو توترٍ رخوٍ ، وٱلآخر ذو توترٍ شديدٍ ، وهو ٱلموجود في ٱلعربيّة وٱليابانية مع شدّة ذلك في ٱلعربيّة عمّا هو في ٱليابانيّة ، إذ يحدث عند ٱلنّطق به أنْ تنغلق ٱلأحبال ٱلصّوتيّة أوّلاً ثمّ تفتح بالقدر اللازم لإحداث ذبذبة ، فإذا ٱنتهى ٱلنّطق ٱنغلقت ، وتأتي نهاية ٱلصّوت في صورة ٱحتباس أو قطع ضعيفين ٱلّذي يحدث في ٱلعربيّة أنّ ٱلانفتاح ٱلفجائي للأحبال ٱلصّوتيّة يصدر همزة ٱبتداء بفعل شدّة ٱلتّوتر ، ثم تستعيد ٱلأحبال وضعها بأنْ تغلق ٱلحنجرة .

وقد ٱختار بعض ٱلعرب تلخصاً من هذا ٱلمقطع أنْ يحدثوا قلباً مكانيّاً عند الوقف في نحو : بكر وعمرو بقلب ٱلحركة ٱلإعرابيّة إلى ٱلسّاكن ٱلأوّل ؛ على أنْ يحركوه بٱلكسرة ٱلخفيفة ضنّاً بالإعرابيّة وتجنباً لجلب حركة أجنبيّة . (٢) .

ب ـ ظاهرة ٱلإعلال :

إحدى ٱلظّواهر ٱلبارزة لمقتضيات ٱلمقطعيّة ٱلعربيّة بما فيه من كراهيّة وٱستحباب حيث تتفاعل فيه ٱلمقطعيّة مع ظاهرة ٱلمماثلة في ٱلتّخلص من ٱلتّتابع ٱلصّوتيّ غير ٱلمرغوب ، ويعني هذا ٱلتّتابع في كتب ٱلمحدثين وجود صوت ٱلمدّ ٱلمركب أو (Diephthong) ، الذي سمي مركّباً ؛ لأنّه عندما ينطق بالصّائت ٱلمفرد ينتقل ٱللسان في أثناء إصداره إلى موقع نطق لصائت آخر [٣] ، وهي حالة صعبة عند ٱلنّطق ؛ لأنّها تتطلب أنْ يقطع ٱلمتكلم مجرى نَفَسِهِ ثمّ يستأنفه مرة أخرى ، فيحتال ٱلجهاز ٱلصّوتيّ بأنْ يحدث نوعاً من ٱلاحتكاك ٱلبسيط ٱلمسموع بمثابة فاصلة يستريح فيه ٱللسان برهة ليستطيع ٱتّخاذ ٱلموضع الآخر ؛ وبفعل هذا ٱلاحتكاك ٱلحاصل يتحوّل أحد ٱلصّائتين إلى نصف صائت ما يسهّل ٱجتماعها ، وهذا ٱلصّائت المتحوّل ؛ إمّا أنْ يكون أوّلاً وإمّا ثانياً بحسب نوع ٱلمركب ٱلحاصل وقد يتبع نصف ٱلصّائت صائت آخر فيكون ما يعبّر عنه بٱلمدّ ٱلمركّب ٱلثّلاثي .

---

(١) التفكير الصوتي عند العرب : ٦٢ ، حاشية رقم (٤) . وينظر في ٱلأصوات اللغوية : ٢٧٤ .

(٢) ش ش ٢ / ٣٢١ - ٣٢٤ (ٱلوقف بٱلنّقل) . (بتصرف) .

(٣) هنا خلاف بين المحدثين في وجود الاصوات المركبة في العربية بحسب ===

وقد عبّر الرضي عن هذا التّركيب تعبيراً دقيقاً بفعل ملاحظته لقلّة المدّ الذي يكون عند الواو أو الياء التي تسبقها حركة من غير جنسها (أي: الفتحة)، حيث قال:

"وذلِكَ لِأَنَّ فِي نَحْوِ قَوْلِ الْخُصُومِ قَافُهُ تَتَهَيَّأُ بَعْدَ النُّطْقِ بِالْقَافِ لِلْوَاوِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الضَّمَّةَ بَعْضُ الْوَاوِ، فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ الْمَجِيءُ بَعْدَ الضَّمَّةِ بِالْوَاوِ كَامِلَةً لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهَا إِذَنْ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْمَدِّ كَمَا خَالَطَهَا فِي نَحْوِ قَوْلِ الْمَفْتُوحِ قَافُهُ، فَإِنَّكَ إِذَنْ تَهَيَّأْتَ فِيهِ بَعْدَ الْقَافِ لِلْمَدِّ الْأَلِفِيِّ: أَيِ الْفَتْحَةِ، ثُمَّ انْتَقَلْتَ فِي الْحَالِ إِلَى الْمَدِّ الْوَاوِيِّ شَائِبًا شَيْئًا مِنَ الْمَدِّ الْأَوَّلِ بِالْمَدِّ الثَّانِي، وَمَيْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَدَّيْنِ إِلَى جَانِبٍ غَيْرِ جَانِبِ الْآخَرِ، فَلَا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ الْوَاوِيِّ تَمَامَ التَّمَكُّنِ" (١).

فصوت المد المركب عند الرّضيّ نتاج تخالط مدّين مختلفين، ولأجله يقلّ المدّ في الصّوت الثّاني، كأنّه بهذا يقترب من الخصائص الصّوتيّة للصّحاح.

والرّضيّ هنا بتصوّره للمدّ المركب يقدّم لنا أدق المعلومات الصّوتيّة بطريقة بارعة جداً تثير فيّ اعجاباً وتقديراً عظيمين.

ويتبيّن ممّا سبق صعوبة مثل هذا التّتابع المدّي وأنّ اللغة العربيّة لها رغبة دائمة في التّخلص من تتابع الأصوات المتجانسة إذ، يتمّ التّخلص بوساطة المماثلة بتحوّل الواو أو الياء السّاكنة أو المتحرّكة (٢)، إلى جنس الحركة السّابقة فتولّد معها صوت مدّ مجانس ويوفّر هذا التّخلص استقراراً في قمّة المقطع الّتي تشغلها الصّوائت، وعلى هذا السّلوك تقوم التّغييرات الّتي تطرأ على حروف العلّة فيما يعرف بظاهرة الاعلال أو الاعتلال في التّراث اللغوي العربي.

ويستند الرّضيّ في هذه الظّاهرة على قواعد ترسم خطّ سير ذلك التّماثل الّذي ينبغي أن لا يغيب عنّا ارتباطه بحدود الكلمة، ولهذا فهذه الظّاهرة تعدّ من جملة الظّواهر الصّوتيّة الصّوتيّة، وما القواعد الّتي يذكرها الرّضيّ إلّا قواعد صوتيّة صرفيّة وتلك مسألة واضحة عنده، إذ نجده يربط تغييراتها بكونها قريبة من طرف الكلمة أو كونها وسطاً (عين الكلمة) وهو شرط أدركه من خلال قوله بضعف علّة قلب الواو والياء المتحرّكتين المفتوح ماقبلهما ألفاً، إذ قال:

==تعريفها فمنهم من عدّها صوتاً مركباً ومنهم من عدّها مجرد تتابع صائت ونصف صائت (أو صامت) ينظر: كلام العرب: ٣٢ – ٣٨، دراسة الصوت: ٣٠٣ – ٣٠٥، علم الأصوات العام: ١٤٠.

(١) ش ش ٢ / ٢١١ – ٢١٢.

(٢) الحقيقة أنّ المتحرّكة تسقط فتتلاقى الحركتان، وتتحولان إلى صوت المدّ.

"اعْلَمْ أَنَّ عِلَّةَ قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ٱلْمُتَحَرِّكَتَيْنِ ٱلْمَفْتُوحِ مَاقَبْلَهُمَا أَلِفاً لَيْسَتْ فِي غَايَةِ ٱلْمَتَانَةِ لِأَنَّهُمَا قُلِبَتَا أَلِفاً لِلْاسْتِثْقَالِ ... وَلِوَهْنِ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ لَمْ تُقْلَبْ أَلِفاً إِلَّا إِذَا كَانَا فِي ٱلطَّرَفِ : أَيْ لَامَيْنِ ، أَوْ قَرِيبَيْنِ مِنْهُ : أَيْ عَيْنَيْنِ ، وَلَمْ يُقْلَبَا فَاءَيْنِ نَحْوَ أَوَدّ وَأَيَلّ " (١) .

ومما يؤكد الصّفة الصوتية الصرفية اشتراطه في بعض الإعلال كونها على بنية الفعل . (وسيأتي هذا في مثله القواعد) والقواعد الصوتية الصرفية التي ذكرها الرضيّ هي :

١ـ "إِذَا كَانَتْ ٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ ٱلْمُتَحَرِّكَتَانِ ٱلْمَفْتُوحُ مَاقَبْلَهُمَا فِي آخِرِ ٱلْكَلِمَةِ فَإِنَّهُمَا تُقْلَبَانِ أَلِفاً " (٢) . وذلك في نحو رِباً ورِباً وفتىً وعصاً وبرْدَى ومِيرَى ، ويذكر أنّ هذه القاعدة غير خاضعة لكون الأسم مشابهاً للفعل (كمافي رِباً ورُباً) أوغير مشابه .

٢ـ " تُقْلَبُ ٱلْيَاءُ ٱلسَّاكِنَةُ وَاواً إِذَا ٱنْضَمَّ مَاقَبْلَهَا " (٣) نحو مُوقِن وأُوقِن وكُولل ، قال الرّضي : " وَلَا تُقْلَبُ ٱلضَّمَّةُ لِأَجْلِ ٱلْيَاءِ كَسْرَةً ، وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْيَاءَ بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلطَّرَفِ ، فَلَا يُطْلَبُ ٱلتَّخْفِيفُ بِتَبْقِيَتِهَا بِحَالٍ بَلْ تُقْلَبُ وَاواً أَوْيَاءً إِبْقَاءً عَلَى ٱلضَّمَّةِ ، إِذِ ٱلْحَرَكَاتُ إِذَا غُيِّرَتْ تَغَيَّرَ ٱلْوَزْنُ وَبِإِبْدَالِ ٱلْحَرْفِ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَٱلْإِبْقَاءُ عَلَى ٱلْوَزْنِ أَوْلَى " (٤)

٣ـ قال الرّضيّ : " اعْلَمْ أَنَّ ٱلْوَاوَ إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً مُدْغَمَةً وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ ، فَلَابُدَّ مِنْ قَلْبِهَا يَاءً ، سَوَاءٌ كَانَتْ فَاءً كَمِيقَاتٍ ، أَوْعَيْناً نَحْوَ قِيلَ ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَاماً فَتُقْلَبُ يَاءً وَإِنْ تَحَرَّكَتْ كَالدَّاعِي ، لِأَنَّ ٱللَّامَ مَحَلُّ ٱلتَّغْيِيرِ " (٥) ، وقد جاءت في عين مصدر معلّ فعله ، نحو قام قياماً ، وفي عين جمع معلّ واحده كديم (٦) .

وبعد : فإن ماقدّمته من منهجيّة لتناول ظاهرة الإعتلال يمكن أن تكون موفقة جداً في الوقوف على حقيقة الأمر في تحوّلات هذه الظاهرة .

وبإمكان تلك النّظرة القطعيّة إلى هذه الظّاهرة أن تقدّم إلى جانب ماسبق ـ تفسيراً لعزوف هذه الظّاهرة في مجموعة من الالفاظ يتوارد فيها السّياق الصّوتيّ ذاته الذى

---

(١) ش ش ٣ / ٩٥

(٢) ش ش ٣ / ١٠٠

(٣) ش ش ٣ / ٨٥ .

(٤) ش ش ٣ / ٨٥ ـ ٨٦ .

(٥) ش ش ٣ / ٨٣ ـ ٨٤ وينظر ش ش ٣ / ١٩٣ ـ ١٩٧ .

(٦) ش ش ٣ / ٨٤ وينظر : ش ش ٣ / ٢٠٩ .

يتوارد فيما أُعلّ من نحو : عَوِرَ وَسَوِدَ وحَوِلَ وٱلْجَوَلَانِ وٱلْحَيَدَانِ وغيرها •
حيث يمكننا أنْ نتصوّر أهمية ٱلْحركة ٱلسّابقة لنصف ٱلْمدّ في ٱلْاعتلال إذا نَظرنا إلى مجموعة من الالفاظ غير المعلّة من نحو : ٱلتّقْوَال والتّسْيار وأَخْيَلَتِ ٱلسَّمَاءُ ، وأَغْيَلَتْ ٱلْمرأةُ وٱسْتَصْوَبَ وٱسْتَرْوَحَ وٱسْتَنْوَقَ ، وغيرها مما ذكره (وهي مجموعة لابأس بها من ٱلألفاظ) ، حيث لاوجود لِلْحركة ٱلسَّابقة قبل نصف ٱلْمدّ ؛ وههنا أطرح تصوّرين لعدم اعتلال هذه ٱلألفاظ وكلاهما يستند إلى ٱنعدام هذه ٱلْحركة هُما :

١ـ إنّ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب ٱلصّاعد يتمتع بدرجة ٱستقرار (أوقبول) في نظام ٱلْعربيّة ٱلْمقطعيّ أمام صوت ٱلْمدّ المركّب ٱلْهابط(١) •

٢ـ تخلّف ظاهرة ٱلْمماثلة عن ٱلْعمل بسبب ٱنعدام ٱلْحركة ٱلسّابقة ؛ وهذا يُؤكّد قوة ٱلْموقعيّة ٱلّتي تتمتع بها ٱلْحركة ٱلأولى فتميل إلى جذب نصف ٱلْمدّ نحوها فيتماثل معها ، وأيضاً يؤكد عمق العلاقة بين ٱلْحاجة ٱلْمقطعيّة وظاهرة ٱلْمماثلة إذ إنّ تخلّف ٱلْمماثلة أدّى إلى قبول ٱلنّظام ٱلْمقطعيّ بهذا ٱلتّتابع ٱلْمكروه •

وقد وردت مجموعةٌ أخرى من ٱلألفاظ ممّالم يعلَّ من نحو : ٱلطّوفان، وٱلصّور ى، وٱلطَّيران، والدّوران، والنّوال، والسّيال، وٱلْجولان، وٱلْحَيَدان، وسبق ذكر ٱلتّقوال، وٱلتّسيار ؛ إذْ هذه الالفاظ ذات تشكيل صوتيّ واحد ، يكاد يكون واحداً بٱتّفاقها جميعاً بالمقطع (ص م ص) في نهايتها، وهو مقطع مكروه في ٱلْعربيّة، فكره أنْ يتتابع مقطعان طويلان عند إعلال هذه ٱلألفاظ، فكان بقاؤها غير معلّة مناسباً جدّاً •

ويبدولي أنّ ٱلرّضيّ قال بضعف علّة (قلب ٱلْواو وٱلْياء ٱلْمتحركتين ٱلْمفتوح ماقبلهما ألفاً) عندما رأى تخلفها في أعلال هذه الالفاظ •

---

(١) ـ صوت المد المركب الصاعد (Rising) اذا كانت ٱلْحركة تالية لنصف المد •
ـ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب الهابط (Falling) اذا كانت ٱلْحركة سابقة لنصف المدّ ، ينظر : أسس علم ٱللُّغة : ٨١ •

ٱلأصوات اللغوية : ١٦١ • في الاصوات اللغوية : ٤٤، علم ٱلأصوات ٱلْعام : ٤٠، حاشية ـ ٢ـ ، علم ٱللّغة: ١٨٦، كلام ٱلْعرب : ٣٧ •

نتائج ٱلفصل ٱلثّاني :

١ــ وضع العناوين المناسبة لاتجاهات الدّراسة الصّوتيّة الّتي قام بها الرّضيّ وتمّ بهذا حصر تلك الدّراسات في ثلاثة اتّجاهات مثّلت مباحث هذا ٱلفصل .
ويتبع هذا ، ٱلتّوزيعُ (ٱلدّقيق ٱلجوانب تلك الدّراسات على ما هو متعارف في الدّرس الصّوتيّ ٱلحديث ؛ وقد عملت في هذه العناوين على توظيف الاصطلاحات ٱلّتي قدّمها لنا ٱلرّضيّ (على ما توصلت اليه في الفصل الاول من مبحث المصطلحات) ، وقد رأيتُ في بعضها أصطلاحاً جديداً هو (المماثلة التّناسبيّة) تعبيراً عن المماثلة الحاصلة في (ستّ ومحشم (التميمية) .

٢ــ وضع معالم النظرية الصّوتيّة عند ٱلرّضيّ ٱلخاصة بإنتاج ٱلأصوات ، ومراتب ٱلتّمايز بين ٱلأصوات ، والظّواهر ٱلصّوتيّة وٱلمتطلّبات ٱلقطعيّة .

٣ــ الوقوف على ٱلمفهوم الّذي يراه الرضي لصفتي ٱلجهر والهمس وقد رأيت أن تصوّره لهما يتمّ في إطارين : الأوّل ، آليٌّ (أعني ٱلآليّة ٱلمخرجيّة عند ٱلصّفتين) ، والآخر : وظيفيّ (في تمايز ٱلأصوات) وكلاهما لا ينسجم مع شيء من صفة ٱلجهر وٱلهمس في ٱلعصر ٱلحديث .

٤ــ بالاعتماد على ما توصلت من مفهوم ٱلجهر وٱلهمس عند الرّضي عرضت رأياً جديداً يفسّر وصف أصوات (الطّاء وٱلقاف وٱلهمزة) بٱلجهر .

٥ــ التّصورات ٱلدّقيقة عند الرّضيّ لِلطّبيعة ٱلمخرجيّة للأصوات : (ٱلجيم وٱلعين ، وٱلضّاد) تنفي ٱحتمال توهّمه ، وإنّ ما توصف به هذه ٱلأصوات في ٱلعصر ٱلحديث جاء نتيجة التّطورات الصّوتيّة .
فقد قدّم لنا (عند وقوفه على مخرج ٱلضّاد) منحىً جديداً في ٱلنّظرة الى ٱلأصوات عموماً وإلى هذا الصّوت خاصّة باعتماده على علم ٱلتّشريح ، إذ قام بوصف كامل لِلأسنان مع حافة ٱللسان .
وكذلك تمثّلت ٱلدّقة في ٱلطّبيعة ٱلمخرجيّة لِلأصوات ٱلشّديدة والرّخوة وما بينهما ، ورأيت هناك أنّ أصطلاح ما بين ٱلشّدة والرّخاوة مُلبس شيئاً ما ورأيت عوضاً عنه أصطلاح (ٱلشّدة ــ ٱلرّخاة) .

وقد برز تكلّف الرّضيّ في جعل أصوات (ٱلواو وٱلياء وٱلألف) في جملة مابين ٱلشّديدة والرخوة ؛

لأنّه قدّم لنا تصوّرات عن هذه ٱلأصوات في مواضع أُخرى ، يقف فيها على خصائصها ٱلفينولوجية بحسب ما بيّنها ٱلدّرس ٱلحديث ؛ كما إنّه فرّق بين ٱلمدّيّة منها وغير ٱلمدّيّة وقد قدّم لنا معها تصوّراً مهماً لما يعرف بالصّائت المركب ؛ وقد عملتُ في كلّ هذا على إبراز معلوماته إبرازاً واضحاً .

٦ـ تمّ لي دراسة ٱلقلب ٱلمكاني على وفق تصوّر تجاهله معظم اللغويين من درس هذه الظّاهرة، وهذا ٱلتّصور قام على ملاحظة طبيعة خصائص أصوات ٱلكلمة ٱلمقلوبة وٱلمتطلبات ٱلمقطعيّة لِلكلمة المفردة بٱعتبارها ظاهرة صوتيّة صرفيّة ، وتمّ هذا في ظلِّ ماقدّمه ٱلرّضيّ في هذه ٱلظّاهرة .

٧ـ عرض تصوّراتِه عن طبيعة نظام ٱلأداء في ٱلعربيّة ببيان ٱلتّشكيلات الصّوتيّة ٱلمسموح بها في اللغة على وفق نظام ٱلمتحرّك وٱلسّاكن .

وقد عملت على عكس تصوّراته على ٱلمقطعيّة الحديثة ووجدت أنّ ٱلمقاطع ٱلّتي يقبل بها ٱلرّضيّ في ٱلعربيّة تنحصر في ٱلمقاطع الأربعة الأوّلى مع كراهة واضحة لِلمقطع ٱلرّابع .

٨ـ قدّمتُ في دراسة ٱلمقطع تسميات رأيتُ أنّها أكثر دلالة على محتوى المقاطع، وأشكالها مستفيداً من ٱلأفكار ٱلسّابقة .

٩ـ لقد عامل ٱلرّضيّ صوت ٱلمدّ ٱلمركّب (فتحة + وْ أو فتحة + يْ) معاملة ٱلأصوات ٱلمدّيّة في ٱلنّظام ٱلمقطعيّ لِلعربيّة كما في خُوَيْصّة ودُوَيْبّة (يعني قبوله هنا ٱلمقطع ٱلخامس) .

١٠ـ إنّ ٱلإطار ٱلّذي ينبغي أن تُدرَس ظاهرة ٱلإعلال في ضوئه هو ٱلمقطعيّة، وتوظيفها لظاهرة ٱلمماثلة بين نصف ٱلمدّ وٱلحركة .

١١ـ تمّ لي طرح أفكار أفسِّرُ من خلالها تخلّف ٱلمقطعيّة عن اعلال مجموعة من الالفاظ ٱلّتي تتوارد فيها ٱلسّياقات ذاتها في المعلّات ؛ من خلال قبول ٱلعربيّة ٱلمدّ ٱلمركب ٱلصّاعد وتخلّف ٱلمماثلة بحذف الحركة ٱلسّابقة، والهروب من تتابع مقطعيّ مكروه .

١٢ـ قمتُ بعمل جداول لبعض الظواهر ، أخصّ منها ماكان من جداولي ظاهرة الادغام وظاهرة الابدال، وقد ساعدتني هذه على الخروج بنتائج وضعتُها تحت عنوان

ملاحظات حول ٱلظاهرة ؛ وتُعدّ من أبرز نتائجها أنّ ٱلعربيّة تبرز سلوكاً واضحاً لِلتّنازل عن صفة ٱلجهر ممّا يعني أنّ هذه الصّفة ليست بتلك الأهميّة في نظام ٱلتّمايز ٱلعربيّ .

١٣ـ من خلال وقوفي على فهم ٱلرّضيّ لِلجهر وَٱلهمس برز ٱلإشباع سمة من سمات ٱلتّمايز ٱلصّوتي عند الرّضي،فَٱلإشباع في ٱلصّوامت يميّز بين ٱلمجهورة وٱلمهموسة، وٱلإشباع في الصّوائت يميّز بين ٱلحركات ومجانساتِها مِن ٱلمدّيّة .

١٤ـ ومن الجدولين الآنفي ٱلذّكر تبيّن أنّ العربية تتساهل فيضياع الصّفة الفضيلة عند تحولاتها ههنا .

١٥ـ تنحو ٱلعربيّة إلى قلّة واضحة في ٱلتّنازل عن صفتي ٱلهمس وٱلشّدة ممّا يؤدّي إلى ٱلقول بدورها ٱلواضح في عمليّة ٱلتّمايز عند ٱلسّلسلة ٱلكلاميّة (أو ٱلأداء) .

١٦ـ وجود حالات تجاوزت نصف مجموع ماعدّه ٱلرّضيّ من ٱلإبدال ربّما لاتكون من الإبدال المعتمد على ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ ٱلّذي جعله ٱلرّضيّ ٱلمعيار ٱلأساسيّ في ٱلقول بالإبدال .

١٧ـ نصف حالات الإبدال (تقريباً) تعتمد على عدم ٱلتّساهل فيضياع ٱلنّقطة ٱلمخرجيّة، ممّا يعني أنّ وظيفةً لهذه ٱلنّقطة في عمليات ٱلتّمايز عند ٱلأداء .

الفصل الثالث

علاقات النظام الصوتي

تمهيد:

المبحث الاول : علاقة النظام الصوتي بالنظام النحوي

المبحث الثاني : علاقة النظام الصوتي بالنظام الصرفي

المبحث الثالث : علاقة الاصوات باللهجات والقراءات القرآنية

التمهيـــد

يعتقد اللغويون المحدثون أنّ التعامل بين الأنظمة اللغويّة (الصّوتيّ، والصّرفيّ، والنّحويّ) "غيرُ واضحةٍ تماماً ومتشابكة، فأصوات اللغة تتأثر كثيراً بالصّيغ، أو العكس كذلك صحيح"[١]، وعلى وفق هذا التّصور تمّ بناء منهجيّة لدراسة التّغييرات الّتي وُصف بعضها بأنّه تغيّر صرفيّ ـ صوتيّ (Morphophonemic) بمعنى أنْ يتضمّن عاملاً صرفيّاً (Morphological) مشروطاً بعامل صوتيّ تشكيليّ (Phonologicacl) ومتى ما ارتبطتْ تلك الظّواهر بمجموعة الكلمات فإنّه يُطلق عليها في العرف الاصطلاحي اسم مشتق من علمي الأصوات التّشكيليّ والنّحو هو (Syntactic Phonology)[٢]؛ وهذا تصوّر منهج النّحو الوصفيّ الّذي يُقيم تحليلاته على أساس ارتباط الظّاهرة بالظّواهر الأُخرى[٣]؛ يقول د. تمّام حسّان (عن منهج النحو): "لا يُمكنُ أنْ تقوم دراسة نحويّة صحيحة دون أنْ يدخل في منهجها علم الأصوات وعلم التّشكيل الصّوتيّ وعلم الصّوت، والباب الّذي لا يُستغنى عنه من علم التّشكيل الصّوتيّ في الدّراسة النّحويّة هو باب الموقعيّة؛ لأنّ النّحو مليء بالسّلوك الموقعيّ للكلمات، أي: إنّ الموقع يتحكّم إلى حدٍّ كبيرٍ بالإعراب"[٤] وهو هنا يأخذ الحركات والمدّ من نتائجه، ويأخذ من نتائجه أيضاً الإعلال، والإبدال، والإدغام، والنقل والحذف[٥].

وعلى وفق ذلك فإنّ النّحو الوصفيّ ركّز اهتمامه على درس الأشكال اللّغوية باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات"[٣]، بل إنّ الأمر هنا يتجاوز إلى عدّ الأصوات هي الاساس الّذي تُبنى عليه الدّراسة اللّغويّة بشتّى فروعها، قال بلومفيلد (Bloomfield): "إنّ وصف اللّغة يبتدئ بالفنولوجيا الّتي تحدّد كلّ فونيم، وتقرّر ما التّراكيب الّتي تقع"[٦].

---

(١) أسس علم اللغة: ٤٤

(٢) ينظر: نفسه: ١٠٦ـ ١٠٧.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث: ٤٦.

(٤) مناهج البحث في اللغة: ٢٢٨.

(٥) القرائن النحوية: ٣٨.

(٦) خواطر وآراء صرفية: ١١.

وإذا كان ٱلْمنهج ٱلْوصفيّ بشكل عام نتاج العقليّة الّتي تمتّع بها ٱللّغوى ٱلشّهير (دي سوسير)،وكانت فكرة ٱلتّداخل بين ٱلْمستويات إحدى نتائجه ٱلْخاصة ؛ فإنّ من جدّيّة هذه ٱلْفكرة وحصافتها أنْ نجد أحدث وأخطر ٱلْمدارس ٱللّغويّة تنحو بها في منهجها وهي ٱلْمدرسة ٱللّغويّة ٱلْأمريكيّة ٱلْمعروفة بمدرسة ٱلنّحو التّوليدي ـ ٱلتّحويليّ بزعامة ٱللّغوى ٱلْمرموق چومسكي (Chomisky) إذْ كَوّنت ٱلْقوانين ٱلْمورفيميّة ـ ٱلصّوتيّة (Morphophoemic Rules) أحد أنماط قواعدها ٱلتّحويليّة (١)، ٱلّتي تحدّد وظيفتها في أنّها " تُعطي لمنتوج القواعد التّحويليّة (أيْ : ٱلتّراكيب السّطحيّة) شكلها ٱلنّهائيّ عن طريق إعطاء كلّ مورفيم شكله ٱلْمحدّد " (٢) ؛ وعلى ٱلْعموم ،فإنّ ٱلْأفكار ٱلسّابقة ماهي إلاّ نتاج طبيعيّ لِلْإزدواجيّة ٱلّتي تقوم عليها البِنْية؛فهي عبارة عن أزدواج مورفيميّ ـ ألفوني ، حيثُ بإمكان عدد كبير من ٱلْمورفيمات أنْ تقوم بوظيفتها ٱلدّلاليّة بتركّبها من عناصر صُغرى لادلالة لها إنّما تُستعمل لتميز المرسلة (أعني: ٱلْألفونات) (٣) ، ثمّ إنّ هذه ٱلْبنى تدخل في أنماط تركيبيّة متعدّدة يقتضيها ٱلتّركيب الجمليّ (ٱلنّظام ٱلنّحوى) لتقوم بوظيفة أخرى إلى جانب وَظيفتها ٱلدّلاليّة ٱلسّابقة (وهي :ٱلدّلالة الوظيفية) حيثُ تُستعمل بعض الأُلفونات كمميّز لِلْمرسلة ٱلتّركيبيّة .

وقد قامت بعض الدّراسات (٤) ، برصد مواطن تَبَنّى فيها سيبويه هذه ٱلْمنهجيّة ورأتْ : " انّهُ عندما درس ظاهرة نحويّة أو صرفيّة ، وجد أنّ ظاهرة أخرى صوتيّة مرتبطة بها غير منفصلة عنها ،فوصفُ واحدة منهما يستدعي وصف الأخرى ،فوصفهما سيبويه وكأنّهما ظاهرة واحدة وليستا ظاهرتين " (٥).

" والحقيقة أنّ مردّ هذا إلى أنّ هذه ٱلْمستويات تتداخل بطبيعتها : أيْ إنّ طبيعة النّحو من حيث هو علم متّصلة بعض ٱلْاتّصال بٱلصّرف ، والاثنان معاً يتصلان

---

(١) القّطْرِيّة التّحويليّة و اللغة العربيّة : ١٩٧.

(٢) قواعد تحويليّة للغة العربيّة : ٤١

(٣) الألسنية (علم اللغة الحديث):قراءات تمهيديّة : ٤٨.(التّميز ههنا صوتيّ ابتداء)

(٤) مثل :ٱلْكتاب بين الوَصفيّة والمعياريّة ، د. أحمد سليمان الياقوت .

(٥) الكتاب بين الوصفية والمعيارية : ٣٢

(الصحيح : يتصلان) ببعض الجوانب الصّوتيّة ، أو بمعنى آخر إنّ بعض المسائل النّحوية لها وجه آخر صوتيّ متّصل بالنّحو مترتّب عليه ؛ فاختلاط المستويات عند سيبويه ليس اختلاطاً مفتعلاً بل إنّه ناتج عن ارتباط الظّاهرة المدروسة بالظّواهر الأخرى "(١) .

ولما تقدّم وتكملة لجوانب الدّرس الصّوتي عند الرضي أسعى في هذا الفصل إلى الوقوف على مواطن نظريّة وتطبيقيّة تظهر فيها معالم هذه المنهجيّة في التّعامل مع الظّاهرة اللّغويّة عند الرّضيّ ، ورائدي في هذا اعتقاده بفكرة الجزئيّة بين علوم العربيّة (النّحو والصّرف والصّوت) ؛ فالتّصريف وما بمعن المباحث الصّوتيّة المختلفة جزء من علم النّحو ؛ قال الرّضيّ (في مقدمة شرح الشّافيّة) : " وَٱعْلَمْ إِنَّ ٱلتَّصْرِيفَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ ٱلنَّحْوِ بِلَا خِلَافٍ مِن أَهْلِ ٱلصِّنَاعَةِ "(٢) ، كما أنّ فهمه الواضح لأحوال الأبنية في الدّراسة الصّرفيّة (بحسب مصطلح أحوال الأبنية) وآخراجه موضوعات (الوقف والتقاء السّاكنين في كلمتين والادغام فيهما من هذه الاحوال، وجعلها لاأبنية ولا أحوال أبنية - كما عرّفي المصطلح - يدعو إلى القول بإدراكه التفاعل المتبادل بين المستويات اللغويّة المذكورة لأنّ هذا الأخراج ناتج عن ارتباطها بالتّركيب (النّحو) ، وإذا كان موضوع مخارج الحروف وصفاتها الصّوتيّة وليدة حاجة رآها سيبويه لتعليل تحولات البنية اللغوية المرتبطة بظاهرة الإدغام(٣) ، فإنّني على ثقة بأنّ هذه الفكرة قد توسّعت عند الرّضيّ لتشمل تعليل تحولات البنية الأخرى فيما يخصّ تلك الّتي اصطلح عليها بالمصطلحين السّابقين (أحوال الأبنية ، ولاأبنية ولاأحوال أبنية) ، وقد بدا هذا لي من الرّضي حكماً نظريّاً بخضوع هذه الموضوعات الصّرفيّة لمتطلبات علم

---

(١) الكتاب بين الوصفية والمعيارية : ٣١ .

(٢) ش ش ١/٦ .

(٣) الكتاب : ٤/٤٣٦ ، قال : " وإنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصّفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه ... "

الأصوات في هذا الجانب (وقد سبق في المصطلح (أحوال الأبنية) أن رأيت مرادفته للمصطلح الحديث التغيير الصرفي الصوتي " Morphophoneme اعتماداً على أفكار الرضي)، وهذا الخضوع من قبل الصرف للأصوات أوضحته إحدى الباحثات بقولها " النظام المسيطر غالباً ، هو النظام الصوتي الذي يفرض وجوده ، وملامح مكوناته عند تطبيق قواعد الأنظمة الأخرى وبالذات قواعد النظام الصرفي " (١) .
وقالت أيضاً : " وقد نجد لذلك تفسيراً في تبلور علم الصرفصوتيات ، الذي يهتم بتحليل العوامل الصوتية المؤثرة على التحقيق الفعلي للوحدات الصرفية أو بتعبير آخر يدرس التعديلات الطارئة على الوحدات الصرفية عند الاستخدام في ظل النظام الصوتي لهذه اللغة " (١)

فالبناء ثابت وهو معتبر بالحركات والسكنات قبل الحرف الأخير (على ما يرى الرضي) (٢)، والاحوال هي ما يطرأ على هذا البناء من تغييرات تشمل (الإعلال والإدغام والإبدال والتخفيف والإمالة) .
وأرى أيضاً أن الرضي قد حكم بخضوع علم النحو (التركيب) للمقتضيات الصوتية من خلال اصطلاحه الآخر (لا أبنية ولا أحوال أبنية) لإرتباطه بالحرف الاخير من الكلمة حيث تتنازل الكلمة عن دالتها الوظيفية (الحركة الإعرابية) تحت ضغط الرغبة الصوتية ، سواء أكانت الرغبة مقطعية كما في التقاء الساكنين ، أم تخفيفاً كما في الإدغام أم غيرهما كما في الوقف .
وقد جعلت البحث الثالث في علاقة الأصوات باللهجات والقراءات القرآنية ، لأبين موقف الرضي تجاه سلوك الأصوات في أنساط لغوية أدائية متعددة : اللهجات العربية والقراءات القرآنية اللتين تمثلان مرآة للواقع اللغوي السائد في الجزيرة العربية أبان نزول القرآن الكريم .
ويمكنني بعد هذا أن أقف عند طبيعة التغيرات الصوتية التي تميل إليها لهجة ما أو مجموعة من اللهجات دون غيرها ، ويبدو لي أن الاعتماد على الظواهر العامة في ذلك أكثر مناسبة هنا في هذا البحث الوثيق الإتصال بالجغرافية الصوتية .

---

(١) الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرفع : ٦٠ .

(٢) ينظر: ش ش ١/٥ .

ٱلمبحث ٱلأوّل
علاقة النّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلنّحـــويّ

١ـ ٱلحَرَكَاتُ دالة ٱلمعنى ٱلوظيفيّ (ٱلطّارئ) :

وهي أبرز متعلقات الموقعية الّتي أشار إليها د. تمّام حسّان في كلامه السابــق ٱلذكر ، وهو ٱلأمر ٱلّذي لم يغبْ عن تفكير ٱلرّضيّ من خلال ٱشتراطه ٱلتّركيب كإطـــار تتحرك فيه ٱلحركات لِلقيام بوظيفتها ههنا ، إذ قال : "ٱلتَّرْكِيبُ شَرْطُ حُصُـــولِ مُوجِبِ ٱلإعْرَابِ" (١)، وقال أيضاً : "لِأَنَّ ٱلاسْمَ يَسْتَحِقُّ ٱلإعْرَابَ بَعْدَ تَرْكِيبِهِ مَعَ عَامِلِـــهِ كَمَا تَقَرَّرَ" (٢).

وقد بدا لي الرّضيّ هنا أكثر شموليّة من ٱلمصنّف حينما ٱنتقل من ٱلدّلالات ٱلجزئيّة ٱلّتي أعطاها لِلعلامات ٱلإعرابيّة في ٱلكافية . من نحو ٱلفاعليّة وٱلمفعوليّة ... وغيرهـــا (٣) إلى دلالات كليّة جامعة لِلوظائف ٱلنّحوية بقوله بدلالتها على ٱلعمد وٱلفضلات معانٍ وظيفيّة (كما سيأتي)، ويذهبُ ٱلرّضيّ إلى أنّ ٱلمعاني الوظيفيّة ٱلّتي تحوّيها ٱلعلامات (ٱلحركات وٱلحروف ٱلمدّيّة) معانٍ طارئة على ٱلأسماء، وقد جاءت هذه العلامـــات "لَازِمَة لِلْكَلِمَةِ دَالَّة عَلَى مَعْنَاهَا ٱلطَّارِئِ" (٤)، فٱلمعنى ٱلوظيفي أو ٱلمعنى ٱلطّارئ هو ٱلمعنى ٱلتّحليليّ ٱلّذي "لايُمكن أن يكون معنىً معجميّاً يُلتمس في ٱلقاموس ٱلمحيط مثلاً، ولا دلاليّاً يتطلّب في دراسات الدّلالة Semantics" (٥) كما يقول د. تمّام حسّان ، ويزيد ٱلرّضيّ ٱلأمر وضوحاً بقوله : "وَمِثْلُ هٰذَا ٱلْمَعْنَـــى (يقصد ٱلمعنى ٱلطّارئ على ٱلكلمة) إِنَّمَا يَكُونُ فِي ٱلْاسْمِ، لِأَنَّهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي ٱلْكَـــلَامِ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَ فِيهِ : إِمَّا مَعْنَى كَوْنِهِ عُمْدَةَ ٱلْكَلَامِ ، أَوْ كَوْنِهِ فَضْلَةً فَجُعِلَ عَلَامَتُهُ أَبْعَـــاضَ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ ٱلَّتِي هِيَ أَخَفُّ ٱلْحُرُوفِ أَعْنِي ٱلْحَرَكَاتِ وَجُعِلَتْ فِي بَعْضِ ٱلْأَسْمَاءِ حُـــرُوفَ ٱلْمَـــدِّ" (٦) ، ويبدو لي أنّ ٱلرّضيّ في آخر ٱلنّص يَذهبُ إلى أنّ ٱلأساس ٱلمعتمد فـــي

---

(١) ش ك ١/١٧ ، وينظر: ٱلمفصّل : ٢٤ ، شرح المفصل : ١/٤٩.

(٢) ش ك ١/٣٣ .

(٣) ش ك ١/٢٣ (المتن) يبدو أنّ بروز هذه ٱلنّظريّة كان على يد ٱلزّمخشريّ ومن ٱلممكن جدّاً أنّه ٱستفادها من استعمال محدود جداً لابن جنّي من نحـــو (علم ٱلرّفع) و (علم النّصب) ، ينظر : العلامة الإعرابيّة : ٢٣٦.

(٤) ش ك ١/٢٠.
(٥) القرائن ٱلنّحويّة : ٣٩.
(٦) ش ك ١/٢٠ .

إختيار ٱلدّالة أساس صوتيّ يوذ لك بإشارته إلى كون حروف ٱلمدّ أخفّ الحروف ومعها أبعاضها لطبيعة ٱلحال ٱلمشتركة .

قال الرّضي محدّداً دلالات ٱلعلامات الإعرابيّة : " ٱلرَّفْعُ عَلَمُ كَوْنِ ٱلاْسْمِ عُمْدَةَ ٱلْكَلامِ ، وَلاَ يَكُونُ فِي غَيْرِ ٱلْعُمَدِ ، وَٱلنَّصْبُ عَلَمُ ٱلْفَضْلَةِ فِي ٱلأَصْلِ ثُمَّ يَدْخُلُ فِي ٱلْعُمَدِ تَشْبِيهاً بِٱلْفَضَلاَتِ ... أَمَّا ٱلْجَرُّ فَعَلَمُ ٱلإِضَافَةِ أَيْ كَوْنُ ٱلاْسْمِ مُضَافاً إِلَيْهِ مَعْنًى وَلَفْظاً " (١)

ويعطي الرّضيّ للرفع والنّصب والجر اصطلاحاً يشمل جميع تلك ٱلعلامات إذ قال : " ٱلرَّفْعُ ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ : ٱلضَّمُّ ، وَٱلأَلِفُ ، وَٱلْوَاوُ .. وَٱلنَّصْبُ أَرْبَعَةٌ : ٱلْفَتْحُ وَٱلْكَسْرُ ، وَٱلأَلِفُ ، وَٱلْيَاءُ ... وَٱلْجَرُّ ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ : ٱلْكَسْرُ ، وَٱلْفَتْحُ ، وَٱلْيَاءُ .. " (١) .

ويعتمد ٱلرّضيّ في هذا ٱلجمع على أساس صوتيّ أيضاً ، وهو طبيعة ٱلتّهيئة ٱلمخرجيّة للضّمّ مع حركة ٱلفكّ ٱلأسفل ، يقول ٱلرّضيّ : " وإِنَّمَا قِيلَ لِعَلَمِ ٱلْفَاعِلِ رَفْعٌ لأَنَّكَ إِذَا ضَمَمْتَ ٱلشَّفَتَيْنِ لإِخْرَاجِ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَةِ ٱرْتَفَعَتَا عَنْ مَكَانِهِمَا ، فَٱلرَّفْعُ مِنْ لَوَازِمِ مِثْلِ هٰذَا ٱلضَّمِّ وَتَوَابِعِهِ فَسُمِّيَ حَرَكَةُ ٱلْبِنَاءِ ضَمّاً وَحَرَكَةُ ٱلإِعْرَابِ رَفْعاً ؛ لأَنَّ دَلالَةَ ٱلْحَرَكَةِ عَلَى ٱلْمَعْنَى تَابِعَةٌ لِثُبُوتِ نَفْسِ ٱلْحَرَكَةِ أَوَّلاً ؛ وَكَذٰلِكَ نَصْبُ ٱلْفَمِ تَابِعٌ لِفَتْحِهِ كَأَنَّ ٱلْفَمَ كَانَ شَيْئاً سَاقِطاً ، فَنَصَبْتَهُ ، أَيْ : أَقَمْتَهُ بِفَتْحِكَ إِيَّاهُ ؛ فَسُمِّيَ حَرَكَةُ ٱلْبِنَاءِ ، فَتْحاً ، وَحَرَكَةُ ٱلإِعْرَابِ نَصْباً ، وَأَمَّا جَرُّ ٱلْفَكِّ ٱلأَسْفَلِ ، وَخَفْضِهِ ، فَهُوَ كَكَسْرِ ٱلشَّيْءِ ، إِذا (خطأ : الالف زائدة) ٱلْمَكْسُورُ يَسْقُطُ وَيَهْوِي إِلَى أَسْفَل فَسُمِّيَ حَرَكَةُ ٱلإِعْرَابِ جَرّاً وَخَفْضاً ، وَحَرَكَةُ ٱلْبِنَاءِ كَسْراً ؛ لأَنَّ ٱلأَوَّلَيْنِ أَوْضَحُ ، وَأَظْهَرُ مِنَ ٱلْمَعْنَى ٱلْمَقْصُودِ مِنْ صُورَةِ ٱلْفَمِ مِنَ ٱلثَّالِثِ " (٢) ويشير الرّضيّ إلى وجود ٱلعلامات ٱلسّابقة في بعض ٱلكلمات لكنّها لاتعطي دلالة وظيفيّة ، وذلك عندما تكون تلك ٱلكلمات غير خاضعة لنظام ٱلتّصرف ٱلإعرابيّ ، أي : عند ٱلبناء ، حيث قال : " وَمِنَ ٱلضَّمِّ وَٱلرَّفْعِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهٍ أَمَّا كَوْنُ الرّفع أَعَمَّ فَلِوُقُوعِهِ عَلَى ٱلضَّمِّ ، وَٱلأَلِفِ وَٱلْوَاوِ ، وَأَمَّا كَوْنُهُ أَخَصَّ فَلأَنَّ ٱلضَّمَّ قَدْ يَكُونُ عَلَمَ ٱلْعُمْدَةِ كَمَا فِي (جَاءَ ٱلرَّجُلُ) ، وَقَدْ لاَ يَكُونُ كَمَا فِي حَيْثُ ، وَكَذَا ٱلْكَلاَمُ فِي ٱلنَّصْبِ وَٱلْجَرِّ " (٢) .

وٱلرّضيّ لايقدم هذه ٱلنّظريّة بديلاً عن نظريّة ٱلعامل بل إنّ ٱلإعراب لمّا كان (على حدّ تعبير بعض ٱلباحثين) علامة على ٱلمعاني ٱلنّحويّة وقرينة تميّز بعضها عن بعض

---

(١) ش ك ١ / ٢٤ .

(٢) ش ك ١ / ٢٤ .

وترجعه إلى المحور الذي تنتمي إليه ؛ فإنّ ذلك قد يبدو منافياً لاعتبارهم العوامل سبباً للإعراب ، إلاّ أنّ اعتمادهم العامل لا ينجرّ عنه ثنائية في تعليل الإعراب ؛ إذ ليس العامل في نظرهم سوى مابه يتقوّم المعنى " (١) .

ويقصر الرّضيّ هذه الدّلالات على طائفة خاصّة من الكلمات إذ لا تصلح لغيرها، وتلك الطّائفة هي الأسماء ، قال الرّضيّ : "وَمِثْلُ هٰذَا الْمَعْنَى إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْاسْمِ ، لِأَنَّهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي الْكَلَامِ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَ فِيهِ مَعْنَى كَوْنِهِ عُمْدَةَ الْكَلَامِ أَوْكَوْنِهِ فَضْلَةً " (٢) ، والحركات عند الرّضيّ لمّا كانت أخفّ من حروف المدّ فهي لأجل هذا " الْأَصْلُ فِي الْإِعْرَابِ " (٣) ، ومثلما اعتمد علاقة التّبعيض بينهما للوقوف على وظيفتهما القطعيّة ؛ فإنّه يعتمد هذا المبدأ الصّوتيّ في تعليل إنابة حروف المدّ عن الحركات في العمل كمميّزات نحويّة للمعاني الّتي يمكن أنْ تجمع بها بعض البنى الخاصّة من نحو الأسماء الخمسة والمثنى والجمع المذكر السّالم .

ويحاول الرّضيّ أنْ يربط بين الحركات ومميّزاتها ربطاً صوتيّاً فيعطي أقوى الحركات للأهمّ في تكوين الجمل وهي العمد ، أمّا في البقيّة فيعتمد على مبدأ التّطريز أو التّغاير الصّوتيّ ، يقول الرّضيّ : " جُعِلَ الرَّفْعُ الَّذِي هُوَ أَقْوَى الْحَرَكَاتِ لِلْعُمَدِ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : الْفَاعِلُ وَالْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ ؛ وَجُعِلَ النَّصْبُ لِلْفَضَلَاتِ سَوَاءٌ اقْتَضَاهَا جُزْءُ الْكَلَامِ بِلَا وَاسِطَةٍ كَغَيْرِ الْمَفْعُولِ مَعَهُ مِنَ الْمَفَاعِيلِ وَكَالْحَالِ وَالتَّمْيِيزِ أَوِ اقْتَضَاهَا بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ كَالْمَفْعُولِ مَعَهُ وَالْمُسْتَثْنَى غَيْرِ الْمُفَرَّغِ وَالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَلِي حُرُوفَ الْإِضَافَةِ أَعْنِي حُرُوفَ الْجَرِّ . . . ثُمَّ أُرِيدَ أَنْ يُمَيَّزَ بِعَلَامَةٍ مَا هُوَ فَضْلَةٌ بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنَ الْحَرَكَاتِ غَيْرُ الْكَسْرِ ؛ فَمُيِّزَ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ مَنْصُوبَ الْمَحَلِّ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ " (٤) .

ومن هنا يبدو هذا الرّبط الصّوتيّ محمّلاً ببعض المعايير والقيم الاجتماعيّة .

ويبدو الرّضيّ في القسم الاخير من النّصّ وكأنّه يقدّم لنا المفهوم الحديث للمميّز النّحويّ (٥) ، إذ ارتقى بهذا المفهوم إلى استخدام الألفاظ الاصطلاحيّة الخاصّة كما في قوله : " ثُمَّ أُرِيدَ أَنْ يُمَيَّزَ " و " فَمُيِّزَ بِهِ " .

---

(١) النّظريّة اللّسانيّة والشّعريّة : ٣٢ (بتصرف) .

(٢) ش ك ١ / ٢٠.

(٣) ش ك ١ / ٢٦ ، (بحكم علاقة التّبعيض بينهما، ينظر : صفة المدّ في الفصل الثّاني).

(٤) ش ك ١ / ٢٠.

(٥) في : الألسنية العربية : ٢ / ١٢ ، المميّز النّحويّ : إشارة شكليّة تحدّد بالدّليل المادّيّ الحسيّ العلاقات النّحويّة ، وفي : ٢ / ١٣ : " فالمميّز النّحويّ : رمز في غاية الإيجاز يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس ويصنف المفردة المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النّحو ".

ومن مظاهر علميّة هذه الأفكار ما نجده في الدّرس الحديث من ميل واضح إليها حتّى أنّ بعضهم إدّعاها لنفسه مع أنّ شرح الكافية كان أحد مصادر بحثه (١) ، الّذي قدّم فيه نظريته ، ولم يستطع أن ينتظر إلى مابعد المقدمة لعرضها إذ يقول : " لقد أطلتُ تتبع الكلام ، أبحث عن معانٍ لهذه العلامات الإعرابيّة ، ولقد هدانيـ اللّهُ ـ وله خالص الإخيات والشّكر ـ إلى شيء أراهُ قريباً وأبادر اليك الآنَ بتلخيصه : (١) إنّ الرّفع علمُ الإسناد ... (٢) إنّ الجرعلمُ الإضافة ... (٣) إنّ الفتحة ليست بعلم على إعراب ، ولكنّها الحركة الخفيفة المستحبّةُ ، الّتي يُحبُّ العرب أنْ يختموا بها كلماتهم ... (٤) إنّ علامات الإعراب في الإسم لاتخرجُ عن هذا ..." (٢)

ومع كلّ هذا الجدّ والإجتهاد ، فإنّه لا يتعدّى ما أتى به الزّمخشريّ وتبعه فيه ابنُ الحاجب وما أتى به الرّضيّ الّذي عمل على توسعة أفكارهما وإنضاجها بشكل واضحٍ لتشمل أقسام الكلام العامّة (العمد والفضلات) الّتي لم يشمل بعضها عمل إبراهيم مصطفى ، فهو لم يضع في إعتباره مايدل به على الخبر ، وأسقط دلالة النّصب لقوله : " إنّ الفتحة ليست بعلم على إعراب " مع أنّ طبيعة العمليّة الإستقرائيّة لاتعارض كون الفتحة علامة على شيءٍ محدّد ، يعضّده إرتباط هذه الحركة بأبواب معيّنة مِن أبواب الدّراسة النّحويّة ، فيمكن أنْ يكون بحسب ألفاظ (إحياء النّحو) النّصب علم لِمَا ليس بإسنادٍ ولا مضافاً إليه .

ولا يفوتني أنْ أذكر تفرقة الرّضي لِمَا يحدث هنا من تغيير في أحرف العلّة ومايحدث عند الإعلال ، إذ يقول : " قَوْلُهُ : (لِلتَّخفيف) ، أحْتِرازٌ عَنْ تَغْيير حَرْفِ الْعِلَّةِ فِي الأَسْمَاءِ السِّتَّةِ نَحْو : أَبُوكَ وَأَبَاكَ وَأَبِيكَ ، وفِي الْمُثَنَّى وَجَمْعِ السَّلامَةِ الْمُذَكَّرِ نحو مُسْلِمَانِ وَمُسْلِمَيْنِ ، وَمُسْلِمُونَ وَمُسْلِمِينَ ، فَإنَّ ذلِكَ لِلإعْرَابِ لا لِلتَّخْفِيفِ " (٣) .

---

(١) وهو د. إبراهيم مصطفى في كتابه : إحياء النّحو ، وقد ذكر شرح الكافية في (حاشية ص ٧٣ ، ١٧٤) .

(٢) إحياء النّحو : المقدمة : (و ـ ز) ، وقد تبعه في هذا تلميذه د. مهدي المخزوميّ في النّحو العربيّ : ٦٧ ومابعدها ، وينظر : العربيّة وعلم اللغة البنيوي : ٦٥ ـ ٦٦ ، والعلامة الإعرابيّة : ١٤٤ ومابعدها .

(٣) ش ش ٦٧/٣ .

فالتّغيير الصّوتيّ هنا يعد مقتضى من مقتضيات ٱلنّظام النّحوي، أمّا في ٱلإعلال فهو مقتضى النّظام المقطعيّ (أو التّخفيف) كما بيّنتُ في ٱلإتّجاه ٱلثّالث من ٱلفصل الثّانيّ .

٢ـ ٱلتّنوين علامة ٱلتّمام النّحوي : ٱلتّنوين إحدى ثاني أهمّ الظّواهر ٱلصّوتيّة ٱلموقعيّة ٱلّتي تحدث في مستوى ٱلتّركيب ٱلجمليّ ، يتمّ فيها توظيف صوت ٱلنّون للعمل مميّزاً نحويّاً ؛ ومن ٱلمتعارف في ٱلدّرس ٱلنّحويّ ٱلعربيّ أنّ أبرز وظائفه أنّه يعمل على حصر ٱلكلمات ٱلّتي يلتحق بها في ٱلاسميّة ، وتذكر كتب النّحو دلالات أُخرى لهذا ٱلمميّز، وهي : (١)

١ـ دلالة ٱلتّنكير ،

٢ـ دلالة ٱلتّمكّن ،

٣ـ دلالة ٱلتّعويض عن ٱلمضاف ،

٤ـ وعندما يلحق جمع ٱلإناث فهو للمقابلة مع ٱلنّون في جمع السّلامة ٱلمذكر (وسيأتي رأي الرّضيّ: إنّ هذه ليست من الدّلالات) .

وأُقدّم تصوّر الرّضيّ لطبيعة عمل هذا ٱلمميّز على ٱلشّكل ٱلآتي :ـ

آـ إنّ لِلتّنوين دلالة عامّة يشترك فيها مع نوني ٱلتّثنية وٱلجمع ، وهي دلالة ٱلتّمام النّحوي ، قال الرّضيّ : " ... فَٱلنّونُ فِي جَمْعِ ٱلْمُذَكرِ قَائِمٌ مَقَامَ ٱلتّنوينِ ٱلّتِي فِي ٱلْوَاحِدِ فِي ٱلْمَعْنَى ٱلْجَامِعِ لِأَقْسَامِ ٱلتّنْوِينِ فَقَطْ ، وَهُوَ كَوْنُهُ علامةَ تَمَامِ ٱلِٱسْمِ " (٢) ، ويحدّد الرّضيّ في موضع بعيد ما يقصده من علامة تمام الاسم بأنّه تمام نحويّ حين يقول : " وَمَعْنَى تَمَامِ ٱلِٱسْمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَالَةٍ لا يُمْكِنُ إِضَافَتُهُ مَعَهَا ، وَٱلِٱسْمُ مُسْتَحِيلُ ٱلإضَافَةِ مَعَ ٱلتّنوِينِ وَنُونَيِ ٱلتَّثْنِيَةِ وَٱلْجَمْعِ وَمَعَ ٱلإِضَافَةِ، لِأَنّ ٱلْمُضَافَ لا يُضَافُ ثَانِيَةً " (٣) ؛ فَالتّنوين يشير إلى تمكّن ٱلكلمة في وَظيفتها ٱلنّحويّة وغير مفتقرة فيها إلى ما بعدها ؛ ولهذا فٱلاسم مع ٱلتّنوين مستحيل ٱلإضافة، لأنّ ٱلإضافة إنّما تكون مع ٱفتقار ٱلاسم ؛ فإذا ٱنتفى هذا ٱلافتقار ٱنتفت ٱلإضافة .

---

(١) ينظر: شرح المفصل : ٩/ ٢٩ـ ٣٤، المقتضب: ١/ ١٧ـ ٢٠ .

(٢) ش ك ١/ ١٤ .

(٣) ش ك ١/ ٢١٨ . يبدو أنّ د. غالب المطلبي كان سبّاقاً الى عرض فكرة التمام النحوي عند علماء العربية ، وقد ذكر أسبقية سيبويه الى هذه الفكرة . ينظر بحثه : ظاهرة التنوين في العربية الأصول والوظيفة ، مجلة كلية التربية / الجامعة المستنصرية ، ع ٤/ ١٩٩٥ .

وقد عبّر عن هذه ٱلْفكرة في شرح الشّافية بقوله في ٱلْوقف : " وَٱلتَّنوِينُ كَحَرْفِ ٱلْكَلِمَةِ ٱلأَخِيرِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا عَلَى حَرْفٍ سَاكِنٍ مُفِيدٍ لِلْمَعْنَى فِي ٱلْكَلِمَةِ ٱلْمَتْلُوَّةِ " (١)

ب ـ ٱلدّلالات ٱلْجزئيّة لِلتّنوين : ويقدّمها ٱلرّضيّ على وفق التّصوّر الآتي :ـ

" وَأَمَّا ٱلتَّنوِينُ فَٱخْتَصَّ مِنْ جُمْلَةِ أَقْسَامِهَا ٱلْخَمْسَةِ بِٱلاسْمِ مَالَيْسَ لِلتَّرَنُّمِ ، فَهِيَ إِذَنْ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا لِلتَّنْكِيرِ نَحْوَ : صَهٍ وَمَهٍ وَدَجٍ ، وَسِيبَوَيْهٍ ، قِيلَ : وَيَخْتَصُّ بِالصَّوْتِ، وَاسْمِ ٱلْفِعْلِ ، أَمَّا التَّنْوِينُ فِي نَحْوِ : رُبَّ أَحْمَدٍ وَإِبْرَاهِيمٍ، فَلَيْسَ يَتَمَحَّضُ لِلتَّنْكِيرِ ، بَلْ هُوَ لِلتَّمَكُّنِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ ٱلاسْمَ يَنْصَرِفُ ، وَأَنَا لاأَرَى مَنْعاً مِنْ أَنْ يَكُونَ تَنْوِينٌ وَاحِدٌ لِلتَّمَكُّنِ وَٱلتَّنْكِيرِ مَعاً ، فَرُبَّ حَرْفٍ يُفِيدُ فَائِدَتَيْنِ كَالأَلِفِ وَٱلْوَاوِ فِي مُسْلِمَانِ وَمُسْلِمُونَ ؛ فَنَقُولُ : ٱلتَّنْوِينُ فِي رَجُلٍ يُفِيدُ ٱلتَّنْكِيرَ أَيْضاً ، فَإِذَا سَمَّيْتَ بِالإِسْمِ تَمَحَّضَتْ لِلتَّمَكُّنِ ؛ وَإِنَّمَا ٱخْتَصَّ تَنْوِينُ ٱلتَّنْكِيرِ بِٱلأَسْمَاءِ لِمِثْلِ مَاذَكَرْنَا فِي لَامِ ٱلتَّعْرِيفِ ،

وَثَانِيهَا لِلتَّمَكُّنِ ، وَمَعْنَاهُ كَوْنُ ٱلإِسْمِ مُعْرَباً ،فَلايُمَكَّنُ إِلاَّفِي ٱلإِسْمِ . . . وَإِنَّمَا حُذِفَتْ عَلَامَةُ ٱلإِعْرَابِ مِنْ غَيْرِ ٱلْمُنْصَرِفِ مَعَ كَوْنِهِ مُعْرَباً ؛ لِمُشَابَهَتِهِ لِلْفِعْلِ ٱلَّذِي أَصْلُهُ ٱلْبِنَاءُ ،

وَثَالِثُهَا لِلتَّعْوِيضِ عَنِ ٱلْمُضَافِ إِلَيْهِ كَحِينَئِذٍ ، وَمَرَرْتُ بِكُلٍّ قَائِماً ؛وَسَيَجِيءُ أَنَّ ٱلْمُضَافَ لَايَكُونُ إِلاَّ اسْماً ،

وَرَابِعُهَا لِمُقَابَلَةِ نُونِ جَمْعِ ٱلْمُذَكَّرِ ٱلسَّالِمِ فِي جَمْعِ ٱلْمُؤَنَّثِ ٱلسَّالِمِ نَحْوَ مُسْلِمَاتٍ عَلَى ٱلأَعْرَفِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ،وَلَامَعْنَى لَهُ إِلاَّفِي ٱلإِسْمِ ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا : إِنَّهُ تَنْوِينُ مُقَابَلَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ لِلتَّمَكُّنِ لَمْ تَثْبُتْ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (مِنْ عَرَفَاتٍ) (البقرة ـ ١٩٨) وَلَوْ كَانَتْ لِلتَّنْكِيرِ لَمْ تَثْبُتْ فِي ٱلأَعْلَامِ،وَلَيْسَتْ عِوَضاً عَنِ ٱلْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَا لِلتَّرَنُّمِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّأَنْ يُقَالَ هِيَ فِي جَمْعِ ٱلْمُؤَنَّثِ فِي مُقَابَلَةِ ٱلنُّونِ فِي جَمْعِ ٱلْمُذَكَّرِ ؛لِأَنَّ هٰذَا مَعْنًى مُنَاسِبٌ أَلَا تَرَى إِلى جَعْلِهِمْ نَصْبَ هذَا ٱلْجَمْعِ تَابِعاً لِلْجَرِّكَمَافِي جَمْعِ ٱلْمُذَكَّرِ ". (٢)

وٱلْمهم من هذه ٱلدّلالات دلالتا ٱلتّنكير وٱلتّمكّن؛إذ لهما مقدار غير قليل من ٱلْجدّيّة ٱلْمنهجيّة،وقد جلبتا ٱنتباه ٱلْمحدثين ممّن توقّف عند هذه ٱلظّاهرة (٣)

---

(١) ش ش ٢ / ٢٧٤ .

(٢) ش ك ١ / ١٣ ـ ١٤ .

(٣) ينظر : احياء النحو : ١٦٥ .

وقد بدا أمرهما مع الرّضيّ مثل ذلك فقد توقف عندها وأشار إلى خاصّيّة مهمّة فيهما هي أنّه يُمكن أنْ يُجمع التّنوين هاتين الدّلالتين في السّياق نفسه فلا مانع برأي الرّضيّ من أنْ يكون تنوين واحد ذا دلالتين ويؤكّد نظرته هذه في غير الموضع المذكور سابقاً فيقول : " التَّنْوِينُ فِي كُلِّ اسْمٍ مُتَمَكِّنٍ غَيْرِ عَلَمٍ يُفِيدُ التَّمَكُّنَ وَالتَّنْكِيرَ مَعاً "(١)؛ فإلى كون الاسم متمتّعاً بخاصّية التّصرف الإعرابي؛ يدلّ التّنوين على كونه نكرة ، أي : شَياعَه في أمّته وكَوْنَهُ بعضاً مَجْهُولاً مِنْ جملة .

أمّا في جمع الإناث فإنّ الرّضيّ يرى فيه رأياً آخر غيرَ ماتعارف عليه السّابقون إذْ يقول في (تنوين عرفاتٍ) : " وَالأَوْلَى عِنْدِي أَنْ يُقَالَ : إِنَّ التَّنْوِينَ لِلصَّرْفِ وَالتَّمَكُّنِ "(٢)، فالاسم مستمر في قسم الاسمية على المستفاد من دلالة الصّرف(٣) ، وكذلك فالاسم يمتلك الخاصّية الإعرابية .

٣ـ حَالَةُ الْوَقْفِ : العلاقة بين الوقف والنّحو وطيدة جداً، وقد ربطه الرّضيّ ربطاً واضحاً بالنّحو عندما أخرجه من أنْ يكون من الأبنية أو من أحوالها، فقد جعله مع قسمي الإدغام والتقاء السّاكنين ممّا كان بين كلمتين، فيما اصطلح عليه بـ (لاأبنية ولا أحوال أبنية) (كما مرّ في المصطلحات)، ممّا يعني الربط الواضح مع مستوى التّركيب الجمليّ .

ولابدّ لي أنْ أعرض لمفهوم الرّضيّ من الوقف الّذي اختلف فيه مع ابن الحاجب؛ حيث يقول الرّضيّ عن الوقف : " السُّكُوتُ عَلَى آخِرِ الْكَلِمَةِ مُخْتَاراً لِتَمَامِ الْكَلَامِ " (٤) بينما يقول ابنُ الحاجب : " الْوَقْفُ قَطْعُ الْكَلِمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا "(٥)، ويعني ذلك أنّ الرّضيّ يرتكز في تعريفه على تمام التّركيب، وذلك يعني أكثر التصاقاً بالجانب النّحويّ من كلام ابن الحاجب الذي كما يقول الرّضيّ : " يُوْهِمُ أَنَّهُ لَايَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى كَلِمَةٍ إِلَّا وَبَعْدَهَا شَيْءٌ "(٥)، وذلك يعني أكثر اعتباراً لجانب الأبنية منه لجانب التّركيب .

---

(١) ش ك ٢/١٢٩.

(٢) ش ك ١/١٤ .

(٣) وهو نفسه استعمال سيبويه كما فهم في: نشأة النّحو العربيّ : ١٣٠.

(٤) ش ش ٢/٢٧١.

(٥) الشّافية : ٢٣٣.

ويقرر ٱلرّضيّ أنّ هذه ٱلحالة (أي: حالة ٱلوقف) ذات تأثيرات سلبيّة في ٱلصّوت ٱلأخير وحركته بما تسبّب من خلل بالدّلالة ٱلنّحويّة لعمل ٱلميّزات ٱلنّحويّة (ٱلحركات والتّنوين)وذلك؛ لأنّ ٱلوقف يكونُ موضع ٱلإستراحة وتؤدّي مشارفة هذه ٱلإستراحة إلى إضعافٍ واضح في إخراج ٱلصّوت ٱلأخير في ٱلسّلسلة ٱلصّوتيّة وقد عدّ ٱلرّضيّ حالة ٱلوقف إحدى مواضع ٱلتّغييرات ٱلصّوتيّة؛ لأجل ذلك، ورأى أيضاً أنّ ٱلأواخر هي ٱلمحلّ ٱلّذي يظهر فيه ٱلتّخفيف (١) .

وما يتصوّره ٱلرّضيّ لهذه ٱلحالة قد وافقه عليه ٱلمحدثون عند ملاحظاتهم لمظاهر ٱلتّطورات ٱلصّوتيّة بمختلف أبعادها ؛ من ذلك ما رآه نولدكه (٢) ، من أنّ ظاهرة ٱلوقف قد عجّلت بٱلتّغيير ٱلصّوتيّ ٱلّذي سمح بضياع ظاهرة ٱلإعراب ؛ لأنّ هذه ٱلنّهايات ٱلإعرابيّة تسقط بحسب ٱلإستعمال ٱللّغوي ٱلكلاسيكيّ حينما تكون واقعة في آخر ٱلكلمة ، ويوافقه على ذلك أيضاً فندريس (٣) ؛ إذ يرى أنّ هذه ٱلظّاهرة مظهر من مظاهر ٱلبلى ٱلصّوتيّ ٱلّذي يعمل على ٱختزال طول ٱلكلمة وهدم ٱلإعراب ، وإذا كان ٱلإستحباب ٱلمقطعيّ عند ٱلعرب قد سعى إلى جعل ٱلإسكان مظهراً بارزاً من مظاهر ٱلوقف ؟ فإنّه قد برزت إلى جنب هذا ٱلمظهر مظاهر أخرى يتجلّى فيها بوضوح ٱلميل نحو ٱلحفاظ على ٱلحركة ٱلإعرابيّة حرصاً على بيان ٱلمعنى ٱلوظيفيّ للكلمة ، وتلك ٱلمظاهر هي: ٱلرَّومُ، وٱلإشْمَامُ، وٱلتّضعيف (٤) ، قال ٱلرّضيّ : " ٱعْلَمْ: أنَّ ٱلْمَقْصُودَ بِٱلرَّوْمِ وَٱلإشْمَامِ وَٱلتَّضْعِيفِ ثَلاثَتِهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ بَيَانُ أَنَّ ٱلْحَرْفَ ٱلْمَوْقُوفَ عَلَيْهِ كَانَ مُتَحَرِّكاً فِي ٱلْوَصْلِ بِحَرَكَةٍ إعْرَابِيَّةٍ أَوْ بِنَائِيَّةٍ، فَٱلَّذِي أَشَمَّ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِهَيْئَةِ ٱلْحَرَكَةِ وَٱلَّذِي رَامَ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِصُوَيْتٍ ضَعِيفٍ ؛ فَهُوَ أَقْوَى فِي ٱلتَّنْبِيهِ عَلَى تَحَرُّكِ ٱلْحَرْفِ مِنَ ٱلإشْمَامِ ، وَٱلَّذِي ضَعَّفَ؛ فَهُوَ أقوى تَبْيِيناً لِتَحَرُّكِ ٱلْحَرْفِ فِي ٱلْوَصْلِ مِمَّنْ رَامَ ؛ لأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِٱلْحَرْفِ ، وَذَلِكَ بِبَعْضِ ٱلْحَرَكَةِ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا : إِنَّهُ نَبَّهَ بِتَضْعِيفِ ٱلْحَرْفِ عَلَى كَوْنِهِ مُتَحَرِّكاً فِي ٱلْوَصْلِ ؛ لأَنَّ

---

(١) ينظر: ش ش ٢/ ٢٧٤ ، ٣/ ١٧٤ ، وينظر: سرّ الصّناعة : ١/ ١٧٦ .

(٢) اللغات ٱلسّاميّة: ٨٠ .

(٤) في (أوجه الوقف) ، ينظر: شرح المفصل : ٩/ ٦٧ .

(٣)اللغة : ٤٢٣ .

ٱلْحَرْفَ ٱلْمُضَعَّفَ فِي ٱلْوَصْلِ لَا يَكُونُ إِلَّا مُتَحَرِّكًا ؛ إِذْ لَا يُجْمَعُ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ " (١) .
ويبدو أنّ تدخل ٱلمتطلبات ٱلتعليميّة كان له أثر واضح على ما يبدو في حالة الـــروم وٱلإشمام، وهذه ٱلظاهرة مختلفة ٱلإتّجاهات؛ فبعضها ٱتّجه إلى حركة ٱلأخير، وبعضهــا الآخر ٱتّجه إلى ٱلحرف نفسه .

وأرى أنّ ٱلرضيّ يدعو في ٱلحكم على قوّة هذه ٱلمظاهر إلى ٱلإعتماد على ٱلمعيار ٱلصّحيح ألا وهو مدى تعلّقه ببيان ٱلحركة عند ما أتبع ٱلنصّ ٱلسّابق بقوله :
" هَذَا مَاقِيلَ ؛ وَٱلَّذِي أَرَى أَنَّ ٱلرَّوْمَ أَشَدُّ تَبْيِينًا ؛ لِأَنَّ ٱلتَّضْعِيفَ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُطْلَقِ ٱلْحَرَكَةِ ، وَبِٱلرَّوْمِ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ وَخُصُوصِهَا ، وَأَيْضًا ؛ فَإِنَّ ٱلرَّوْمَ - ٱلَّذِي هُــوَ بَعْضُ ٱلْحَرَكَةِ - أَدَلُّ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ مِنَ ٱلتَّضْعِيفِ ٱلَّذِي يُلَازِمُ ٱلْحَرَكَةَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، أَيْ: فِي حَالِ ٱلْوَصْلِ دُونَ حَالِ ٱلْوَقْفِ " (٢) .
فٱلرّوم بدلالته على ٱلحركة ٱلخاصّة يكون أكثر بيانًا أو قوّة في معرفة الوظيفة ٱلنّحويّـــة لِلكلمة ٱلموقوف عليها مِنَ ٱلتضعيف ٱلّذي يُعطي دلالة تحرّك ٱلحرف ليس إلّا ، وهـــو رأيٌ أكثرُ دقةً من ٱلرّأي ٱلسّابق ٱلّذي نظر إلى مقدار ٱلجهد ٱلمبذول في كلّ حالـــة من هذه ٱلمظاهر ٱلوقفيّة (٣) ، ويبدو لي أنّ كلا ٱلرّأيين قد بيّـن ماقاله ٱلرضيّ فـــي تردّد هذه ٱلمظاهر عند الاستعمال، فكان ٱلأثقل وٱلأقلّ دلالة على ٱلحركة أقـــــــلّ ٱستعمالًا من ٱلباقيين ، يقول ٱلرضيّ : " وَٱلتَّضْعِيفُ أَقَلُّ ٱسْتِعْمَالًا مِنَ ٱلرَّوْمِ وَٱلْإِشْمَامِ ؛ لِأَنَّهُ إِتْيَانٌ بِٱلْحَرْفِ فِي مَوْضِعٍ يُحْذَفُ فِيهِ ٱلحركة ، فَهُوَ تَثْقِيلٌ فِي مَوْضِعِ ٱلتَّخْفِيفِ " (*) .
ويُزاد على هذه ٱلمظاهر مظهرٌ آخر يبرز فيه ٱلميل نحو ٱلحفاظ على بيان ٱلوظيفـــة ٱلنّحويّة ، وهو (ٱلوقف بٱلنّقل) ، قال ٱلرضيّ : " وَهُوَ قَلِيلٌ كَقِلَّةِ ٱلتَّضْعِيفِ ، إِلَّا فِي ٱلْهَمْزَةِ " (٤) ؛ وذلك مراعاةً لطبيعة ٱلهمزة ٱلصّوتيّة، "وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ بَعْـــدَ ٱلسَّاكِنِ كَانَتْ أَخْفَى ؛ لِأَنَّ ٱلسَّاكِنَ خَافٍ ، فَيَكُونُ خَافٍ بَعْدَ خَافٍ ، فَإِذَا حَرَّكْتَ

---

(١) ش ش ٢/٣١٤-٣١٥ ، وينظر: الكشف: ١٢٢/١ .
(٢) ش ش ٢/٣١٥
(٣) والرأي السّابق هو رأي سيبويه ، ينظر: الكتاب : ٤/١٦٨-١٦٩ .
(٤) ش ش ٢/٣٢١، وينظر مجالس ثعلب : (٢/٥٠٣) يكون في الهاء والهمـــزة ؛ لانهما خفيان .
(*) ش ش ٢/٣١٥ .

مَاقَبْلَهَا كَانَ أَبْيَنَ لَهَا "(١) ويقول الرّضيّ أيضاً : " وإِنَّمَا قَلَّ هٰذَا لِتَغْيِيرِ بِنَاءِ الْكَلِمَةِ فِي الظَّاهِرِ بِتَحَرُّكِ الْعَيْنِ السَّاكِنِ مَرَّةً بِالضَّمِّ ، وَمَرَّةً بِالْفَتْحِ ، وَمَرَّةً بِالْكَسْرِ ، وإِنْ كَانَتِ الْحَرَكَاتُ عَارِضَةً ، وأَيْضاً لِاسْتِكْرَاهِ انْتِقَالِ الْإِعْرَابِ الَّذِي حَقُّهُ أَنْ يَكُونَ على الْأَخِيرِ إِلَى الْوَسَطِ ، وإِنَّمَا سَهَّلَ لَهُمْ ذٰلِكَ الْفِرَارُ مِنَ السَّاكِنَيْنِ ، والضَّنُّ بِالْحَرَكَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعْنَى " (٢) .

ويبدو تداخل متطلّبات الأنظمة الثّلاثة (الصّوتيّ والصّرفيّ والنّحويّ) واضحاً في كلامه وقد ترجّحت كفّة الصّوتي والنّحوي هنا بل إنّ الأمر تجاوز إلى تحمّل صعوبة النّطق بالبناء المرفوض (أي : كسرٍ فضمٍ،وضمٍ فكسرٍ) النّاتج عن نقل الحركة بسبب طبيعة صوت الهمزة على ما رأى الرّضيّ،فقال : " ولِكَرَاهَتِهِمْ ذٰلِكَ فِي الْهَمْزَةِ (يَقْصِدُ : خَفَاءَهَا) جَوَّزُوا فِيهَا النَّقْلَ مَعَ الأَدَاءِ إِلَى الْوَزْنِ الْمَرْفُوضِ ، نَحْوَ : هٰذَا الرِّدُوءُ ومِنَ الْبُطِيءِ ، وَلَمْ يُجَوِّزُوا ذٰلِكَ فِي غَيْرِهَا ، فَلَمْ يَقُولُوا : هٰذَا عِدُلٌ ولَا مِنْ قُفِلْ ، بَلْ مَنْ كَانَ يَنْقُلُ فِي نَحْوِ بَكْرٍ إِذَا اتَّفَقَ لَهُ مِثْلُ عِدْل وقُفْل أَتْبَعَ الْعَيْنَ الْفَاءَ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ ، فَيَقُولُ : هٰذَا الْعِدِلُ وَالْقُفُلُ ، وَرَأَيْتُ الْعِدِلَ وَالْقُفُلَ ، وَمَرَرْتُ بِالْعِدِلِ وَالْقُفُلِ " (٣)

وبعدُ ، فإنّ حالة الوقف يبرز فيها غلبة النّظام الصّوتي لِمَا كان من شيوع الإسكان الّذي يعني إهمالاً واضحاً للمميّزات النّحويّة ، قال الرّضيّ : " وَالْإِسْكَانُ أَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ مِنَ الرَّوْمِ وَالْإِشْمَامِ وَالتَّضْعِيفِ وَالنَّقْلِ " (٤) .

ويعلّل الرّضيّ هذا السّلوك بما ينسجم مع الميل نحو الحدّ الأدنى من الجهد ، حيث قال : " وإِنَّمَا حُذِفَ التَّنْوِينُ فِي الرَّفْعِ وَالْجَرِّ ، لِأَنَّكَ قَصَدْتَ كَوْنَ الْكَلِمَةِ فِي الْوَقْفِ أَخَفَّ مِنْهَا فِي الْوَصْلِ ، لِأَنَّ الْوَقْفَ لِلاسْتِرَاحَةِ وَمَحَلُّ التَّخْفِيفِ الْأَوَاخِرُ ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ تَتَثَاقَلُ إِذَا وَصَلْتَ إِلَى آخِرِهَا " (٥) ، ولاجل هذا يتمّ إسقاط التّنوين وإسقاط الحركة من المنوّن في حالة النّصب الّتي يقول فيها : " فَتَخْفِيفُ الْكَلِمَةِ غَايَةَ التَّخْفِيفِ يَحْصُلُ مِنْ حَذْفِ التَّنْوِينِ ، وَذٰلِكَ بِقَلْبِهَا أَلِفاً ، إِذِ الْأَلِفُ أَخَفُّ الْحُرُوفِ ، وَكَذٰلِكَ فِي الْمُثَنَّى ، وجَمْعِ السَّلَامَةِ الْمُذَكَّرِ يَحْصُلُ التَّخْفِيفُ فِيهِمَا بِحَذْفِ حَرَكَةِ النُّونِ فَقَطْ " (٥) .

---

(١) ش ش ٢ / ٣١١ .
(٢) ش ش ٢ / ٣٢١ .
(٣) ش ش ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٤) ش ش ٢ / ٢٧٢ .
(٥) ش ش ٢ / ٢٧٤ .

ٱلْبحث الثّانــي

علاقة النّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام الصّرفــيّ

١ـ ٱلْحَرَكاتُ وٱلْبِنَى ٱلصَّرفيّةُ : إنّ مـا تتمتّع بها ٱلْحروف ٱلصِّحاح في نظام ٱلْكتابة ٱلْعربيّة أمام ضعف موقف ٱلْحركات فيه ، قد يوحي بضعف موقف ٱلأخيرة ٱلْوظيفيّ أيضاً ، لكنّ ٱلْحقيقة ٱلْمدركة عكس ذلك ؛ فهذه ٱلأصوات (ٱلْحركات) تؤدّي وظيفة خطيرة في أكساب ٱلْبِنْية ٱلصَّرفيّة هويتها ٱلّتي تتمايز بها عن غيرها ؛ لأنّ ٱلصّحاح لا تُعطي غير بِنىً كلّيّة ، ذات معانٍ كلّيّة تجريديّة وتأتي ٱلْحركات لتحوّل تلك ٱلْمجردات ٱللّفظيّة إلى مدركات كلامية متعلّقة ؛ ويبدو لي أنّ ٱلرّضيّ قد أدرك خطورة ماتقوم به الحركات هنا ؛ وهذا ٱلإدراك وإنْ تجلّى تطبيقاً في عمليات ٱلاشتقاق إلا أنّنا لانعدم لَهُ موقفاً نظريّاً يتجلّى في بعض مقولاته الّتي كثيراً مايستعمل فيها تعبيرَ "لِلتَّنْبيهِ عَلَى ٱلْبِنْيَةِ " (١) عندما يريد ٱلإشارة إلى وظيفة إحدى ٱلْحركات يعلّل به بقاءها في محالّ تقتضي تغيرها أو سقوطها ؛ ومنه أيضاً قوله : " لِأَنَّ فُعْلاً يَلْبَسُ بِفعْل ، فَجَازَ إبْقَاءُ ٱلضَّمِّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَصْلِ ٱلْبِنْيَةِ وفي غَيْرِهِ لَا يَلْبَسُ بِنْيَةٌ بِبِنْيَةٍ " (٢) ، ويقول أيضاً (مشيراً إلى أثرها في الأوزان الصّرفيّة) : " ٱلْحَرَكَاتُ إذا غُيِّرَتْ تَغَيَّرَ ٱلْوَزْنُ ، وبِإِبْدَالِ ٱلْحَرْفِ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَٱلإِبْقَاءُ عَلَى ٱلْوَزْنِ أَوْلَى " (٣) .

٢ـ ٱلتَّغيير ٱلصّرفيّ ـ ٱلصّوتيّ (Morphphonemic) : أرى أنّ أعمق إدراك لِلعلاقات ٱلصّوتيّة ـ ٱلصّرفيّة وصل إليه الرّضيّ ، وعبّر عنه في وقت مبكر في شرح الشّافية وفي أولى كلماته عن حدّ ابن ٱلْحاجب لِلتّصريف الّذي قال فيه : " ٱلتَّصريفُ عِلْمٌ بِأُصُولٍ تُعْرَفُ بِهَا أَحْوالُ أَبْنِيَةِ ٱلْكَلِمِ ٱلَّتِي لَيْسَتْ بِإعْرَابٍ " (٤) ، فقد قال ٱلرّضيّ : " أَقُولُ : قَوْلُهُ (بِأُصُولٍ) ، يَعْنِي بِهَا ٱلْقَوَانِينَ ٱلْكُلِّيَّةَ ٱلْمُنْطَبِقَةَ عَلَى ٱلْجُزْئِيَّاتِ ، كَقَوْلِهِمْ مَثَلاً : كُلُّ وَاوٍ أَوْ يَاءٍ إذَا تَحَرَّكَتْ وَٱنْفَتَحَ مَاقَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلِفاً ، وَٱلْحَقُّ أَنَّ هذِهِ ٱلأُصُولَ هِيَ ٱلتَّصْرِيفُ ، لَا ٱلْعِلْمُ بِهَا " (٥) .

---

(١) ش ش ١/ ١٠ ، ٨١ ، ٣/ ١٠٠ .
(٢) ش ش ٣/ ١٩٧ .
(٣) ش ش ٣/ ٨٥ ـ ٨٦ .
(٤) ش ش ١/ ١ (المتن) .
(٥) ش ش ١/ ١ ـ ٢ .

إذ إنّ الاصل الّذى ذكره هو أحد ٱلْقواعد ٱلصّوتيّة ٱلّتي تمّ لي رصدها عند دراسة ظاهرة الاعلال ، فٱلتّعريف في حسابات ٱلرّضيّ ماهو إلاّ مجموعة ٱلْقواعد أو ٱلْقوانين ٱلصّوتيّة الّتي تُعطي للبِنَى هيئاتها النّهائيّة ، كما هو واضح في ظاهرة الاعلال ، وعلى ما يكون عليه أحد أنماط ٱلْقواعد التّحويليّة الّتي توجّهت إليها في التمهيد لهذا الفصل .

ولمزيد من ٱلْإحساس بمتانة العلاقة بين ٱلصّوتِ وٱلصَّرف عند الرّضيّ يرجع إلى (مصطلح أحوال ٱلْأبنية ، وٱلْبحث ٱلْخاص بمواضع ٱلدّراسة الصّوتيّة) .

وأزيد على ماسبق ماكان من تغليب ٱلْجانب الصّرفيّ على ٱلاعتبارات الصّوتيّة وذلك فيما يؤدّي ٱلتّغيير ٱلصّوتيّ فيه إلى ٱللّبس ففي نحو كساء ورداء يقول ٱلرّضيّ : " أقول : إنّمَا تُقلبُ ٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ أَلِفاً ثُمَّ هَمْزَةً لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ أَلِفاً لِتَحَرُّكِهِمَا وَٱنْفِتَاحِ مَاقَبْلَهَا ثُمَّ يَجْتَمِعُ ٱلسَّاكِنَانِ ، فَلا يُحْذَفُ ٱلْأَوَّلُ مَعَ كَوْنِهِ مَدَّةً ، لِئَلّا يَلْتَبِسَ بِنَاءٌ بِبِنَاءٍ ، بَلْ يُقْلَبُ ٱلثَّانِي إِلَى حَرْفٍ قَابِلٍ لِلْحَرَكَةِ مُنَاسِبٍ لِلْأَلِفِ ، وَهُوَ ٱلْهَمْزَةُ ، لِكَوْنِهِمَا حَلْقِيَّيْنِ " (١) .

فمقتضى ٱلْقطعيّة أنْ يتمّ ٱلتّخلص من أوّل ٱلسّاكنين إذا كان مدّة ، ولكنّ هذا ٱلمقتضى قد عُطّل لِأَنّ ٱلحذف يُؤدّي إلى ٱللّبْس بِبناء ٱلْمقصور فَقُلب إلى همزة لأجل هذا .

ويربط ٱلرّضيّ هذا بحدود ٱلْبِنْية فيقول : " إِنَّمَا كَانَ لِتَطَرُّفِهِمَا ، إِنِ ٱلآخِرُ مَحَلُّ ٱلتَّغْيِيرِ " (٢) ، وعلى هذا فإنّ ٱلتّغييرات الصّوتيّة لا ينبغي لها أنْ تنتهك خصوصيّات ٱلْبِنَى ٱلصّرفيّة ، وهو اعتبار يراعى في مجمل ٱلتّغييرات الّتي تعتري ٱلْأبنية .

ويوقفنا ٱلرّضيّ على مواضع أخرى يجري فيها تعطيل ٱلْقوانين ٱلصّرفيّة لاعتبارات صوتيّة بحتة من نحو قوله : " إِنَّ ٱلْغَالِبَ أَنْ يُجْمَعَ فَعْل ٱلْمفتوح ٱلْفاء السّاكن ٱلْعين في ٱلْقِلَّةِ عَلَى أفعل ، إلاّ أَنْ يَكُونَ أَجْوَفَ وَاوِيّاً أَوْ يَائِيّاً ، فَإِنَّ ٱلْغَالِبَ فِي قِلَّتِهِ أَفْعَال : كَثُوْبٍ وَأَثْوَابٍ وسوط وأسواط وَبَيْتٍ وَأَبْيَات وشَيْخٍ وَأَشْيَاخٍ ، وَذلك لِأَنَّهم لو قَالُوا فيه أيضاً أفْعُل نحو أسوط ، وأبْيُت لَتَقُلَتِ ٱلضَّمَّةُ عَلَى حَرْفِ ٱلْعِلَّةِ وإِنْ كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ " (٣) وإن وجدنا في بعضها إطراداً للقانون الصّرفيّ فقد جاء أفعُل قليلاً نحو أَقْوُس وأَثْوُب وآيُر وأَعْيُن . (٤) .

---

(١) ش ش ٣ / ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٢) ش ش ٣ / ١٧٤ .
(٣) ش ش ٢ / ٩٠ .
(٤) ش ش ٢ / ٩٠ .

والمسؤول عن هذا كراهيّة التّتابع النّاتج لصوت المدّ المركّب،فيسلك بالبنية سلوكاً يتجنّب فيه هذه .

وفي السّياق نفسه يقدّم الرّضي مثالاً آخر،إذ الغالب في كثرة فَعْل أنْ يكون على فُعُول، وفِعَال ككُعُوب وكِعَاب ... وأمّا الأجوف ،فإنْ كان واويّاً ففُعُول فيه قليل ، والأكثر الفِعَال لاستثقال الضّمّة على الواو في الجمع وبعده الواو ... ولمّا استبدّ الواويّ بأحد الجمعين المذكورين،استبدّ اليائيّ بالآخر،أعني فُعُولاً ، فلم يجئ فيه فِعَال،وأيضاً لوقيل فيه بِيَات كحِيَاض،لالتبس الواويّ باليائيّ (١) ، ويرصد الرّضيّ موضعاً آخريكون فيه الجانب الصّوتيّ عاملاً مهمّاً لإيجاد مجموعة من الصّيغ المهموزة ، وقد كانت ولاعهدلها بالهمز من نحو قائم وقائل وغيرهما ، حيث يقول الرّضيّ :

" وَقَدْ تُقْلَبُ الوَاوُ وَاليَاءُ أَيْضاً قَرِيبَيْنِ مِنَ الطَّرَفِ وَقَبْلَهُمَا أَلِفٌ زَائِدَةٌ أَلِفاً بِشَرْطِ أَنْ يَنْضَمّ إِلَى العِلَّةِ المُقْتَضِيَةِ (٢) لِلانْقِلَابِ مُقْتَضٍ آخَرُ،وذَلِكَ لِضُعْفِ العِلَّةِ ، إِذْ نْ بِسَبَبِ فَصْلِ الأَلِفِ بَيْنَ الوَاوِ وَاليَاءِ وَبَيْنَ الفَتْحَةِ،وبعَدَمِ كَوْنِهما في الطَّرَفِ ، وذَلِكَ المُقْتَضَى، إِمَّا مُشَابَهَةُ الفِعْلِ كَمَا يَجِيءُ وَأَدَاؤُهُ مَعْنَاهُ وَعَمَلَهُ كَمَا في قَائِمٌ وَبَائِعٌ ،وَإِمَّا اكْتِنَافُ حَرْف (الأَصَحّ : حَرْفَيْ) العِلَّةِ لِأَلِفِ الجَمْعِ الأَقْصَى،فَيُسْتَثْقَلُ لِأَجْلِ حَرْفَيِ العِلَّةِ،وكَوْنِ الجَمْعِ أَقْصَى الجُمُوعِ ، وذَلِكَ فِي بَوَائِعَ وَأَوَائِلَ وَعَيَائِلَ فِي جَمْعِ بَائِعَةٍ وَأَوَّلٍ وَعَيِّلٍ " (٣) .

إنّ يتعامل الرّضيّ مع هذه الظّاهرة الصّوتيّة على وفق اعتبارات صرفيّة ، ويجعل الرّضيّ لِلبنى الفِعْليّة وعلمها قوّة تساعد القانون الصّوتيّ في عمله بالبنى الأسميّة عند مشابهتها للفعل،والحقيقة في مثل هذه البنى يمكن أنّ تكون في قول هنري فليش الّذي ذكرته في قرب نهاية الفصل السّابق في ظاهرة الإعلال،حيث يذهب فيه إلى وجود توتر شديد عند إصدار أصوات المدّ،وتتميّز العربيّة بقوّة هذا التّوتر،فيسبب بروز صوت الهمزة في نهاية المدّ،وأزيدُ إليه هنا أنّ هذا البروز يعمل على إسقاط نصف المدّ التّالي،وحلول الهمزة محله .

---

(١) ش ش ٢/ ٩٠ـ ٩١ .

(٢) وهي : تحرّك الواو أو الياء وانفتاح ماقبلها .

(٣) ش ش ٣/ ١٠١ .

وبسبب العلاقة المتبادلة بين النظامين التي يتغلب في معظمها النظام الصوتي، ظهرت بنى متعددة وقفت على الاشارة المفصلة إليها عند دراستي للظواهر التعاملية في الفصل السابق، منها ماكان بسبب الإدغام الذي يحدث بين الصوتين المتقاربين، وماكان من مظاهر المماثلة الأخرى كالمماثلة التناسبية والاتباع، وماكان من المماثلة الجزئية، وحدوث التقريب الصوتي، والتجانس، والإمالة، وقد أدى ذلك إلى بروز أوزان جديدة، قال الرضي (رداً على كلام ابن الحاجب فيما كان من عدم إبدال وزن افتعل عند إبدال التاء): "وهذا مما لا يسلم، بل تقول: اضطرب على وزن افتعل، وفحطط وزنه فعلط، وهراق وزنه هفعل، وفقيبج وزنه فعيلج، فيعبر عن كل الزائد المبدل منه بالبدل، لا بالمبدول منه". (١)

والإدغام هو المسؤول عن وجود أوزان من نحو افّعل وافّاعل التي يتتابع في أولها مثالان، فتجلب الهمزة (الزائدة الصوتية) ليتم النطق بالساكن الأول في المدغم.

وأذكر أيضاً ماكان من عمل المخالفة والقواعد الخاصة بظاهرة الإعلال، وأيضا ماكان من القلب المكاني بوجود بنى مزدوجة.

---

(١) ش ش ١/١٨.

++++++++++
++++++++

ٱلْمبحث ٱلثّالث

علاقة ٱلْأصوات بٱللّهجات وٱلقراءات ٱلْقرآنيــــّــــة

يتمّ ٱلنّظر إلى هذه العلاقة ضمن مجموعة من ٱلظّواهر ويعقبها ٱلخــــــروج بٱلنّتائج في آخر ٱلْفصل.

١ـ ٱلْميلُ إلى ٱلْكسرِ : ومظاهره نجدها متمثّلة في :

آ ـ ٱلْإمالة (وقد سبق مصطلح الإمالة)ويقول ٱلرّضيّ : " وَلَيْسَتِ ٱلْإِمَالَةُ لُغَــــةَ جَمِيعِ ٱلْعَرَبِ ، وَأَهْلُ ٱلْحِجَازِ لَا يُمِيلُونَ ، وَأَشَدُّهُمْ حِرْصاً عَلَيْهَا بَنُو تَمِيــــم "(١)، ويعبّر بعض ٱلْمحدثين عن ٱلصّوت ٱلْممال بـ " صَوْت لين نصف ضيق "(٢) فغير ٱلْحجاز على مايبدو ينطقونَ ٱلْأَلفَ مع رفع ٱلْجزء ٱلْأماميّ من ٱللّســـان إلى مادون نطق ٱلْياء أو ٱلْكسرة .

ب ـ كَسْرِ حَرْفِ ٱلْمُضَارَعَةِ : قالَ الرّضيّ : " وَٱعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ ٱلْعَرَبِ إلاَّ أَهْــــلِ ٱلْحِجَازِ يُجَوِّزُونَ كَسْرَ حَرْفِ ٱلْمُضَارَعَةِ سِوَى ٱلْيَاءِ فِي ٱلثّلَاثِيّ ٱلْمَبْنِي لِلْفَاعِـــلِ ، إِذَا كَانَ مَاضِيًا عَلَى فَعِلٍ بِكَسْرِ ٱلْعَيْنِ ، فَيَقُولُونَ : أَنَا إِعْلَمُ وَنَحْنُ نِعْلَـــمُ ، وَأَنْتَ تِعْلَمُ ، وَكَذَا فِي ٱلْمِثَالِ ٱلْأَجْوَفِ وَٱلنَّاقِصِ وَٱلْمُضَاعَفِ نَحْو: إِيجَلُ وإِخَالُ ، وإِشْقَى ، وإِعَضّ "(٣) ، ومع ٱلْياء لاتكسر إلّا إذا كان ٱلْفاء واواً حتى يتــــمّ ٱلتّخلص منها بقلبها ياءً كما في ييجل وهي لغة جميع ٱلْعرب إلّا ٱلْحجازيين(٤)، وقد وقفتْ بعض الدّراسات على " أنّ ٱلأصل في ٱلصّوت الصّائت من هــــذا ٱلْمقطع هو ٱلْفتح ، ثم اعترى هذا ٱلأصل تطوّر حين مالتْ هذه ٱللّغــــات إلى ٱلْكسر ، بيد أنّ ٱللّهجة ٱلْحجازيّة قد حافظتْ على ٱلْأصل وظلّــــت آثاره جزئيّاً في بعض ٱللّغات ٱلسّاميّة ٱلْأخرى "(٥).

ويعلّل ٱلرّضيّ هذه ٱلظّاهرة تعليلاً صرفيّاً بقوله : " وَإِنَّمَا كُسِرَتْ حُــرُوفُ ٱلْمُضَارَعَةِ تَنْبِيهاً عَلَى كَسْرِ عَيْنِ ٱلْمَاضِي "(٦) وذكر ٱلرّضيّ هذا ٱلسّــلوك

---

(١) ش ش ٣/ ٤ . (*)

(٢) في ٱلْبحث ٱلصّوتيّ : ٧٨ .

(٣) ش ش ١/ ١٤١ ، وعُرفت بتلتلة بهراء ، اللهجات والقراءات : ١١٥ ، وينظـــر مجالس ثعلب : ١/ ٨١ .

(٤) ينظر: ش ش ١/ ١٤١ .

(٥) مقطع المضارعة: ١١٩ (الملخص) .

(٦) ش ش ١/ ١٤١.

منهوباً للسّابقين في بعض ٱلألفاظ هي : إبَىٰ وإحبُّ نحِبّ يحِبُّ تِحِبُّ (١) . ومن غير ٱلثّلاثيّ ، إذ كسروا أيضاً تِستَغفِرُ وتِحْرَنْجِمُ ، يقول الرّضي فيه : " تَنْبِيهًا عَلَى كَسْوِ نِ ٱلْمَاضِي مَكْسُورَ ٱلْأَوّلِ ، وَهُوَ ٱلْهَمْزَةُ " (٢) .

وينسجم مع هذه ٱلظّاهرة ٱختيار بعضِ ٱلْعرب كسر أوّل ٱلْمصغّر من ذوات ٱلْياء نحو نِبيب وشِييخ ، خوفاً على ٱلْياء من ٱنقلابها واواً لضمة ماقبلها ، وتقصّياً من ٱستثقال يـاءٍ بعد ضمةٍ لوبقيتا كذلك ، وهذا كماقيل في ٱلْجمع بِيوت وشِيوخ بكسر ٱلْفاء - وقُرِيء بـه في ٱلْكتاب ٱلْعزيز (٣) ، وقد ذكر ٱلرّضيّ قراءةً ٱنعكست فيها هذه ٱلظّاهرة ، وذلك في قراءة (أَمَّنْ لَا يِهِدِّي) (يونس - ٣٥) بكسر ٱلْياء وٱلْهاء على ٱلإتباع ، ولم ينسبها . (٤)

جـ - وأوردَ طائفة من ٱلْقراءات وٱلاستعمالات ٱللّهجيّة تمثّل ٱلْميل نحو ٱلْكسر ، فذكر ان كسر ميم مِنْذُ و مِنْذُ لغة سليميّة ، (٥) وأيضاً إِيّانَ بكسر ٱلْهمزة ، (٦) وفي (مدّ وعضّ وعزّ) قال ٱلرّضيّ : " مِنْهُمْ مَنْ يُبْقِي عَلَى ٱلْكَسْرِ ، وَهُوَ ٱلْأَصْلُ ، وَهُمْ كَعْبٌ وَغَنِيٌّ ، فَيَقُولُونَ : مُدِّ وَعَضِّ وَعِزِّ " (٧) .

وجاء ٱلْكسر في قراءة (أَلَمِ ٱللّهُ) (آل عمران - ١) وقرأ بها عمرو بن عبيد ، وأجازها ٱلأخفش قياساً لاسماعاً بناءً على أنّ ٱلْحركة لِلسّاكنين ، وليستْ للنقل (٨) وذكر ٱلرّضيّ عن أبي عَمْرو ٱختيارَ ٱلْكسر في ٱلسّاكنين (وهو ٱختيار ٱلْفصحى) في قوله تعالى (عَلَيْهِمِ ٱلذِّلَّةُ) (البقرة - ٦١) و(آل عمران - ١١٢) و(بِهِمِ ٱلْأَسْبَابُ) (البقرة - ١١٦) ، وٱختار غيره ٱلضّمّ ، وسيأتي .

وذكر أيضاً أنّه جاء في ٱلشّواذ (ذَاتَ ٱلْحِبُكِ)(الذّاريات - ٧) بكسر ٱلْحاء وضم ٱلْباء ، وهو لايُسَلِّمُ بمقترح ٱبن جني في تركّب ٱلْحِبُك من ٱلْحِبِك وٱلْحُبُك ، لأنّه يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع فالْحِبِك جمع الحِبَاك والثانية إنْ ثبت فهو مفرد (٩) .

---

(١) ش ش ١/١٤١ - ١٤٢ .
(٢) ش ش ١/١٤٣ .
(٣) ش ش ١/٢٠٩ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٨٥ .
(٥) ش ك ٢/١١٨ .
(٦) ش ك ٢/١٤٦ .
(٧) ش ش ٢/٢٤٣ .
(٨) ش ش ٢/٢٣٦ - ٢٣٧ ، وهي في المصحف : (أَلَمَ . ٱللّهُ ...) (آل عمران ١ - ٢) .
(٩) ش ش ١/٣٨ - ٣٩ .

ومما أورده الرّضيّ ويحمل على هذه الظّاهرة ماجاء في الشّواذ في قوله تعالى : (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ) (البقرة ـ ٢٨٠)إذ قرئت (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسُرِهِ) (١) ، وذكر أيضا قراءة (حتّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ) (٢) (القدر ـ ٥) عن سيبويه بكسر لام مَطْلَع .

د • ومن ظاهرة الميل نحو الكسر مانسبه الرّضيّ من كسر حركة الضّمير حيث قال : " وبعض بني تميم من بني عديّ يحذفون حركة الهاء ويحركون الأوّل بالكسر فيقولون : ضَرَبْتِهْ وأَخَذْتِهْ " (٣) وذلك في الوقف خاصة . وقد نقل عن أبي الخطاب عن ناس من العرب : إدعِهْ واغزِهْ من دعوت وغزوت وقد علّل الرّضيّ هذا السّلوك فقال : " كأنهم سكنوا العين المتحركة بعد حذف اللام للوقف ، توهّماً منهم أنّهم لم يحذفوا شيئاً للوقف كما قلنا في لم أبَلْهُ في الجزم " (٤) واورد ايضا : " إنّ ناساً من بكر من وائل يكسرونها (يعني : الهاء) في الواحد والمثنى والجمعين ، نحو منهِ ومنهِما ومنهِم ومنهِنَّ إتباعاً للكسر " (٥) .

ويبدو واضحاً أنّ ذلك كان بسبب الانسجام الصوتي الّذي عبّر عنه بالاتباع وقد جاء الضمير في نحو لديه وبه باشباع الكسر وهي لغة غير أهل الحجاز ويقول عنها الرّضيّ : " وعلته أنّ الهاء حرف خفيف فهو إذن حاجز غير حصين فكأنّ الواو الساكنة وليت الكسرة او الياء فقلبت ياء وكسرت الهاء لاجل الياء بعدها " (٥) وورد أنّ بعض القراء اختار هذه اللغة اذ قال الرضي : " وابن كثير يصل مطلقاً نحو عليهي ومنهو ونحوها " (٦) وقال أيضاً : " ... عليكمو واليهمي على ماهو قراءة ابن كثير " (٧) .

٢ ـ الميل نحو الضّمّ :

آ ـ أبرز مظاهرها ماكان من النّطق الخاص بأهل الحجاز في (ألف التفخيم) وهو أحد المتفرعات المستحسنة حيث يُنحى فيها بالألف نحو الواو (ينظر ـ الأصوات المتفرّعة) وقال الرّضيّ : " قِيلَ وقُرِئَ فِي الشّواذ :(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبُوا) (البقرة ـ ٢٧٦) بضم الباء " (٧) .

وقد علّق عليها قائلاً : " لَمْ يَغُرَّ هٰذا الْقَارِئَ إلّا كِتَابَتُهُ بِالْوَاوِ " (٧) .

ب ـ وفي حركة الضّمير وقد سبق اختيار بكر من وائل للكسر وهنا فإنّ " أَهْلَ الْحِجَازِ يَضُمُّونَ فِي الْوَاحِدِ وَالْمُثَنَّى وَالْجَمْعِ : لَهُو وغُلَامَيْهُمَا وغُلَامَيْهُنَّ وَغُلَامَيْهُم وَبِغُلَامِهُمَا وَبِغُلَامِهُمْ وَبِغُلَامِهُنَّ ... وَغَيْرُ أَهْلِ الْحِجَازِ يَكْسِرُونَ الْهَاءَ فِي الْمُثَنَّى وَالْجَمْعَيْنِ

---

(١) ش ش ١ / ٧٠ ، وقد اختلف القراء في قراءتها ، ينظر : السبعة : ١٩٢ .

(٢) ش ش ١ / ١٧١ ، وهي في المصحف :(حتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) ، وينظر : الكتاب ٤ / ٩٠ ، وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو ينظر : السبعة : ٦٩٣ .

(٣) ش ش ٢ / ٢٤٨ ، وينظر : ٢ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٩٨ .

(٥) ش ش ٢ / ١٢ .

(٦) ش ك ٢ / ١٢ ، وينظر اختياره هذا في السبعة : ١٣٢ .

(٧) ش ش ٢ / ٢٧٨ .

(٨) ش ش ١ / ٣٩ .

مُطْلَقاً،وهُوَ ٱلأَشْهَرُ "(١)،وذكر أنّ ٱلْحجاز تقول بالإشباع بِهُو ولَه يهُو وغيرهم يكسرونها (٢)،وذكر ٱلرّضيّ أيضاً أنّ قارِيء ٱلْكوفة حمزة يَخُصّ ضمّ ٱلْهاء في جمع ٱلْمذكر ثلاث كلمات(عَلَيْهِمُ وإِلَيْهِمْ وَلَدَيْهِمْ)،وهو سلوك حاول بعض ٱلْعلماء تعليله بأنّ أصل ٱلْياء ٱلف،وردّ ٱلرّضيّ بأنّه لوكان ٱلأمركذلك لقرأ في ٱلْواحد،وٱلْمثنّى وٱلْجمع أي: (عليهُ وعليهُما وعليهُن)،وبحسب ٱعتقاد ٱلرّضيّ فإنّه لم يقرأ بذلك إلّا اتّباعا للأثر (١).

جـ ـ أورد ٱلرّضيّ عن حمزة في ٱلْتقاء السّاكنين الضّمّ في (عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ)(البقرة-٢٤٦)،النساء ٧٧)،وقد ٱختاره بعض ٱلْقرّاء في قوله تعالى: (بِهِمُ ٱلأَسْبَابُ) (ٱلْبقرة-١٦٦)،و(عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ)(٣)،وجاءَ أيضاً في (مِنْ دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ) (ٱلْقصص ـ ٢٣)(١)، و(قُمُ ٱللَّيْلَ) (ٱلْمزمّل ـ ٢) (٤).

د ـ وجاء في بعض الشّواذ قوله تعالى:(تُرْزَقَانُه)(يونس ـ ٣٧)(٥)،و(أَتَعِدَانُنِي) (الاحقاف ـ ١٧) (٦)،بضمّ نون ٱلْمثنّى في ٱلْفعل،وتقول هذيل:ٱللّذُونَ في ٱلرّفع (٧)،وقرئ في قوله تعالى :(ذُرِّيَّةً ضِعَافاً)(ٱلنّساء ـ ٩)،ضُعافى،وضَعافى، أورد ذلك عن ٱلْكشاف (٨)،وممّا ذكره أنّ تميماً تقول (أَمْسُ) رَفْعاً (٩)؛

٣ـ ٱلْميلُ نحو ٱلْفتح :

آ ـ ٱلْفتح ٱختيار ٱلْحجاز مقابلة مع ٱلإمالة عند غيرهم وأبرزهم تميم (١٠).

ب ـ وفي ٱلتقاء ٱلسّاكنين قُرِيء في ٱلشّواذ (قُمَ ٱللَّيْلَ)(المزمل ـ ٢) بفتح ٱلْميم،

---

(١) ش ك ٢/١٢.
(٢) ش ك ٢/١١.
(٣) ش ش ٢/٢٤٢
(٤) ش ش ٢/٢٣٨ و ٢٤٢ .
(٥) ش ك ٢/١٧٣ .
(٦) ش ك ٢/٢٣٠.
(٧) ش ك ٢/٤٠.
(٨) ش ش ٢/١٧٥.
(٩) ش ك ٢/٦٦و ١٤٤.
(١٠) ش ش ٣/٤ .

وقرأ الْكسائيّ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)(الفاتحة - ١-٢) (١).

جـ - وذكر الرضي قراءات أخرى تفضل الفتح على غيره وهي:

" قَرَأَ الْحَسَنُ (وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ)(الْبقرة - ٢٠٥) بِفَتْحِ اللَّامِ شَاذٌّ " (٢) وقد " قُرِئَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) (طه - ٨١) عَلَى الْوَجْهَيْنِ " (٣) وذلك لكون مضارعه على الوجهين كما يرى الرضي، وقُرِئَ أيضاً: (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ) و (يُدَافِعُ)(الحج - ٣٨) (٤)، وجاء على لغة بني الْحرث بن كعب الآية: (إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) (طه - ٦٣)، وذكر الشّاهد: (إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا...) (٥)، وأورد الرّضيّ القراءة بالفتح والكسر في قوله تعالى: (فَنِعِمَّا هِيَ) (البقرة - ٢٧١)، وأيضاً ما قرأ به يحيى بن وثّاب في الشّاذ: (نَعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)(الرّعد - ٢٤) بفتح الفاء وسكون العين (٦).

ومنها أن سعيداً بن جبير قرأ: (أَلَا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) (الْفرقان - ٢٠)، وكذا قُرئ في الشّواذ: (أَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الانفال - ٤٢) بالْفتح (٧).

ومّما أورده بفتح الْهمزة قراءتنا قوله تعالى: (إِنْ تَضِلَّ) (الْبقرة - ٢٨٢) فقد قرأ بفتح الْهمزة وبكسرها فقال الرّضيّ: " وَقَدْ قَالُوا: إِنَّهَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ: أَيْ بِمَعْنَى الشرط (٨).

ومنها ما ذكره في قوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَى) (البقرة - ٨٣) فيمن قرأ بالألف (٩)، وقد سبق في الاية (ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) ذكر قراءة ضَعافى.

د - ذكر الرّضي أنّ قَلَى يَقْلَى عامريّة ضعيفة، أمّا قَلِيَ يَقْلَى - كَعِبَ، يَتْعَب - فيمكن أنْ يكون متداخلاً، وأنْ يكون طائيّاً، لأنّهم يجوّزون قلب الْياء ألفاً في كلّ ما آخره ياء مفتوحة فتحةً غير إعرابيّة مكسور ماقبلها نحو بَقَى في بَقِيَ ودَعَى في دُعِيَ وناصاة في ناصية (٢)، وقد فصّل بعضهم في يَوْجل أن يُقلب الواو ياءً (أي: يَيْجَل) " وَآخَرِينَ يُفَضِّلُوا (كذا) الْفَتْحَ فَيَقْلِبُونَهَا أَلِفاً، وَهِيَ لُغَةٌ فِي كُلِّ مِثَالٍ وَاوِيٍّ وَهِيَ قَلِيلَةٌ " (١٠).

---

(١) ش ش ٢/٢٣٨.
(٢) ش ش ١/١٢٥.
(٣) ش ش ١/١٨٢.
(٤) ش ش ١/٩٩.
(٥) ش ك ٢/١٧٢.
(٦) ش ش ٢/٣١٢.
(٧) ش ك ٢/٣٥١.
(٨) ش ك ١/٢٥٣.
(٩) ش ك ٢/٢١٩.
(١٠) ش ش ١/١٤١.

٤ـ ٱلتَّخفيف : وهي عمليّة أسقاط حركة عين ٱلكلمة وعلى ٱلأغلب تكون هذه ٱلحركة كسرةً أو ضمّةً ؛ إذ إنّه ورد في قليل من أمثلتها سقوط الفتحة ؛ وسقوط هذه ٱلحركة كما يرى يعتمد على مبدأ ٱلتّحقيق ٱلنّطقي،ويرى رابين (١) ،أنّ سقوط هاتين ٱلحركتين يعود لأسباب نبريّة نتيجة ضعف ٱلنّبر عليهما ؛ وذلك مما تميّزت به تميم عن ٱلحجاز،وقد توصّل د. إبراهيم أنيس (٢) في بحث له عن صيغة ٱلأسم ٱلثّلاثيّ ٱلمجرّد،وبأعتماد نظرة تاريخيّة مقارنة : أنّ الأصل هو ٱلسّكون،وأنّ ٱلمتحرّكة هي صيغ حديثة،وهي نتيجة مخالفة (٢) لتصوّرات جميع علماء ٱللغة ٱلعربيّة ومنهم ٱلرّضيّ .

وقد أورد الرّضيّ من أمثلة هذا السّلوك ما يأتي :

١ـ تتابع ضمّتين : بُـزُل (٣) وحُرُف مخفف عند تميم ،ودُهُن يجوز أن يخفف عند بني تميم كما في عُنُق (٤)، وفي قُذُل وقُدُن "إنَّ شئْتَ خَفَّفْتَهُ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ بِإِسْكَانِ ٱلْعَيْنِ " (٥)،وقال الرّضيّ : " وَلِتَوَالِي ٱلثِّقْلَيْنِ أَيْضاً خَفَّفُوا نَحْوَ عُنُقٍ وَإِبِلٍ بِتَسْكِينِ ٱلْحَرْفِ ٱلثَّانِي فِيهِمَا ، وَهَذَا ٱلتَّخْفِيفُ فِي نَحْوِ عُنُقٍ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي إِبِلٍ ،لِأَنَّ ٱلضَّمَّتَيْنِ أَثْقَلُ مِنَ ٱلْكَسْرَتَيْنِ حَتَّى جَاءَ فِي ٱلْكِتَابِ ٱلْعَزِيزِ وَهُوَ حِجَازِيٌّ رُسْلَنَا وَرُسْلَهُم ،وَهُوَ فِي ٱلْجَمْعِ أَوْلَى مِنْهُ فِي ٱلْمُفْرَدِ لِثِقَلِ ٱلْجَمْعِ مَعنىً " (٦)

وفي بُيُض يُخفف أيضاً على ما ذكر ٱلرّضيّ ٱلذي أعقب ذلك بقوله : " مَنْ خَفَّفَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَسَرَ ٱلضَّمَّ لِتَسْلَمَ ٱلْيَاءُ،فَتَقُولُ عَيْنَ مَا قَالُوا : بِيضٌ فِي جَمْعِ أَبْيَضَ " (٧) ،وفي (ذُبّ) قال : " أَصْلُهُ ذُبُبٌ ،وَٱلْإِدْغَامُ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِ بَنِي تَمِيمٍ فِي تَخْفِيفِ نَحْوِ عُنُقٍ،وَإِلَّا فَحَقُّ فُعُلٍ أَنْ لَا يُدْغَمَ " (٨) ،

فسقوط ٱلحركة ٱلثّانية يسمح بإمكانيّة ضياع ٱلحدود ٱلفاصلة بين ٱلصّوتين فيرفع بهما رفعةً واحدة .

---

(١) ينظر:اللهجات العربية الغربية : ١٧٥و ١٧٦.

(٢) عن :أثر القراءات : ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٣) ش ش ٢/ ١٥٧.

(٤) ش ش ٢/ ٩١.

(٥) ش ش ٢/ ١٢٥.

(٦) ش ش ١/ ٤٤.

(٧) ش ش ٢/ ١٢٨.

(٨) ش ش ٢/ ١٢٩.

٢ـ تتابع كسرتين : ذكر ٱلرّضيّ هذا ٱلسّلوك في نحو إِبِل غير أنّ تتابع ٱلكسرتين أخفّ من تتابع ٱلضّمتين (وقد سبق) .

٣ـ تتابع (فتحة وكسرة ،فتحة وضمة ،ضمة وكسرة ،كسرة وفتحة) .

قال الرّضي في ٱنطلق ولم يَلْدَهُ : " شَبَّه طَلِقَ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ ،فَسَكَّنَ ٱللّامَ .. وَكَذَا ٱلْكَلَامُ فِي لَمْ يَلْدَهُ " (١) ،وفي نحو عَضُد قال الرّضيّ : " قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مِثْلَهُ يَجُوزُ عِنْدَ تَمِيمٍ فِي ٱلْفِعْلِ أَيْضاً نَحْوُ كَرْمَ ٱلرَّجُلُ فِي كَرُمَ " (٢)

وممّا ذكره لهذه ٱلظّاهرة ٱلمثل : لَمْ يُحْرَمْ مَنْ فُصْدَ لَهُ ،وقال أبو النّجم وهو تميميٌّ :

لَوْ عُصْرَ مِنْهُ ٱلْمِسْكُ وَٱلْبَانُ ٱنْعَصَرْ .

وكذا قولهم غُزْيَ بالياء دون ٱلواو في غُزِي لعروض سكون ٱلزّاي ،فليس ٱلتّخفيف في مثله لكراهة ٱلانتقال من الأخف إلى ٱلأثقل كما كان في كَتِف وعَضُد ،كيف وٱلكسرة أخفّ من الضّمّة وٱلفتحة أخفّ من ٱلكسرة ،بل إنّما سكن كراهة توالي ٱلثّقلين في ٱلثّلاثي ٱلمبني على ٱلخفّة ، فسكن ٱلثّاني ، لامتناع تسكين الأوّل ،ولأنّ ٱلثّقل من ٱلثّاني حصل ،لأنّه لأجل التّوالي .(٣)

ويرى الرّضيّ أنّ ٱلبنية ٱلأوّليّة ل (وَدّ) هي وَتِد ،إذ قال : " وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ وَدٌّ فِي وَتِدٍ ، خَفَّفَهُ بَنُو تَمِيمٍ بِحَذْفِ كسرة التّاءِ ،وَلَمْ يَجُزْ فِي لُغَتِهِمْ ،وَقَدْ بِسُكُونِ ٱلتّاءُ مُظْهَرَة " (٤)،وقال (معلّقاً على قول ٱبن ٱلحاجب ،وقد جاء وَدٌّ في تميم) : " أَيْ : فِي لُغَةِ تَمِيمٍ ،وَهِيَ إِسْكَانُ كَسْرَةِ عَيْنِ فَعِلٍ نحو كَبْدٍ في كَبِدٍ " (٥)

ومنها أيضاً قوله : " وَإِنَّمَا جُمِعَ مَعِدَة وَنَقِمَة على فِعَل بِكَسْرِ ٱلْفَاءِ وَفَتْحِ ٱلْعَيْنِ ،لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِيهِمَا عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ وَغَيْرِهِمْ مِعْدَة وَنِقْمَة كَكِسْرَة

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٨ .

(٢) ش ش ١ / ٤٢ .

(٣) ش ش ١ / ٤٣ـ ٤٤ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٦٨ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٦٩ .

نحو كِتْف في كَتِفٍ " (١) ، وفي " نَحْوِ كَلِمَةٍ وخَلِفَة فَلَا يَجيءُ عَلَى وَزْنِ كِسْرة إلّا عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ " (١) .

ومن مظاهر انعكاس هذه الظاهرة على المستوى القرائي ما ذكره من قوله : " قُرِئ في الشَّواذِ : (أَنْ يُمِلَّ هُوَ) (البقرة ـ ٢٨٢) فَجَعَلَ لَهُوَ كَعَضُد وَهُوَ قَبِيحٌ ... " (٢)

ويبرز هذا أنّ هذه الظاهرة لاتخضع للبنية المفردة بل لمستوى سياقيّ أوسع وهو بين كلمتين، إذن فالتتابع الصوتيّ هو المسؤول عن هذا السقوط للأبنية .

وذكر الرضيّ أيضاً (وهو ماينطبق عليه الكلام السابق) إنّ الكسائيّ وغيره قرأ (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم) (الحج ـ ٢٩) بإسكان لام الأمر " وَاسْتَقْبَحَ ذَلِكَ الْبَصْرِيُّونَ " (٣)

ومنه أيضاً قال الرضيّ : " وَقَدْ شُبِّهَ بِفَعِلِ المَفْتُوحِ الفَاءِ المَكْسُورِ العَيْنِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ : وَلْيَضْرِبْ وفَلْتَضْرِب ـ أعني وَاوَ العطفِ وفَاءَهُ مَعَ لامِ الأَمْرِ وحَرْفِ المُضَارَعَةِ ـ وذلك لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ـ وقُرِئَ بِهِ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ ، وَشُبِّهَ بِهِ نَحْوَ : ثُمَّ لْيَفْعَلْ، وهُوَ أَقَلُّ .. وَكَذَا شُبِّهَ بِفَعُل فَعِلَ قولهم : فَهْوَ وفَهْيَ وَوَهْوَ وَوَهْيَ وَلَهْوَ وَلَهْيَ لِمَاقُلْنَا فِي وَلْيَفْعَل ، وكَذَا أَهْوَ وَأَهْيَ ... " (٤) ، وجاء عليه قوله تعالى : (وَلْيُوفُوا) (الحج ـ ٢٩) (٥) .

وقد أورد الرضيّ طائفة أخرى من الألفاظ التي بأن فيها السلوك الصوتيّ المتبع مع الثلاثي فقد جاء قولهم : أراك مُنْتَفْخاً ، وقال الشاعر :

فَبَاتَ مُنْتَصْباً وَمَاتَكَرْدَسا (٦) .

وجاء في جمع الإناث على مايقول الرضيّ، إنّ : " أَهْلُ الْحِجَازِ يَعْدِلُونَ مِنْ حَرَكَةِ الْوَسَطِ إلى السُّكون لئلا يكون إزالة ثِقَلٍ بِثِقَلٍ آخرَ هي الفُصْحَى " (٧) ، وذلك في الجمع الأجوف الذي قال عنه : " وتَفْتَحُ هُذَيْلُ العَيْنَ المُعْتَلَّةَ كَجَوَزَاتٍ وَبَيَضَاتٍ ... وقُرِئَ فِي الشَّوَاذِ (ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ) (النور ـ ٥٨) " (٨) .

---

(١) ش ش ٢ / ١٠٨ .
(٢) (٣) ش ش ٢ / ٢٧٠ .
(٤) ش ش ١ / ٤٤ ـ ٤٥ وينظر ش ش ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
(٥) ش ش ٢ / ٢٦٩ .
(٦) ش ش ١ / ٤٥ .
(٧) شك ٢ / ١٨٩ .
(٨) شك ٣ / ١٨٩

وروى الرّضي أنّ ذلك فعل تميم (١) هذه الألفاظ وقد جاء رَضَات (٢) أيضاً وعلّل هذا السّلوك بخفة الفتحة على حرف العلّة وبكونها عارضة .

٥- الإدغام (إدغام المتماثلين) :

آ- ذكر الرّضيّ أنّ لغة الحجاز: لَمْ يَكْعَعْ فِي تكعّ وتكعٌّ وبالكسر أشهر وقال : " وَمَنْ فتح فلأنّها قَدْ تتحرّكُ فِي لُغَةِ أهلِ الحِجازِ ، نَحْوَ : لَمْ يَكْعَعْ " (٣)
ويقولون أيضاً في الأمر والجزم : ارْدُدْ ولَمْ يَرْدُدْ بفكّ الإدغام بينما تقول تميم : لَمْ يَرُدَّ ورُدَّ، وجاء على لغة تميم في القرآن الكريم قوله تعالى : (لاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ) (البقرة - ٢٨٢) ويعتقد الرّضيّ أنّ تميماً لم يعتدّوا بالإسكان أو جعلوا الثّاني كالمتحرّك وسكّنوا الأوّل للإدغام والتقى ساكنان فلو حرّك الأوّل لنقض الغرض " (٤) .

ب - عند تميم رُدَّ وعَضَّ وفَرَّ يجب الادغام (٥) وكذا في ذُبَّ (٦) ووَدَّ (٧) .

جـ - وافق التميميون الحجازيين على ما ذكر الرّضيّ في رَدَدْتُ ورَدَدْنا ورَدَدْنَ وذلك للزوم سكون الثّاني وزعم الخليل أنّ أناساً من بكر بن وائل وغيرهم يقولون : رَدَّنَ ورَدَّنَ وكذا رَدَّتُ في عروض الضّمائر ويحرّكون بالفتح للسّاكنين ، ولكن هذه اللغة لا تروق كما يبدو للسّيرافيّ الذي ذكر عنه الرّضيّ : " هذه لُغَةٌ رَدِيئَةٌ فَاشِيَةٌ فِي عَوامِ أَهْلِ بَغْدَادَ " (٨) .
وزاد بعضهم ألفاً بعد الإدغام فيقول : رَدّاتُ ورَدّانَ ليبقى ماقبل هذه الضّمائر ساكناً كما في غير المدغم على ما يرى الرّضيّ .

د - وأورد الرّضيّ في إدغام المتماثلين قراءة أبي عمرو (شَهْرُرَمَضَانَ) (البقرة - ١٨٥) و (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ) (الأعراف - ٩٩) ولكنّ الرّضيّ يذهب فيه إلى أنّه إخفاء لا إدغام (٩) .

---

(١) ش ش ٣ / ١١٠ .
(٢) ش ك ٢ / ١٩٠ .
(٣) ش ش ١ / ١٣٤ .
(٤) ش ش ٢ / ٢٣٩ .
(٥) ش ش ٣ / ٢٨٤ .
(٦) ش ش ٢ / ١٢٩
(٧) ش ش ٣ / ٢٦٨ .
(٨) ش ش ٢ / ٢٤٦ .
(٩) ينظر ش ش ٣ / ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ومصطلح الاخفاء .

هـ ـ ويذكر ٱلرّضيّ سلوكاً آخرفي هذا ٱلإدغام حيث يقول : " جاءَ في لغةِ سُلَيْـــم قَليلاً ـ وَرُبَّمَا ٱسْتَعْمَلَهُ غيرُهُمْ ـ حَذْفُ ٱلْعَيْنِ في مِثْلِهِ أيضا،وذلِكَ لِكَرَاهَتِهِـــم ٱجْتِمَاعَ ٱلْمِثْلَيْنِ،فحَذَفُوا مَاحَقُّهُ ٱلإدْغَامَ ـ أَعْني أَوَّلَ ٱلْمِثْلَيْنِ فتَعَذَّرَ ٱلإدْغَـــامُ فَإنْ كَانَ مَاقَبْلَ ٱلأَوَّلِ سَاكِناً أَوْجَبُوا نَقْلَ حَرَكَةِ ٱلأَوَّلِ إليْهِ ،نَحْوَ: أَحَسْنَ،وَيُحِسْنُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب ـ ٣٣) عَلَى أَحَدِ ٱلْوُجُـــوهِ، وإنْ كَانَ مُتَحَرِّكاً جَازَ حَذْفُ حَرَكَةِ ٱلأَوَّلِ،وَنَقْلُهَا إلى مَاقَبْلَهُ،إنْ كَانَتْ كَسْرَةً أَوْضَمَّةً قَالُوا: ظِلْتُ بِفَتْحِ ٱلْفَاءِ وَكَسْرِهَا ـ وَكَذَا لَبُبْتُ وَلُبْتُ ـ بِفَتْحِ ٱلْفَاءِ وَضَمِّهَـــا، وَذَلِكَ لِبَيَانِ وَزْنِ ٱلْفِعْلِ كَمَا بَيَّنَّا في ضَمُوقُلْتُ وَكَسْرِهِ بِعْتُ "[١]،ولاحظ ٱلرّضـــيّ أنّ هذا ٱلحذف يكون في ٱلماضي أكثرمنه في ٱلمضارع وٱلأمر .

٦ ـ ٱلمُمَاثلة ٱلصّوتيّـــة : وتدرج مظاهرها تحت ما يأتي :

آ ـ إدغام ٱلمتقاربَيْن : ولتحليل مظاهرها عند الرّضيّ صَنَعْتُ ٱلجدول الآتي :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٤٥ .

جدول رقم (٧) لحالات ٱلإدغام في ٱللهجـــــات

ينظر لحالات الادغام؛ ش ش ٣ /٢٦٤-٢٩٢.

	حالات ٱلإدغام	المخرج −	المخرج +	الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة التفصيلية	الملاحظـــات
٠١	ح > ع	حلقيّ	حلقيّ	+	−				أبو عمرو (فَمَنْ زُحْزِح عَّن ٱلنَّارِ)(آل عمران ١٨٥
٠٢	ج > ت	غاريّ	اسنانيّ ـ لثويّ	−	+				أبوعمرو (ذِي ٱلْمَعَارِج تَّعْرُجُ)(ٱلْمعارج ٤
٠٣	ش > س	غاريّ	أسنانيّ لثويّ					− تفشي + صفير	أبوعمرو: (ذِي ٱلْعَرْش سَّبِيلاً) (الأسراء ٤ قال الرّضيّ: الصّوتان من حروف التفشي وٱلصّوت.
٠٤	س > ش	أسنانيّ لثويّ	غاريّ					− صفير + تفشي	أبوعمرو : (ٱلرَّأْس شَّيْباً) (مريم ـ ٤)
٠٥	ض > ش	بين أضراسيّ	غاريّ	−	+			− إطباق	قراءة (لِبَعْض شَّأْنِهِمْ) (النور : ١٢
٠٦	ر > ل	لثويّ	لثويّ					− تكرير	قراءة (ٱغْفِر لِّي)(ابراهيم ـ ٤١)
٠٧	ط > ت	اسنانيّ لثويّ	اسنانيّ ـ لثويّ					− إطباق	بعض العرب : حطتهم > حتّهم
٠٨	ت > ج	أسنانيّ لثويّ	غاريّ	+	−				قراءة (وَجَبَت جُّنُوبُها) (الحج: ٣٦
٠٩	ف > ب	شفويّ أسنانيّ	شفويّ	+	−			التأفيف	قراءة (نَخْسِف بِّهِم) (سبأ : ٩)
١٠	ت > د	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ ـ لثويّ	+	−				بعضهم (عُدُّه ، جدتُ > جدُّ ، تميم : ودٌّ أصلها وَتْدٌ .
١١	ت > ط	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ لثويّ					+ إطباق	في : خَبَطّه حمزة (اسطَّاع) (آل عمران : ٩٧)
١٢	ت > ص	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ ـ لثويّ			−	+	+ إطباق	ٱصَّبَرَ شاذ
١٣	ت > ض	أسنانيّ لثويّ	بين أضراسيّ	+	−	−	+	+ إطباق + استطالة	اضَّرب
١٤	ض > ط	بين أضراسيّ	أسنانيّ ـ لثويّ	−	+	+	−	− استطالة	قال بعضهم : مطّجع في مضطجع.
١٥	ظ > ط	أسنانيّ	أسنانيّ ـ لثويّ	−	+	+	−		حفظتُ > حفظطُ > حفطُّ .

ملاحظات حول جدول حالات ٱلإدغام في ٱللهجات

(١) ٱلتّنازل عن صفة ٱلجهر بلغ (٢٨٪)، وعن ٱلهمس (٣ر٣٣٪) من مجموع ٱلحالات ٱلبالغ (١٥) حالةً ، أمّا صفتا ٱلشّدّة وٱلرّخاوة فقد بلغ ٱلتّنازل نسبة طفيفة إذ لكلّ منهما (٣ر١٪) .

وهذا يؤدّي إلى ٱلقول : إنّ نظام ٱلتّمايز يعتمد عند ٱلأداء على صفتي ٱلشّدّة وٱلرّخاوة أكثر ممّا يعتمد على صفتي ٱلجهر والهمس .

(٢) ٱلتّنازل ٱلواضح عن صفات ٱلفضيلة (ٱلتّفشي ، وٱلصّفير وٱلإستطالة ، وٱلتّكرير وٱلإطباق ، وٱلتّأنيف) ؛ إذْ وصل إلى (٥٠٪) من مجمل ٱلحالات ، وهذا يبرز هو ان هذه ٱلصّفات في تمايز أصواتها عند متكلمي ٱللهجات عند ٱلأداء .

(٣) وجود حالات إدغام وبين ٱلصّوتين تباعد مخرجيّ كما في : (ج > ت ، ش > س س > ش ، ت > ج) ويبدو أنّ ٱلصّفة ٱلمشتركة قد قامت بمهامه ، وأزيد على حالتيّ ٱلتّبادل في (ٱلسّين والشّين) أنّه يُمكن تبرير حدوثهما بٱمتداد منطقة التّفشي إلى ٱلمخرج (ٱلأسنانيّ ـ ٱللثويّ) ، وهو مخرج ٱلسّين ، فإذا تضيقت تلك ٱلمنطقة عند هذا ٱلمخرج بشكل كبير أدّى ذلك إلى حدوث ٱلسّين ، وٱلعكس أيضاً عند تحوّل ٱلسّين إلى ٱلشّين .

(٤) قيام معظم ٱلحالات على ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ يؤدّي إلى ٱلقول بوجود تساهل واضح في نقطة ٱلمخرج ، ودورها في عملية ٱلتّمايز ؛ إذ يبدو أنّ ٱلتّعويل في ذلك على ما يمكن أنْ أشبهه بمنطقة مخرجيّة ؛ إلّا ماكان في حالتي ٱلإدغام (ت > د و ت > ط) إذْ يحافظ عليهما ؛ لأنّ ٱلإدغام تمّ في ٱلمقابل ٱلمجهور أو ٱلمطبق .

ب ـ ٱلمماثلة ٱلتّناسبيّة :
سبق أن أشرتُ إلى أنّ هذا ٱلمصطلح وضعته لِلدّلالة على مفهوم ٱلرّضيّ في ٱلإدغام في (ستّ) وفي (مَحّم) وقد سبق الكلام عن ٱلأولى ؛ لِأنّها من ٱلفصحى، أمّا ٱلآن فالكلام عن ٱلثّانية (أيْ : مَحّم) ٱلّتي أصلها مَعَهُم، وهي ممّا ٱمتازتْ بِه تميم عن غيرها، قال الرّضيّ :

" كانَ ٱلقياسُ ٱلأوّلُ، أيْ قَلْبَ ٱلأوّلِ إِلى ٱلثّاني ؛ أنْ يُقالَ مَهُّم ، بِقَلْبِ ٱلعَيْنِ هاءً، وقِياسُ ٱلعارِضِ ، وهُوَ كَوْنُ ٱلثّاني : أيْ ٱلهاءُ أدْخَلَ في ٱلحَلْقِ وأثْقَلَ أنْ يُقْلَبَ ٱلثّاني إِلى ٱلأوّلِ، فَيُقالَ : مَعّم فَٱسْتُثْقِلَ كِلاهُما ؛ ولِهذا كانَ تَضْعيفُ ٱلهاءِ نَحْوَ قَهَّ وكَهَّ ٱلسَّكْرانُ ، وٱلعَيْنِ نَحْوَ دَعَّ وكَعَّ قَليلاً جِدّاً ، وٱسْتُثْقِلَ أيْضاً تَرْكُ ٱلإدْغامِ، لِأنّ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُما مُسْتَثْقَلَةٌ لِنُزولِها في ٱلحَلْقِ، فَكَيْفَ بِهِما مُجْتَمِعَيْنِ مَعَ تَنافُرِهِما ؛ إذْ ٱلعَيْنُ مَجْهُورَةٌ ، وٱلهاءُ مَهْمُوسَةٌ فَطَلَبُوا حَرْفاً مُناسِباً لَهُما أخَفَّ مِنْهُما، وهُوَ ٱلحاءُ : أمّا كَوْنُهُ أخَفَّ فَلِأنَّهُ أعْلى مِنْهُما في ٱلحَلْقِ، ولِذلِكَ كَثُرَ نَحْوَ مَحَّ ودَحَّ وزَحَّ ، بخلاف قَعَّ وكَعَّ وكَهَّ وقَهَّ ، وأمّا مُناسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ ؛ فَلِأنّهُما مِنْ وَسَطِ ٱلحَلْقِ، وأمّا ٱلهاءُ فَبِٱلهَمْسِ وٱلرَّخاوَةِ ؛ فلذا قَلَبَ بَعْضُ بَني تَميمٍ ٱلعَيْنَ وٱلهاءَ حاءَيْنِ وأدْغَمَ أحَدَهُما في ٱلآخَرِ نَحْوَ مَحُّمْ ومَحّاءُ لاءٍ ، في مَعَهُمْ ومَعَ هَؤُلاءِ . . . " (١) (*)

جـ ـ ٱلإتْباع :
(قد سبق مصطلح الأتباع) وهو جنوح أصوات ٱلمدّ ٱلمتجاورة لِلتّماثل ؛ أي إلى ٱلٱنسجام فيما بينهما حتّى لا ينتقل ٱللسان من ضم إلى كسر إلى فتح أو بٱلعكس في أثناء ٱلأداء تسهيلاً ؛ (٢) ويعرف عند ٱلمحدثين (Vowel Harmony) وأيضاً (Vowel Assimilation)

(أي ٱلٱنسجام ٱلمدّي) ، وهي كثيرة الشيوع في مستوى ٱللهجات وٱلقراءات حتّى أنّ معظم ٱلأمثلة الّتي وقفتُ عليها عند الرّضيّ تكاد تقتصر عليهما فلذا فإنّنا أُسجّل هنا سلوكاً واضحاً لِلهجات وٱلقراءات للميل نحو ٱلٱنسجام ٱلمدّيّ ٱلّذي من مظاهره ما سبق أنْ وقفتُ عليه في الميل نحو ٱلكسر من أنّ ناساً من بكر بن وائل يكسرون في نحو مِنْهِ ومِنْهِمَا ومِنْهِم ومِنْهِنَّ إتباعاً للكسر ؛ (٣) ويقول بعضُ تميم :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ . (التعليق : ينظر المماثلة التناسبية في الفصل الثاني : ١٠٤) .
(٢) ينظر : في الاصوات اللغوية : ٥٥ .
(٣) ش ك ٢ / ١١ .
(*) ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

مُذْ وعَضَّ وعَزَّ بالاتباع فيها .وأورد الرّضيّ أيضاً قراءة (فِي إِمِّهَا) (القصص ـ ٥٩) بالاتباع بكسر الهمزة (٢) .

د ـ المماثلة الجزئيّة : ومن أمثلة هذه الظّاهرة الّتي رصدها الرّضيّ قول حاتم : هكذا فَزْدِي أَنَهْ ،أي فصْدي قال الرّضيّ : "أمّا الإبدال فلأنّ الصّاد مُطْبَقَةٌ ،مَهْمُوسَةٌ ، رِخْوَةٌ ، وَقَدْ جَاوَرَتِ الدَّالَ بِلا حَائِلٍ مِنْ حَرَكَةٍ وَغَيْرِهَا ، وَالدَّالُ مَجْهُورَةٌ ، شَدِيدَةٌ ،غَيْرُ مُطْبَقَةٍ ... فَغَيَّرُوا الأَوَّلَ لِضُعْفِهَا بِالسُّكُونِ ، بِأَنْ قَرَّبُوهَا مِنَ الدَّالِ ،بِأَنْ قَلَبُوهَا زَاياً خَالِصَةً ،فَتَنَاسَبَتِ الأَصْوَاتُ ، لأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ الصَّادِ ،وأُخْتُهَا فِي الصَّفِيرِ،وَهِيَ تُنَاسِبُ الدَّالَ فِي الْجَهْرِ وَعَدَمِ الإِطْبَاقِ " (٣)

وَيُنظر في هذه الظّاهرة مصطلح المضارعة حيث سُمع من العرب مضارعة الصّاد للزّاي في نحو لفظ الصّاد والصّادر والصّراط .

وقال الرّضيّ (في صقر) : " قَبِيلَةُ كَلْبٍ تَقْلِبُ السِّينَ الْوَاقِعَةَ قَبْلَ الْقَافِ زَاياً ، كما يَقْلِبُهَا غَيْرُهُم صَاداً ؛ وذلِكَ لأَنَّهُ لَمَّا تَبَايَنَ السِّينُ وَالْقَافُ لِكَوْنِ الْسِّينِ مَهْمُوسَةً وَالْقَافِ مَجْهُورَةً أَبْدَلُوهَا زَاياً لِمُنَاسَبَةِ الزَّايِ لِلسِّينِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصَّفِيرِ وَلِلْقَافِ فِي الْجَهْرِ " (٤)

ومنها أيضاً ماذكره في إشراب الجيم والشّين الواقعتين قبل الدّال صوت الزّاي في نحو أَجْدَرَ وَأَشْدَقَ الّذي نقل الرّضيّ فيه عن سيبويه (*) قوله : "إِنّ الْبَيَانَ أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ وَهٰذا عَرَبِيٌّ كَثِيرٌ " ،يخصّ به حالة الشّين ويُبرر الرّضيّ ذلك بأنّ الشّين تُشابه الصّاد والسّين اللّذين يُقلبان زاياً ،وذلك لكونها مهموسة رخوة مثلهما ، أمّا في حالة الميم ،فيعتقد الرّضيّ أنّ الجيم حُملت على الشّين ،لأنّهما من مخرجهما ، ولا يجوز أنْ يجعل الشّين والجيم زاياً خالصة كالصّاد والسّين ،لأنّهما ليستا من مخرجها (٤) ولا من حروف الصّفير(١) وكلاهما من الأصوات المتفرّعة ،وهما من المستهجنة .

وذكر الرّضيّ من الأمثلة الاخرى للمماثلة الجزئيّة أنّ تاء الضّمير تقلب طاء عند ما يسبقها حرف مطبق (الصّاد أو الضّاد أو الظّاء) ،فيحدث معها مايحدث في

---

(٢) ش ش ٣ / ٢٦٣ .
(٣) ش ش ٣ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ .
(٤) ش ش ٣ / ٢٣٣ .ويُنظر : سر الصناعة : ٢٦٠ .
(١) ش ش ٢ / ٢٤٣ .
(*) يُنظر : الكتاب ٤ / ٤٧٩ .

صيغة افتعل (وقد سبق ذكرها)؛قال الرضيّ : " هذه لغة تميم وليست بالكثيرة أعني جعل الضمير طاءً، إذا كان لام الكلمة صاداً أو ضاداً ، وكذا بعد الطاء والظاء نحو فحصط برجلي، وحِصْطُ عنه : أي حدث، وأحط وحفط ، وانما قل ذلك؛ لأن تاء الضمير كلمة تامة ، فلا تغيّر " (١) .

وسبب ذلك عند الرضيّ " لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها ، وهذه الحروف مجهورة مطبقة ، فاختاروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء، وهو الطاء ، فجعلوه مكان التاء ؛ لأنه مناسب للتاء في المخرج، والصاد، والضاد، والظاء في الإطباق " (٢) ، إن ما يحدث مع الطاء هو مماثلة كلية لا جزئية، لأن التاء هو طاء بلا إطباق والعكس . قال الرضيّ : " بأن تجعل في التاء إطباقاً، فيصير طاءً " (٣) .

وعلى مثال ما سبق تحدث المماثلة الجزئية في نحو (فزت)؛ إذ تكسب الزاي الجهر للتاء فتحولها إلى المقابل المجهور أي تصبح دالاً فتتناسب مع الزاي في الجهر ومع التاء في المخرج (٤) ، وقد جاء هذا السلوك على مثال ما يحدث في صيغة الافتعال التي سبق ذكرها .

وقال الرضيّ : " وقد شذ قلب تاء الافتعال دالاً بعد الجيم ، لأن الجيم وإن كانت مجهورة ، والتاء مهموسة إلا إنها أقرب إلى التاء من الزاي والدال ؛ فيسهل النطق بالتاء بعد الجيم، ويصعب بعد الزاي والدال ، قال :

فقلت لصاحبي لا تحبسانا ... بنزع أصوله واجدز شيحا

ولا يقاس على المسموع منه (٥) ، موازنة بين وجوب القلب في اذكر وازدجر وشذوذه في اجدز

ويمتلك الرضيّ في عموم هذه الظاهرة (أعني: ظاهرة المماثلة) تفرقة واضحة تعد في صميم الإدراك المنهجي في الدرس الصوتي، ويتمثل ذلك عندما وصف قلب التاء دالاً في اجدمع بأنه : " لتناسب الصوت كما في صويق بخلاف دولج " (٦) فما يحدث هنا بسبب التناسب (يمكن أن يكون قريباً من مفهوم المماثلة كما هي عند المحدثين) بين

---

(١) ش ش ٣/٢٢٦ـ ٢٢٧، وينظر ٣/٢٨٧ـ ٢٨٨ .

(٢) ش ش ٣/٢٢٦ .

(٣) ش ش ٣/٢٨٧ .

(٤) ش ش ٣/٢٢٧ .

(٥) ش ش ٣/٢٢٨ ، وسر الصناعة : ١/٢٠١ (للبيت) .

(٦) ش ش ٣/٢٢٩ .

الأصوات: التاء، والدال، والصوت السابق المجهور، أما في نحو دولج فمفهوم الرضي يقوم على العلاقة المخرجية بين التاء والدال، وإن الذي حدث هو اكتساب التاء الجهر لسبب ما، ولم يستدع هذا القلب صوت مجاور كما في (فزت).

ومن أمثلة الظاهرة ما تمتعت به لهجة الحجاز من النطق الخاص بالألف عند ما يمال به إلى الواو التي عرفت بألف التفخيم على ظاهر في الأصوات المتفرعة المستحسنة .

ومنها ما حدث عند بعض العرب في إدغام النون ، إذ قال الرضي : " وبعض العرب يدغمها في اللام والراء مع الغنة أيضاً ضناً بفضيلة النون ؛ فلا يكون الإدغام إذن إدغاماً تاماً " (١) .

٧ـ ظاهرة الإبدال :

وقف الرضي عند دراسته لهذه الظاهرة على مظاهر لهجية تفوق كثيراً ما عدّه من الفصحى مما وقفت على رصده في الجدول المرقم (٦)

وللوقوف على طبيعة التطورات الصوتية الخاصة بهذه الظاهرة فقد عملت الجدول رقم (٨) على الشكل الآتي :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٧٣ .

جدول رقم (٨) لحالات الابدال في اللهجـــــــــــات
ينظر لحالات الإبدال : ش ش ٣/ ٢١٥– ٢٣٣ .

	حرف البدل ومخارجه	الحرف المبدل منه	مخرج المبدل منه	الصفات المكتسبة (+): الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفات المتنازل عنها (–): الصفة الفضيلة	الملاحظات
٠١	ش (غاريّ)	ك	طبقيّ			–	+	+تفشي	شين الكشكشة بدل من كاف المؤنث.
٠٢	ث (أسنانيّ)	ف	شفوي أسنانيّ					–تأفيف	ثروغ الدّلو وفروغـه .
٠٣	ب (شفوي)	م	شفـويّ					– غنة	في : ما أُسبك ؟
٠٤	ح (حلقي)	خ	طبقيّ						قال : يَنْفَحْنَ مِنْهُ لَهَبًا مَنْفُوحًا / ٱلسّنخ > ٱلسنح . <أي ينفخن ... منفوخاً
٠٥	ر (لثوي)	ل	لثوي					+ تكرير	نثر ٱلدّرع ونثله .
٠٦	ف شفويّ ، أسنانيّ	ث	أسناني					+تأفيف	ثُمَّ وفُمَّ / وجدث وجدف .
٠٧	ك (طبقيّ)	ق	لهويّ						عربيٌّ كحٌ وقحٌ .
		ت	أسناني لثويّ						عصيكا (الرضي : يجوز أن يكون وضع الضميرُ المنصوب مقام المرفوع).
٠٨	ع (حلقيّ)	ء	حنجريّ						عنعنة تميم: (أعَنَّ ترسَّمْتَ ...)
٠٩	ء (حنجريّ)	ع	حلقيّ						عُباب بحرٍ > أُباب بحرٍ .
١٠	ي (غاريّ)	ج	غاريّ			–	+	+لين	شجرة وشجيرة > شيره وشييرة .
١١	م (شفويّ)	ل	لثويّ					+ غنة	(لَيْسَ مِنَ ٱمبرِّ ٱمصيام في ٱمسـفر .)
		ن	لثويّ						ٱلْبنان > ٱلْبنام / طامه الله على ٱلخير أي طانه .
		ب	شفويّ			–	+	+ غنة	بنات بخر > بنات مخر / رتباً > راتماً / كثب وكثم .
١٢	ن (لثويّ)	ل	لثويّ					+غنة	لعلَّ > لعنَّ .
١٣	ت (أسنانيّ لثـويّ)	س	اسنانيّ ، لثويّ			+	–	– صفير	طسوس > طسوت / ٱلنّاس > ٱلنّات / أكياس > أكيات
		ب	شفويّ	–	+				ذعالب > ذعالت .
		ص	(أسنانيّ لثويّ)			+	–	– صفير –إطباق	لصّ > لصت ، وجمعوه على لصوت .
		ط	(أسنانيّ لثويّ)					–إطباق	فسطاط > فستاط .

	حرف البدل ومخارجه	الحرف المبدل منه	مخرج المبدل منه	الصفات المكتسبة (+) التنازل عنها (−)					الملاحظات
				الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة الفضيلة	
١٤	هـ (حنجري)	ء	حنجريّ			−	+		أنرت الثّوب > هنرت الثوب ، وهرجت الدابة أي: أرحتها، وهردت أي: أردتُ ، إيّاك > هيّاك، وطيء تقلب إنْ ٱلشّرطيّة إلى هِنْ ، وحكى قطرب: هزيدٌ منطلقٌ ؟ وقال : فقلن هذا الّذي، أي: أذا وأيا > هيا (للنّداء) .
١٥-	ل (لثوي)	ض	بين أضراسيّ					-استطالة وإطباق	في : أُضطجع > الطجع .
		ن	لثويّ					− غنة	اصيلان > اصيلال
١٦-	ط أسنانيّ- لثويّ	ت	أسنانيّ لثويّ					+إطباق	فحصت > فحصط ، فندتميم (المماثلة) .
١٧	د أسنانيّ لثوي	ت	أسنانيّ- لثويّ	+	−				فزتُ > فزد ، (المماثلة) .
١٨	ج (غاريّ)	ي	(غاريّ) المشددة والخفيفة			+	−	− لين	الأيّل > الأجّل
						+	−	− لين	أمسجتْ وأمسجا > أمسيت وأمسيا .
١٩	ز أسنانيّ- لثويّ	س	أسنانيّ لثويّ	+	−				ٱلسّراط > ٱلزّراط .
		ص	أسنانيّ لثويّ	+	−			− إطباق	ٱلصّراط > ٱلزّراط ، فصدي > فزدي، (قول حاتم) . صقر > زقر (كلبية) .

- ملاحظات حول جدول حالات ٱلإبدال في ٱللهجات :

١- جرى ٱلحفاظ على صفات : ٱلجهر ، وٱلهمس ، والشّدّة ، والرّخاوة ؛ إذ جاء ٱلتّنازل عنها بنسبة واطئة، وهي على التّوالي (٥٪ ، ١٧٪ ، ٢٠٪ ، ٢٠ ٪) من مجموع حالات ٱلإبدال ٱلبالغ (١٩) حالة .

وبٱلجملة فإنّ هذا يجعل لهذه ٱلصّفات أثراً مهماً في التّمايز عند ٱلأداء .

٢ـ جرى تنازل عن الصّفات الفضيلة (أي : التّأفيف ، والتّكرير ، والإطباق ، والصّفير ، والاستطالة ، واللين والغنّة) بنسبة ٥٠٪ ويبدو أنّ التّقارب المخرجيّ بين الصّوتين عاملاً فعّالاً في هذا التّنازل (ينظر الحالات : م > ب / س > ت / ص > ت / ط > ت / ض > ل / ن > ل / يَّ > ج / يْ > ج / ص > ز) .

٣ـ وجود حالات إبدال وبين الصّوتين تباعد مخرجيّ كمافي :(خ > ح / ت > ك / ل > م / ن > م / ب > ت) .

ويبدو ان الصفة المشتركة قد قامت مقام المخرج في التّقارب فحدث الإبدال ، وهذه النّقطة تؤكّد دور الصّفات (كمافي النّقطة الأولى) في عمليّة التّمايز .

٤ـ جاء معظم الحالات مقترنة بالتّقارب المخرجيّ بين الصّوتين (وهذا يؤدّي إلى القول بعدم الإعتبار للنّقطة المخرجيّة والتّعويل على منطقة المخرج) .

ـ موازنة بين ملاحظات جدولي الادغام والابدال في اللهجات :

١ـ تبرز صفتا الرّخاوة والشّدّة عاملاً فعّالاً في التّمايز الصّوتيّ عند اللهجات ؛ فلم يُتنازل عنهمافي الحالتين إلا بمقدار طفيف ؛ أمّا صفتا الجهر والهمس فليستا بذلك الإعتبار لورود التنازل عنهما بمقدار واضح في حالة الادغام .

٢ـ التّنازل واضح جداً عن الصّفة الفضيلة بـ (٥٠٪) لكل من الحالتين ، ويبدو أنّها ليست بتلك الهالة الّتي وضعها الرّضيّ فيهافي عمليات الإدغام .

٣ـ الإعتبار بالمنطقة المخرجيّة الضّيّقة في عمليّة التّمايز المخرجيّ دون الإعتماد على النّقطة المخرجيّة ؛ لإشتراك الحالتين بوجود التّقارب المخرجيّ بين الصّوتين .

٩ـ السّلوك الصّوتي للّهجات والبنية الصّرفيّة :

آـ تفريعات لهجة تميم : لقد أدّى تباين السّلوك اللّهجي تجاه الحركات إلى تفضيل بعضها داخل البنية أوماكان في الظّواهر الّتي سبق أن عرضتها في هذا البحث الّتي تكاد تكون جميعها بياناً لموقف اللّهجات من الحركات سوى ماكان من ظاهرة الإبدال ، وبعض مظاهر المماثلة ؛ أقول : لقد أدّى هذا التّباين إلى تأثير خطير في الدّرس الصّرفيّ العربيّ الذي يتداخل فيه الاعتبارات اللّهجيّة مع اعتبارات اللغة الفصحى (على ماوضحته في الأسس الفكرية الّتي هي المنهج النّظرى للرّضيّ) ؛ وهو مالم يغب عن إدراك الرّضيّ ؛ إذ جعل في بعض وقفاته الإستطراديّة على كلام ابن الحاجب ما يمكن أن تكون فقرة خاصّة في تفريعات لهجة تميم .

فغي ٱلأوزان ٱلصّرفيّة ،وعلى ماقدمه تبدو تميم أكثر تطرّفاً من قبائل ٱلعرب في نظامها ٱلصّرفيّ ؛ ولكن ٱلحقيقةَ أنّ هذه القبيلة ربّماتكون أكثر محافظة على ٱلأصول التّاريخيّة للبِنْية اللغويّة بحسب ماقدّمه الدّكتور إبراهيم أنيس (وقد ذكرته في ظاهرة التّخفيف). وقال ٱلرّضيّ (والكلام خاصّ بوزن الثّلاثيّ) : "وَجَمِيعُ هٰذِهِ ٱلتَّفْرِيعَاتِ فِي كَلَامِ بَنِي تَمِيم ، وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْحِجَازِ فَلَا يُغَيِّرُونَ ٱلْبِنَاءَ وَلَا يُفَرِّعُونَ ." (١) ويمتلك ٱلرّضيّ في هذا ٱلجانب تصوّراً واضحاً عمّا عُرف في الدّرس الحديث بالتحوّل الدّاخليّ ٱلّذي يَبرز عند ٱلمستشرق ٱلشّهير هنري فليش (في كتابه: ٱلعربيّة ٱلفصحى) من خلال قوله بإمكانيّة ردّ بعض ٱلأوزان إلى بعض،وبإمكانيّة وجود أصل يتولّد عنه ؛ إذ قال الرّضيّ: "يَعْنِي بِرَدِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ فِي بَعْضِ ٱلْكَلِمِ ٱلَّتِي لَهَا وَزْنَانِ أَوْأَكْثَرُ مِنَ ٱلْأَوْزَانِ ٱلْمَذْكُورَةِ قَبْلُ : إِنَّ أَصْلَ بَعْضِ أَوْزَانِهَا ٱلْبَعْضُ ٱلْآخَرُ كَمَا يُقَالُ فِي فَخْذٍ ــ بِسُكُونِ ٱلْخَاءِ ــ إِنَّهُ فَرْعُ فَخِذٍ بِكَسْرِهَا " (١)،وأتي على فكرته في التّفريع بشيء من ٱلتّلخيص وٱلبساطة؛إذ إنّها لم تَخْلُصْ من تداخلٍ شديدٍ لِكثرةِ ٱستطراداته بذكر أوزان أُخرى لِلأفعال وٱلأسماء (٢) ،يذكر ٱلرّضيّ أنّ فعِلاً (ٱلحلقيّ ٱلعين) فِعْلاً كانَ كَشَهِدَ أو ٱسْماً كَفَخِذٍ يَطّرد فيه ثلاثة تفريعات أطراداً لاينكسر،وٱثنان من هذه ٱلفروع يشاركه فيهما ما ليس عينه حلقيّاً،وهي :

١ــ فِعِل (إتباع فائه لعينه) ويختصّ به ٱلحلقيّ ،وقد يجيء منه من فَعَل بكسر فتح مابعد ٱلحلقيّ إتباعاً لكسر ٱلحلقيّ ،كما قيل في خِبَق على وزن هِجَفّ لِلطّويل : خِبِق ؛ وَأَمّا أهلُ ٱلحجاز،فنظروا إلى أنّه حق حروف ٱلحلق إمّا فتحها،أو فتح ماقبلها .

٢ــ فَعْل (بفتح ٱلفاء ،وسكون ٱلعين) نحو شَهْد في ٱلفعل وفَخْذ في ٱلاسم ، وهوأوّل ٱللغتين ٱللتين يشترك فيهما ٱلحلقيّ وغيره ؛ وفي غير ٱلحلقيّ جاء عَلْم في ٱلفعل وكَبْد في ٱلاسم .

---

(١) ش.ش ١/ ٤٠ .

(٢) ينظر في الآتي: ش.ش ١/ ٤٠ـ ٤٧ .

قال ٱلرّضيّ : وانّما سكّنوا ٱلعين كراهة ٱلأنتقال من ٱلأخفّ أي ٱلفتح إلى ٱلأثقل منه أي ٱلكسر في ٱلبناء ٱلمبني على ٱلخفّة : أيْ بناء ٱلثّلاثيّ ٱلمجرد ، فسكّنوه ؛ لأنّ ٱلسّكون أخفُّ من ٱلفتح ، ولمثل هذا قالوا في كَرُمَ ٱلرَّجُلُ : كَرْمَ ، وفي عَضُد : عَضْد ، بالإسكان ، وقولهم : لَيْسَ مِثْل عَلْمٍ في عَلِمٍ . ش ش ١/٤٢

٣ـ فِعْل (بكسر ٱلفاء ، وسكون ٱلعين) ثاني ٱللغتين ٱللّتين يشترك بهما ٱلحلقيّ مع غيره نحو شِهْد وفِخْذ في ٱلحلقيّ ، وكِبْد وكِتْف في غيره ، ولم يُسمع في غير ٱلحلقيّ في ٱلفعل ، وحكي قطرب في ٱلمبنى للمفعول نحو : ضِرْب زيدٌ . كما قيل : قِيْل وبِيْع ورِدّ ، وهو شاذ ، ونبّه ٱلرّضيّ إلى أنّ ٱلحلقيّ منه يمكن أنْ يكون فرع فِعِل ٱلمكسور ٱلفاء وٱلعين كما تقول في إِبِل : إِبْل ، أو يجوز حدوث قلب مكانيّ بين ٱلحركة وٱلحرف : أي نقل حركة ٱلعين إلى ٱلفاء كراهة ٱلأنتقال من ٱلأخفّ إلى الأثقل (أي : فَعِل ← فِعْل) ، وكرة حذف أقوى ٱلحركتين ، أي ٱلكسرة ، وٱلّذي من غير ٱلحلقيّ لا يكون إلّا على ٱلوجه ٱلثّاني ؛ لأنّه لا يجوز فيه فِعِل بالاتباع .

وقد ذكرتُ في ٱلتّخفيف إنّ ٱلرّضيّ يذكر هذا التخفيف في غير ٱلثّلاثيّ ، وفي ما يتجاوز به إلى مستوى ٱلسلسلة ٱلصّوتيّة .

ويقول ٱلرّضيّ في (فُعُل وفُعْل) : ولقائل أنْ يقول : بل ٱلسّاكن ٱلعين في مثله فرع لمضمومها كما هو كذلك في عُنُق ٱتّفاقا .

وبدا لي أنّ ما يقترحه ٱلرّضيّ في ٱلخفّة وٱلثّقل هو ٱلمسؤول عن مجانفة ٱلصّواب في ٱلقول بفرعية المخفف ، وخاصّةً أنّ ٱلرّضيّ يردّ به على من ذهب إلى ٱلأعتماد في فرعيتها على قلّة ٱلأستعمال فعُسْر ويُسْر بالسّكون أشهر منهما بالضّمّ ، فيكون ٱلضّمّ فرع ٱلسّكون .

قال ٱلرّضيّ : " فَٱلْجَوَابُ إِنَّ ثِقَلَ ٱلضَّمَّتَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ ٱلثِّقَلِ ٱلْحَاصِلِ فِي سَائِرِ ٱلأُصُولِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَحْمِلَ تَضَاعُفُ ٱلثِّقَلِ فِي بَعْضِ ٱلْكَلِمَاتِ عَلَى قِلَّةِ ٱسْتِعْمَالِهَا مَعَ كَوْنِهَا أَصْلاً " (١) ويعزّز ذلك بقوله : " وَإِذَا كَانَ ٱلِٱسْتِثْقَالُ فِي ٱلأَصْلِ يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ ٱسْتِعْمَالِهِ أَصْلاً كَمَا فِي نَحْوِ يَقْوُلُ وَيَبْيِعُ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَى فَمَا ٱلْمُنْكَرُ مِنْ أَدَائِهِ إِلَى قِلَّةِ ٱسْتِعْمَالِهِ) (١) .

ويختم ٱلرّضيّ وقفته هذه بأنّ (فَعْل) إذا كان حلقياً ساكناً جاز تحريكه بالفتح نحو ٱلشَّعْر وٱلشَّعَر ، وٱلبَحْر وٱلبَحَر ، ومثلها لغتان عند ٱلبصريينَ في بعض ٱلكلمات

---

(١) ش ش ١/٤٦ .

وليست إحداهما فرعاً عن الأخرى ؛ أمّا الكوفيون فجعلوا المفتوح العين فرعاً لساكنها ورأوا هذا قياساً في كل فَعْل شأنه ما ذكرنا ، وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح ؛ وتبرز هذه المناسبة عند الرّضي فيما كان من التّقارب المخرجيّ بين الفتحة، وحرف الحلق لكون الفتحة بعض الألف (الحلقيّ) ؛" فَيَكُونُ قَبْلَهَا جُزْءٌ مِنْ حَرْفٍ مِنْ حَيِّزِهَا "(١)

وفيما توالت فيه فتحتان رأى الرّضيّ أنّ الحذف لا يتمّ لخفة الفتحة، وما جاء فيه ذلك فشاذّ ضرورة نحو قوله :

وَمَا كُلُّ مُبْتَاعٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ بِرَاجِعِ مَا قَدْ فَاتَهُ بِرَدَادِ (٢) .

ب ـ تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ

من أبرز المظاهر اللهجيّة ، ما كان من التّخلّص من نطق الهمزة عند الحجازيّين، ولا سيّما قريش، وقد لخّص الرّضيّ سبب هذا السّلوك بقوله : " اعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَمَّا كَانَتْ أَدْخَلَ الْحُرُوفِ فِي الْحَلْقِ، وَلَهَا نَبْرَةٌ كَرِيهَةٌ تَجْرِي مَجْرَى التَّهَوُّعِ، ثَقُلَتْ بِذَلِكَ عَلَى اللِّسَانِ الْمُتَلَفِّظِ بِهَا ، فَخَفَّفَهَا قَوْمٌ، وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَلَاسِيَّمَا قُرَيْشٌ، رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) على ما سبق في مصطلح النَّبْر ... وَحَقَّقَهَا غَيْرُهُمْ، وَالتَّحْقِيقُ هُوَ الْأَصْلُ كَسَائِرِ الْحُرُوفِ وَالتَّخْفِيفُ اسْتِحْسَانٌ "(٣) .

وما يقوله الرّضيّ في أصالة التّحقيق مقبول من النّاحية التّاريخيّة، إذ ثبت أنّ الهمز أصل في السّاميّة ، وقد مالت اللهجات السّامية إلى التّخلّص منه أيضاً وبيد وأنّ الحجازيّة تبعتها في هذا الصّوت الاحتباسيّ الحنجريّ (٤) ، الّذي تبنّته الفصحى ، فجعل لأجل هذا نمطاً صوابيّاً يروم النّاطقون العرب إبرازه ممّا أدّى إلى بروز تغييرات تدخل في، ضمن ما يُعرف بالتّفصح أو مراعاة المستوى الصّوابي وسآتي على ذكرها قريباً بعون الله . والمتأمّل هذا الصّوت ووظيفته الفينولوجيّة في العربيّة يجد أنّه في أغلب مواقعه وهي سوى (همزة القطع) لا يشكل فونيماً مميّزاً للمعاني، فنحن لا نجد فرقاً في المعنى بين

---

(١) ش ش ١ / ١١٩ .

(٢) ش ش ١ / ٤٤، والبيت في شرح شواهد الشافية، وهو الجزء الرّابع من ش ش (٤ / ١٨) وعنه أنّ ابن عصفور ذكره في الضّرائر.

(٣) ش ش ٣ / ٣١ ـ ٣٢ .

(٤) ينظر: اللهجات العربية الغربية : ٢٣٦، في اللهجات العربية: ٧٧، القراءات القرآنية : ١٨

كلمتيْ:قائل،وقايل،وحمراء،وحمرى،وأمّا ماكان من نحو سال من سأل وسال لسيل ٱلماء فتيد ولي أنّ سياق ٱلكلام هو ٱلمسؤول عن ٱلمعنى ٱلمراد لا ٱلهمز .

فالحقيقة أنّ ٱلهمز-كما يبدو-ماهو إلاّ سلوك نبّري في ٱلكلمة ٱلعربيّة عبّرعنه بهـــذا ٱلرّمز،وإنّ التّسمية ٱلقديمة للهمز(أيْ ٱلنّبر)موفقةٌ جدّاً في ٱلوقوف على حقيقة هـــذا ٱلصّوت .

ويمكنني من هذا أنْ أفسّر تبادله مع أصوات ٱلمدّ بأنّ ٱلحجازيّة تميل إلى نوعٍ آخـــر من ٱلنّبر وهو النّبر ٱلطّوليّ أمام غيرها ٱلّتي مالتْ إلى ٱلنّبر ٱلتّوتريّ ٱلّذي يمثّله نطق ٱلهمزة (١) ، وفي كلتا ٱلحالتين فٱلعربيّة تتمتّع بثبات عام في نظامها ٱلنّبـــريّ ٱلخاص بٱلبنية ٱللغوية (ٱلمفردة) ،وقد وقفتُ على نضج فكرة الرّضيّ هنا فـــي مصطلح ٱلنّبر ، فينظر)وتُعرف هذه ٱلعمليّة بين ٱلفونيمات في الدّرس ٱلحديـــث بٱلفونيم ٱلرّئيسيّ وٱلتّحييد (Archiphoneme and Neutralization) (٢)

ولهذا فوظيفة ٱلهمزة هنا تتحدّد بأنّها وظيفة تباينيّة وليست تمييزية ويعرف(أندريه مارتينيه) ٱلوظيفة التباينيّة فيقول "إنّ ٱلصّوت ٱللغويّ يساعد في أنْ يُسهّلَ علـــى ٱلسّامع عمليّة تحليل ٱلكلام إلى وحدات متعاقبة "(٣)،وهذه ٱلوظيفة " غالباً ماتكون منوطة بالنّبر في أكثر ٱللغات المعروفة "(٤)،وذلك ينسجم مع كون الهمز أحد أنواع ٱلنّبر (كما قدّمتُ)،وقد " كانت ٱلعرب تنبر بأشكال مختلفة منها ٱلهمز والمدّ "(٥) وكانت النتيجة في عمليات الاستبدال ههنا بروز بنىً مخففة إلى جانب ٱلبنى ٱلمهموزة، وممّا يمكن أن يكون تأكيداً للوظيفة التّباينيّة الخاصّة بالهمزة ماذكره ٱلرّضي تخلّصـــاً من ٱلتقاء السّاكنين وأولهما لين (وعند الدرس الحديث هو القطع الرابع ص م ص) على نحو مايحكى عن أبي أيوب ٱلسّجستانيّ في الشواذ (وَلَا ٱلضَّأَلِّينَ) (الفاتحة ـ ٧) ودأبّة وشأبّة،وما قرأ به عمرو بن عبيد:(عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَأَنٌّ) (الرّحمٰن ـ ٣٩) بٱلهمز وٱلتّحريك،وقد قُرئ أيضًا:(يُضَاهِئُونَ)(ٱلتّوبة ـ ٣٠)،و(بِٱلسُّؤْقِ وَٱلأَعْنَاقِ) (ص ـ ٣٣) كما مرّ في ٱلاتّجاه ٱلثّالث من ٱلفصل ٱلثّاني ، ومنه ماأورده عن ٱلحجاج في قولـــه :

---

(١) ينظر : القراءات القرآنية ١٠٥ و ١٠٩ .

(٢) الفونيم ٱلرّئيسيّ : أسرةٌ من ٱلفونيمات أُبطل ٱلتّمييز بينها في مواقع معينـــة ، فقد اختلطت وصارت فونيماً واحداً،ومثال ذلك إبطال التّمييز بين الطّاء والتّاء فـــي صيغة الافتعال ،والتاء،والهاء في نحو:قادمة والتّحييد مصطلح هذه العمليـــة أي : ابطال التمييز بين اكثر من فونيم في مواقع معينة (ينظر : دراسة الصّوت: ٢١٧،وأيضاً:أسس علم اللغة : ٨٩،حاشية (٦) ،مدرسة براغ اللغوية : ٨٨ـ ٢٩،

(٣) عن نظرة في الاعلال : ١٧٩ (٤) نفسه : ١٧٩-١٨٠، (٥)نفسه : ١٨٠

يا دارَ سَلْمَى ياسْلَمِي ثُمَّ ٱسْلَمِي   فخندِفٌ هامةُ هٰذَا ٱلْعَأْلَمِ ،

وأيضاً ،ماحكاه ٱللحياني في بأز (١) وأنشد أبو علي (٢) :

لَحَبُّ المُؤْقِدِيْنَ إِلَيَّ مُؤْسَى

وفي اعتقاد ٱلرضيّ أنّ هذا " لَيْسَ فِرَاراً مِنَ ٱلْتِقَاءِ ٱلسَّاكِنَيْنِ ،وَلٰكِنْ لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيِ ٱلْأَلِفِ وَٱلْهَمْزَةِ " (٣)

ويمكن أن أفسر هذا في ضوء ٱلْمبالغة أو ٱلإسراف في ٱلْمدنيّة على ما يقول فندريس (٤) أو التّفصح مراعاة للمستوى الصّوابي ،وقد أبرزتّ نماذج القراءات مبالغة في ذلك فقد ذكر ٱلرضيّ عن قرّاء أهل ٱلكوفة وٱبن عامر تحقيق ٱلْهمزتين والمعروف أنّه " لَيْسَ مِنْ كَلَامِ ٱلْعَرَبِ أَنْ تَلْتَقِيَ هَمْزَتَانِ فَتُحَقَّقَا " (٥) ،وكذلك نقل الرّضي : " إِنَّ أَهْلَ ٱلتَّحْقِيقِ يَعْنِي غَيْرَ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ يُخَفِّفُونَ إِحْدَاهَا ،وَيَسْتَثْقِلُونَ ٱلتَّحْقِيقَ فِيهِمَا ،كَمَا يَسْتَثْقِلُ أَهْلُ ٱلْحِجَازِ تَحْقِيقَ ٱلْوَاحِدَةِ " (٦) ،ومّا نقل الرّضيّ في ٱلسّلوك تجاه ٱلْهمز ماكان من قراءة أبي عمرو الّذي يحذف أولى ٱلْمتفقتين (في الحركة) نحو : (أَوْلِيَاءُ أُولٰئِكَ) (الاحقاف ـ ٣٢) و (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (محمد ـ ١٨) و (مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِنْ) (الشّعراء ـ ١٨٧) ،ونقل عن ورش وقنبل في ثانية ٱلْمتفقتين قلبها حرف مدّ صريحاً أي : ألفاً إن ٱنفتحت الأولى وواواً إن ٱنضمّت وياء إن ٱنكسرت (٧) .

وجاءت قراءة ٱلْكسائيّ بتخفيف ما أوله همزة ٱلاستفهام من (رأى) ٱلْمتّصل به التّاء والنّون أي : أرأيتَ ⟵ أريتَ (٨) .

ومنه أيضاً ،قال ٱلرّضيّ : " وَقَدْ تُسَهَّلُ ٱلْهَمْزَةُ مِنَ اللاءِ بين ٱلْهَمْزَةِ وَٱلْيَاءِ ،لِكَوْنِهَا مَكْسُورَةً عَلَى مَا هُوَ قِرَاءَةُ وَرْشٍ (ٱللاءِ يَئِسْنَ) (الطّلاق ـ ٤) ،وقد يقال : اللايْ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ ٱلْأَلِفِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ كَقِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو وَٱلْبَزِّيِّ " (٩) ،وقرأ ٱلأخفش : (واللايْ يأتين من نسائكم) (البقرة ٢٢٦) (١٠)

ومما أدخل في باب المبالغة في التّحقيق ما ٱشتهر من تميم من (العنعنة) ، قال الرّضي " وَتَكُونُ ٱلْعَيْنُ بَدَلاً مِنَ ٱلْهَمْزَةِ فِي أَنْ وَهِيَ عَنْعَنَةُ تَمِيمٍ ،قال :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٠٥ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٠٦ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٠٤ ،وينظر : ٢ / ٢٥٠ .

(٤) اللغة : ٨٠ .

(٥) الكتاب : ٣ / ٥٤٩ .

(٦) ش ش ٣ / ٦٥ .

(٧) ش ش ٣ / ٦٥ ـ ٦٦ ،وينظر : السبعة : ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٨) ش ش ٣ / ٣٧ ،وينظر : السبعة : ٢٥٧ .

(٩) ش ك ٢ / ٤١ ،وينظر : ٢ / ٤٠٤ .

(١٠) ش ك ٢ / ٤١ .

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً   مَاءُ ٱلصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ (١)

ويبدو أنّ ابن دريد قد أدرك هذه المبالغة من تميم ، حيث قال : " لأنَّ بني تميم يُحقّقونَ الهَمْزَةَ فيجعلونَها عَيْناً فيقولونَ: هذا خِبَاعُنا ؛ يُريدون : خباؤُنا " (٢) وذكر ليتمان ، إنَّ هذه الظّاهرة عريقة في السّاميات، وقد سمع (٣) من أهل الحبشة .
ويقيم الرّضيّ هذه الظّاهرة من خلال العلاقة المخرجيّة، يقول : " ... ومَنْ قال : إنّه بَدَلٌ منه، فلقرب مَخْرَجَيْهِما، ولِذا أُبْدِلَ منه العَيْنُ، نحو قوله : أَعَنْ تَرَسَّمْتَ (٤) "
وهي في نظرة لا تعدو أنْ تكون موطناً من المواطن الّتي تتجلّى فيها ظاهرة الإبدال الّتي يسعى الرّضيّ فيها دائماً لإبراز العلاقة المخرجيّة بين الصّوتين .

٩ـ السّلوك الصّوتيّ للهجات والوقف :
على ما قدّمتُ في البحث الأوّل من هذا الفصل فإنَّ الوقف يعدّ من المواقع الّتي تبرز فيها التّغييرات الصّوتيّة، وقد ذكرت أسباب ذلك عن الرّضيّ والمحدثين، ومظاهر الوقف هي :
أ ـ الإسكان : لغة ربيعة، إذ يجيزون إجراء المنصوب المنون مجرى المرفوع والمجرور ، قال الشّاعر :

وَآخِذُ كُلِّ حَيٍّ بِعُصُمْ (٥)

ب ـ الهمز : قال الرّضيّ : " يَعْنِي قَلْبَ أَلِفِ المَقْصُورِ وَقَلْبَ غَيْرِهَا مِنَ الأَلِفَاتِ ، سَوَاءٌ كَانَتْ لِلتَّأْنِيثِ ، أَوْ لِلْإِلْحَاقِ كَمِعْزَى، أَوْ لِغَيْرِهَا نَحْوَ يَضْرِبُهَا ؛ فَإِنَّ بَعْضَ العَرَبِ يَقْلِبُهَا هَمْزَةً " (٦) ، ويعلّله بقوله : " وَذَلِكَ لِأَنَّ مَخْرَجَ الأَلِفِ مُتَّسِعٌ ، وَفِيهِ المَدُّ البَالِغُ ؛ فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهِ خَلَّيْتَ سَبِيلَهُ وَلَمْ تَضُمَّهُ بِشَفَةٍ وَلَا لِسَانٍ وَلَا حَلْقٍ كَضَمِّ غَيْرِهِ ، فَيَهْوِي الصَّوْتُ إِذَا وَجَدَ مُتَّسَعاً حَتَّى يَنْقَطِعَ آخِرُهُ فِي مَوْضِعِ الهَمْزَةِ ، وَإِذَا تَفَطَّنْتَ وَجَدْتَ ذَلِكَ كَذَلِكَ " (٦) ، أعتقد أنَّ ما يعبّر عنه الرّضيّ هنا يمكن أن يكون تعبيراً آخر عن رأي هنري فليش في وجود توتر في نهاية الصّوائت يمتاز في العربيّة بقوّته الّتي أشرت إليها فيما سبق .
جـ ـ قلب الألف ياءً : قال الرّضيّ : " اعْلَمْ أَنَّ فزارة وناساً من قَيْسٍ يَقْلِبُونَ كُلَّ أَلِفٍ فِي الآخِرِ يَاءً ، سَوَاءٌ كَانَتْ لِلتَّأْنِيثِ كَحُبْلَى أَوْ لَا كَمُثَنَّى ؛ كَذَا قَالَ النُّحَاةُ ، وَخَصَّ المُصَنِّفُ بِأَلِفِ حُبْلَى، وَلَيْسَ بِوَجْهٍ " (٧) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، البيت في مجالس ثعلب : ١ / ٨١ ، الخصائص : ٢ / ١١ .
(٢) عن لهجة تميم : ٨٨ .
(٣) نفسه : ٨٩ .
(٤) ش ش ٣ / ٢٠٨ .
(٥) ش ش ٢ / ٢٧٢ و ٢٧٩ .
(٦) ش ش ٢ / ٢٨٥ .
(٧) ش ش ٢ / ٢٨٦ ، وينظر : ٣ / ٢١٠ .

وقال الرضي (معللاً) : " وَإِنَّمَا قَلَبُوهَا يَاءً ؛ لِأَنَّ ٱلْأَلِفَ خَفِيَّةٌ . . . فَيُبْدِلُونَهَا إِذَنْ فِي ٱلْوَقْفِ حَرْفاً مِنْ جِنْسِهَا أَظْهَرَ مِنْهَا ، وَهِيَ ٱلْيَاءُ " (١) .

والّذى جرى في ٱلْحقيقة أنّه يتمّ عند ٱبتداء ٱلنّطق بالألف رفع مقدّمة ٱللسان إلى موضع إصدار شبه ٱلصّامت (يْ) فكأنَّ صَوْتَ ٱلْأَلِفِ قد جُزّئ إلى جزئين (ٱلْفتحة + يْ) وطيّ تفصلها وقفاً ووصلاً (١) .

د ـ قلب ٱلألف واواً : وذلك كما يفيد ٱلرّضيّ ؛ لأنّ الواو أبين من الياء " وَٱلْقَصْدُ ٱلْبَيَانُ ، وَٱلْيَاءُ أَكْثَرُ مِنَ ٱلْوَاوِ فِي لُغَةِ طَيِّءٍ فِي مِثْلِهِ . . . وَٱلَّذِينَ يَقْلِبُونَهَا وَاواً يَدْعُونَ ٱلْوَاوَ فِي ٱلْوَصْلِ بِحَالِهَا فِي ٱلْوَقْفِ " (١) .

ويعلّل ٱلرّضيّ ٱلْحالتين السّابقتين فيقول : " وَإِنَّمَا قُلِبَتْ وَاواً أَوْ يَاءً لِتَشَابُهِ ٱلثَّلَاثَةِ فِي ٱلْمَدِّ وَسَعَةِ ٱلْمَخْرَجِ " (١) .

والّذي أرى أنّ الّذي يحدث هنا مثل ما حدث مع الياء غير أنّ الّذى يرتفع في هذه ٱلْحالة هو مؤخرة ٱللسان إلى نقطة إصدار ٱلواو الاحتكاكيّة (وْ) .

هـ ـ إشباع ٱلحركة ٱلإعرابيّة : وهو عمل أزد ٱلسّراة فيما زعم عنهم أبو ٱلخطاب ، إذ قال ٱلرّضيّ : " زعم أبو ٱلخطاب أنّ أزدَ ٱلسّراةِ يَقُولُونَ : هٰذَا زَيْدُو ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدِي ، كَمَا يُقَال : رَأَيْتُ زَيْدَا ، حِرْصاً عَلَى بَيَانِ ٱلْإِعْرَابِ " (٢) .

وعند ٱلرّضيّ أنّ هذا ٱلْوقف يتمّ عن طريق ٱلْقلب ؛ أي قلب ٱلتّنوين واواً أو ياءً أو ألفاً ، وليس كما قدّمته في العنوان ؛ ويبدو لي أنّ أزد ٱلسّراة كانت تميل إلى ٱلْقاطع ٱلْمفتوحة عند ٱلْوقف فتعمل على إسقاط ٱلتّنوين وتشبع ٱلْحركة ٱلسّابقة .

و ـ الترنم : وهو ٱلْوقف ٱلْخاص بتميم على قوافي الشّعر ، إذ تأتي بصوت ٱلنّون عند ٱلْقوافي ٱلْمطلقة ؛ فتعمل على غلقها وعُرف اصطلاحاً بـ (تنوين الترنّم) ، قال ٱلرّضيّ : " وَهُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ لِتَرْكِ ٱلتَّرَنُّمِ ، لِأَنَّهُ يُؤْتَى بِهِ إِشْعَاراً بِتَرْكِ ٱلتَّرَنُّمِ عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ فِي رَوِيٍّ مُطْلَقٍ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْأَلِفَ وَٱلْوَاوَ وَٱلْيَاءَ فِي ٱلْقَوَافِي تَصْلُحُ لِلتَّرَنُّمِ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْمَدِّ ، فَيُبْدَلُ مِنْهَا ٱلتَّنْوِينُ لِمُنَاسَبَتِهِ إِيَّاهَا ، إِذَا قُصِدَ ٱلْإِشْعَارُ بِتَرْكِ ٱلتَّرَنُّمِ ، لِخُلُوِّ ٱلتَّنْوِينِ مِنَ ٱلْمَدِّ ، وَهٰذَا ٱلتَّنْوِينُ يَلْحَقُ ٱلْفِعْلَ أَيْضاً وَٱلْمُعَرَّفَ بِٱللَّامِ قَالَ :

أَقِلِّي ٱللَّوْمَ عَاذِلَ وَٱلْعِتَابَنْ وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَنْ " (٣)

---

(١) ش ش ٢/٢٨٦ (٢) ش ش ٢/ ٢٨٠ (٣) ش ك ١/ ١٤٠ .

يقول في ذلك ٱلْجندي : " ويظهر-والله أعلم - أنَّ لهجة تميم كانت ٱلنَّغمة ٱلْموسيقيّة عندها هابطة،وكانت ٱلْقافية تميل،إذ ذاك إلى ٱلْغناء في أصواتها وحركاتها،وذلك يلائم ٱلطّابع ٱلْعام للهجتها،حيثُ كانت تميل إلى السّرعة في نطقها، وتتلمس أيسر ٱلسّبل إلى ذلك ،ولهذا تركت التّرنم وٱلإنشاد"(١).

وقد بدا لي من خلال وقوفي على آراء النّحاة ههنا أنّ ٱلتّسمية ٱلإصطلاحيّة كانت تعني ٱلتّرنم لاتركه فمثلاً :قال ٱبنُ يعيش فيه : " يُسْتَعْمَلُ فِي ٱلشِّعْرِ وَٱلْقَوَافِي لِلتَّطْرِيبِ مُعَاقِباً بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْغُنَّةِ لِحُرُوفِ ٱلْمَدِّ وَٱللِّينِ ،وَقَدْ كَانُوا يَسْتَلِذُّونَ ٱلْغُنَّةَ فِي كَلاَمِهِمْ"(٢) ،على أنَّ الرأي الأصوب هنا،ماقاله ٱلرّضيّ لأنّهم لوكانوا كما لا يقول ٱبنُ يعيش،لأشربوا أصوات ٱلمدّ صوت ٱلغُنّة لاأن يسقطوا بعضها ويُؤتوا بالنّون كاملة، لِأَنّ هذا ٱلإشراب يوفّر لهم ٱلتّرجيع وٱلأمتداد في ٱلصّوت .

ز - إبدال ٱلْياء جيماً : قال ٱلرّضيّ :"وَيُبْدِلُ نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ مَكَانَ ٱلْيَاءِ فِي ٱلْوَقْفِ شَدِيدَةً كَانَتْ ٱلْيَاءُ أَوْ خَفِيفَةً لِخَفَاءِ ٱلْيَاءِ كَمَا ذَكَرْنَا ،وَقُرْبُ ٱلْجِيمِ مِنْهَا فِي ٱلْمَخْرَجِ مَعَ كَوْنِهِ أَظْهَرَ مِنَ ٱلْيَاءِ،فَيَقُولُ : تَمِيمِجٌّ وَعَلِجٌّ في تميميٌّ وَعَلِيٌّ قوله :

خَالِي عُوَيْفٌ وأَبُو عَلِجِّ ٱلْمُطْعِمَانِ ٱللَّحْمَ بِٱلْعَشِجِّ
وَبِٱلْغَدَاةِ فِلَقَ ٱلْبَرْنِجِّ يُقْلَعُ بِٱلْوَدِّ وبالصِّيصِجِّ

مِنْ بَابِ إِجْرَاءِ ٱلْوَصْلِ مَجْرَى ٱلْوَقْفِ عِنْدَ ٱلنُّحَاةِ ...،وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ فِي ٱلْيَاءِ ٱلْخَفِيفَةِ :

يَارَبِّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّتِج فَلاَ يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجْ
أَقْمَرُ نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ " (٣)

وٱلْعلاقة ٱلْمخرجيّة بينهما تسمح بمثل هذا التّطور،وتؤكد سلوك نصف ٱلمدّ سلوك ٱلصّوامت .(٤)

ح - ٱلإبقاء على تاء ٱلتّأنيث : وذلك في نحو رحمة،وروى الرّضيّ أنّه جرى معاملة ٱلأسميّة كماتُعامل ٱلسّاكنة،وقال : " زَعَمَ أَبُو ٱلْخَطَّابِ ، أَنَّ نَاساً مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقِفُونَ عَلَى ٱلإِسْمِيَّةِ أَيْضاً بِٱلتَّاءِ قَالَ:

---

(١) اللهجات العربيّة في التّراث:٥٢٣/٢ .(٢) شرح ٱلْمفصل:٣٣/٩ .
(٣) ش ش ٢٨٧/٢،والابيات الاولى في شرح ٱلشّواهد (ش ش ٢١٢/٤ـ ٢١٣)وهو من شواهد سيبويه والأبيات الثانية فيه أيضا : ٢١٦/٤،ويُنظر:التصريف الملوكي: ٥٠ .
(٤) ينظر: جدول الخارج : ٧٢ (المخرج السادس) ، دراسة الصوت : ٢٧١ .

اَللّٰهُ نَجَّاكَ بِكَفَّيْ مُسْلِمَتْ ... مِنْ بَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَتْ
صَارَتْ نُفُوسُ ٱلْقَوْمِ عِنْدَ ٱلْغَلْصَمَتْ ... وَكَادَتِ ٱلْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أَمَتْ (١)

ط ـ هاءُ ٱلسَّكت: تقف تميم على هذي بٱلهاء: أي هٰذِه، وعند قَيْس وَٱلحجاز وقفاً ووصلاً، ويقول ٱلرَّضيّ: "إِنَّ بَعْضَهُمْ يَقْلِبُ تَاءَ ٱلْجَمْعِ أَيْضاً فِي ٱلْوَقْفِ هَاءً، لِكَوْنِهَا مُفِيدَةً مَعْنَى ٱلتَّأْنِيثِ كَإِفَادَتِهَا مَعْنَى ٱلْجَمْعِ فَيُشَبِّهُ بِتَاءِ ٱلْمُفْرَدِ حَكَى قُطْرُبُ: كَيْفَ ٱلْبَنُونَ وَٱلْبَنَاهْ" (٢).

وجاء أيضاً ٱلوقف بٱلهاء على (أَنَا) إذ نَقَل ٱلرَّضيّ قول حاتم ٱلطَّائيّ: هٰكَذَا فَزْدِي أَنَهْ (٣)، وكَذَا فِي (مَهْ (٤))، فكأنّه حذف ٱلألف وألحق هاءَ ٱلسَّكت (٥).

ي ـ ٱلوقف على مهموز ٱلآخر: سبق أنْ وقفتُ على تقديم ٱلرَّضيّ بأنَّ نقل ٱلحركة هو ٱلمظهر ٱلبارز هنا، وإنْ أدّىٰ إلى ٱلوزنين ٱلمرفوضين، وهنا يذكر أنَّ من بني تميم من يتفادىٰ هذين ٱلوزنين بأنْ يتبع ٱلعين ٱلفاء "فَيَقُولُ: هٰذَا ٱلْبُطُؤْ وَرَأَيْتُ ٱلْبُطُؤْ وَمَرَرْتُ بِٱلْبُطُؤْ، وهٰذا ٱلرِّدِئْ وَمَرَرْتُ بِٱلرِّدِئْ وَرَأَيْتُ ٱلرِّدِئْ" (٦).

وٱختار آخرون قلب ٱلهمزة إلى حرف علة مجانس للحركة ٱلإعرابية، فكأنَّهم أكثر حرصاً على بيان ٱلإعراب، حيث قال ٱلرَّضيّ: "فَيَقُولُ: هٰذَا ٱلْوَثُوْ وَٱلْبُطُوْ وَٱلرِّدُوْ، وَمَرَرْتُ بِٱلْوَثِيْ وَٱلْبُطِيْ وَٱلرِّدِيْ ..." (٦).

أمّا ٱلنَّصب فلا يقول: إلّا رأيتُ ٱلوَثَا وَٱلبُطَا وَٱلرِّدَا، لأنّه لا يمكن تسكين ماقبل الالف، ومنه أيضاً: قال ٱلرَّضيّ: "بَعْضُ ٱلْعَرَبِ ـ أَعْنِي مِنْ أَهْلِ ٱلتَّحْقِيقِ ـ يُتْبِعُونَ ٱلْمَفْتُوحَ مَاقَبْلَهَا بِحَرَكَةِ نَفْسِهَا حِرْصاً عَلَى ٱلْبَيَانِ لِعَدِّهِمُ ٱلْفَتْحَةَ كَٱلْعَدَمِ، فَلَا تَقُومُ بِٱلْبَيَانِ حَقَّ ٱلْقِيَامِ، فَيَقُولُونَ: هٰذَا ٱلْكَلَوْ، ورأيتُ ٱلكَلَاءْ، وَمَرَرْتُ بِٱلْكَلِيْ" (٧)، ولم يفعلوا ذلك مع ٱلضّمّة وٱلكسرة.

ونفهم ممّا سبق أنّ هناك سلوكاً عند مجموعة من ٱللّهجات المحققة للتّخلص من ٱلهمز.

---

(١) ش ش ٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠، ينظر الكتاب: ٤/١٦٧.
(٢) ش ش ٢/٢٩٠ ـ ٢٩١.
(٣) ش ش ٢/٢٩٤، وينظر: ٣/٢٣٢.
(٤) ش ش ٢/٢٩٥ ـ ٢٩٦.
(٥) ش ش ٢/٢٩٦ و ٢٩٧.
(٦) ش ش ٢/٣١٢.
(٧) ش ش ٢/٣١٣.

أمّا ٱلْوقف هناعند أهل ٱلتّخفيف فيقول ٱلرّضيّ عنه : " فَأمّا أَهْلُ ٱلتَّخْفِيفِ ،فَإنَّهُمْ يُخَفِّفونَهَا كَمَا هُوَ حَقُّ ٱلتَّخْفِيفِ ،فَإنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا سَاكِنًا نَقَلُوا حَرَكَتَهَا إلَى مَاقَبْلَهَا، وَحَذَفُوهَا ثُمَّ حَذَفُوا ٱلْحَرَكَةَ لِلْوَقْفِ ،فَجو ٱلْخَبْ وَٱلرِّدْ وَٱلْبُطْ فَيَجِيءُ فِيهِ ٱلإسْكَانُ وَٱلإشْمَامُ وَٱلتَّضْعِيفُ وَفِي ٱلْمَنْصُوبِ ٱلْمُنَوَّنِ يُقْلَبُ ٱلتَّنْوِينِ أَلِفًا لاغَيْرُ ، نحو:رَأَيْتُ بُطًا وَرِدًا وَخِبًا ،وإنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا مُتَحَرِّكًا دُبِّرَتْ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهَا ،فَٱلْخطا أَلِفٌ فِي ٱلأَحْوَالِ ٱلثَّلاثَةِ ،وَأَكْمُؤ واو وأهنِيء يَاء،فَلا يَكُونُ فِيهَا إلاّ ٱلإسْكَانُ دُونَ ٱلرَّوْمِ وَٱلإشْمَامِ" (١) .

ك ـ سين ٱلْكَسْكَسَة : قال ٱلرّضيّ : " وَأَمّا سِينُ ٱلْكَسْكَسَةِ وَهِيَ فِي لُغَةِ بَكْرِبنِ وَائِلٍ فَهِيَ ٱلسِّينُ ٱلَّتِي تَلْحَقُ بِكَافِ ٱلْمُؤَنَّثِ فِي ٱلْوَقْفِ " (٢) ،حتّى لاتلتبس بٱلّتي لِلْمذكر عند ٱلْوقف،وقال ٱلرّضيّ :" وَجَعَلُوا تَرْكَ ٱلسِّينِ فِي ٱلْوَقْفِ عَلامَةَ ٱلْمُذَكَّرِ (٢) ، وَذَلِكَ نَحْوُقَوْلِهِمْ : أَكْرَمْتُكِسْ ".

وزعم ٱلْفراءُ (٣) أَنّ ٱلْكَسْكَسَةَ عِبارَةٌ عن ٱلْحاق كافِ ٱلْمذكر سيناً في لغة ربيعة ومضر، ويشير هذا إلى اختلاط ٱلأمر عند ٱلْمتقدمين ؛ بل إنّ منهم من رأى أنّها إبدال الكاف سينا لا إلحاقها بها (٤) .

ل ـ شين ٱلْكَشْكَشَةِ : قالَ ٱلرّضيّ : " وَقَوْمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يُلْحِقُونَ كَافَ ٱلْمُؤَنَّثِ ٱلشِّينَ فِي ٱلْوَقْفِ فَإذَا وَصَلُوا حَذَفُوا ،وَغَرَضُهُم مَامَرَّفِي إلْحَاقِ ٱلسِّينِ ،وناسٌ كَثِيرٌ مِن تَمِيمٍ وَأَسَدٍ يَجْعَلُونَ مَكَانَ كَافِ ٱلْمُؤَنَّثِ فِي ٱلْوَقْفِ شِينًا ،قَالَ :

تَضْحَكُ مِنِّي أنْ رَأَتْنِي أَحْتَرِشْ وَلَوْ حَرَشْتُ لَكَشَفْتُ عَنْ حَرِشْ

وَذَلِكَ لِلْغَرَضِ ٱلْمَذْكُورِ،وَإنَّمَا أَبْدَلُوهَا شِينًا،لِأَنَّهَا مَهْمُوسَةٌ مِثْلُهَا ، وَلَمْ يَجْعَلُوا مَكَانَهَا مَهْمُوسَةً مِنَ ٱلْحَلْقِ،لِأَنَّهَا لَيْسَتْ حَلْقِيَّةً ،وَقَدْ يُجْرَى ٱلْوَصْلُ مُجْرَى ٱلْوَقْفِ فَيُقَالُ : إنّشِ ذَاهِبَةٌ،قَالَ:

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدشِ جِيدُهَا سِوَى أَنَّ عَظْمَ ٱلسَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ" (٥)

وٱلظّاهرتان ٱلسّابقتان أرى أنّه يمكن أن تُفَسَّرا على وفق قانون ٱلأصوات ٱلحَنَكيّة حيث تميل أصوات أقصى ٱلحَنَك ،كالكاف والجيم الخالية من ٱلتّعطيش ـ كالجيم القاهرية مثلاً ـ تميلُ بمخرجها إلى نظائرها من ٱلأصوات ٱلأماميّة حين تليها في ٱلنّطق حركةٌ أماميّة كالكسرة (٦) .

---

(١) ش ش ٢/٢١٣ ـ ٢١٥ .
(٢) ش ك ٢/٤٠٩ .
(٣) الاقتراح : ١٢٨ ،وفصول في فقه العربية: ١٤١ .
(٤) ينظر الصّاحبي : ٥٤ .
(٥) ش ك ٢/٤٠٩ ،وينظر ش ش ٣/٢٠٠ .
(٦) التطور اللغوي : ٩٢ (بتَصَرُّف) .

نتائج الفصل الثالث :

١ ـ لقد أبرز البحثان: الأول، والثاني إدراكاً واضحاً للرضي في دراسة الظاهرة اللغوية بالاعتماد على مبدأ تداخل العلوم بقوله : بجزئية علم الصرف من علم النحو، وبما وقفت عليه في العلاقات المتبادلة بين النظام الصوتي مع النظام النحوي من خلال ما يأتي :ـ

آ ـ الحركات دالة المعنى الوظيفي (وسماه الطاري) ، حيث يجعل الرضي من هذه الأصوات مميزات نحوية بتوفر شرط التركيب (التركيب الجملي)، وقد أبرزت دوره في تطوير هذه النظرية لتعم أقسام الكلام، حيث جعل : الرفع علم العمدة، والنصب علم الفضلة والجر علم الإضافة، و بينت في إدراجه لعلامات الرفع تحت هذا المصطلح، وكذلك في بقية المصطلحات اعتماده الأساس الصوتي الخاص بالتهيئة المخرجية . وقد وصل إلى استخدام الألفاظ الخاصة بالمميز النحوي الحديث زيادة على وضوح الفكرة .

ب ـ التنوين علامة التمام النحوي : حيث توظف التنوين في التركيب للعمل مميزاً نحوياً وحيداً، أصطلاحه على عمله بـ " علامة تمام الاسم " متقدماً جداً في الدرس النحوي العربي، وثم عرض دلالة التنوين في بعدين: عام هو ما سبق، وخاص وهو في الدلالات الجزئية، وأبرز ههنا قوله بإمكانية دلالة تنوين واحد على شيئين، كالتمكن والتنكير .

جـ ـ حالة الوقف : حيث أبرز هنا الصراع بين النظامين، ويبدو أن التفوق للنظام الصوتي، لشيوع الوقف بالإسكان وإسقاط التنوين، وذلك لاعتقاده أن هذه الحالة تسبب بتر الآخر، من خلال كلامه بأن الوقف موضع الاستراحة . وقد أبرزت أن الرضي قد اتخذ لمرأياً في قوة حالات الوقف (الروم والإشمام والتضعيف) يعتمد فيه على مدى بيان الحركة مخالفاً ما اعتمده سيبويه في ذلك .

٢ ـ أما في العلاقات المتبادلة مع النظام الصرفي فمن خلال ما يأتي :

آ ـ الحركات والبنى الصرفية : و أبرزت فيه اهم مقولاته ههنا، وهي في: دور الحركات في " التنبيه على البنية " و " دلالة على أصل البنية " " والحركات إذا تغيرت تغير الوزن " .

ب ـ التغيير الصرفي ـ الصوتي : حيث بينت أن مفهومه للتصريف ينطبق على القول بالتغيير الصرفي الصوتي، وما وصفه ههنا ما هو إلا قواعد صوتية تأخذ بعين الاعتبار متطلبات البنية الصرفية ؛ وأيضاً يتم تعطيل القانون الصرفي بسبب متطلبات القانون الصوتي، كما في جمع القلة والكثرة للأجوف .

٣ ـ تبدو تميم ومن جاورها أكثر ميلاً للإنسجام الصّوتيّ،وهو المستفاد من ظواهـــر الإمالة،وكسر حرف المضارعة،والتّخفيف،والمماثلة بأنواعها،والاتباع .
وخالفتها الحجاز في أكثر ذلك،وإن مالت في بعض ما أتّصفت به إلى هـــذا الإنسجام كما في ألف التّفخيم .

٤ ـ لهجة تميم في أستعمالها صيغ التّخفيف كانت أكثر محافظة من غيرها على الأُصول التّاريخيّة خاصة في الأسم الثّلاثيّ المجرد .
ويبدو أنّ ميلها إلى الأنسجام الصّوتيّ أدّى إلى التّطور في صيغ المضـــارع بإبدال الصّائت الّذي يتبع حرف المضارعة كسرةً .

٥ ـ بدت لهجة الحجازيين أكثر محافظة على كيان الأصوات داخل البنية،ولهـــذا اختارت مخالفة الأصل التاريخيّ في ساكن العين الثّلاثيّ ،وقد أبتعدت عـــن ظواهر كثيرة في المماثلة والإتباع .

٦ ـ معظم ماتمّ رصده في هذا الفصل من ظواهر يسجّل فيها موقف تجاه الصّوائـــت: (الميل نحو الكسر والضّمّ والفتح ،والتّخفيف والإشباع والوقف والتّرنّم)
وقد وردت ظواهر سجّل فيها موقف تجاه الصّوامت (الادغام والمماثلة التناسبية والجزئية،والإبدال) .

٧ ـ لم يقدّم الرّضيّ أختلافات في النّطق اللّهجي للأصوات اللّغويّة مفردة وماورد لا يعدو أنْ يكون من تفاعلات الأصوات في التّجاور والتّركيب (التّعامليّة) .

٨ ـ يبدو لي أن الميل نحو الكسر متمثّل في البيئة البدويّة لورود أمثلة الظّاهـــرة مقترنة بتميم وهي قبيـــلة مترامية الاطراف،ومنهم بنو عديّ بن ناسٍ من بكـــر بن وائل،وهم مجاورون لتميم في نجد،وسُليم وهم من قيس،وهي قبيلة باديـــة تسكن مجاورة لتميم عالية نجد بالقرب من خيبر ، وكعب من بطون عامـــــن صعصعة من هوازن،وكانت تسكن العروض مجاورة لتميم،وغنيّ نسبت مرة إلـــى قيس وأخرى إلى أسد وكلتا القبيلتين بادية متجاورة مع تميم (١)

---

(١) ينظر : اللّهجات العربية : ٢٣ ـ ٢٤ ، ٧٥ ، اللّهجات العربيّة الغربيّة : ٥

وهذه النتيجة تتفق مع ماخرج به د. غالب المطلبي (١) ويبرز التكلف الذى وقع فيه د. إبراهيم أنيس (٢) ود. أحمد علم الدين الجندي (٣) عند ما رأيا اتصاف اللهجة البدوية بالميل نحو الضم وحاولا أن يبررا هذا الميل منطقيا، وهو مايخرج عن طبيعة الدرس اللغوى الحديث .

٩ـ تمثل الميل نحو الضم في البيئة المتحضرة لارتباطه بأهل الحجاز ؛ إذ ورد أن قبائل عدنان كلها وخالة إلا قريشاً بمكة ونجد، وتأثرت بها هذيل لأنها حجازية لكنها متبدية

١٠ـ يعد قارئ البصرة (أبوعمرو بن العلاء) ممثلاً جيداً لقبيلته تميم التي سكنت البصرة و " هي امتداد كما قلنا للبيئة اللغوية التي كانت تسود شرق الجزيرة، وعامة نجد " (٤) بإيثاره الكسر .

١١ـ انعكس ميل الحجاز إلى الضم في الضمير على حمزة القارئ الكوفي الأسدي على الرغم من أن الكوفة امتداد لبيئة تميم، وأرجح أنه أخذ ذلك بالتلقين، إذ ورد أنه " قرأ على جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام " (٥)

١٢ـ مع ميل الحجاز نحو الضم فإنها أيضاً مالت نحو الفتح، ويبرز هذا بسلوكها الخاص أمام الامالة، وتشاركها في ذلك طيء، وهي قبيلة متبدية من الممكن تأثرها بالحجاز؛ لأنها تسكن على طريق عمال مكة (٦) ، ويؤكد هذا ما أثر عن القراء المذكورين من ميل نحو الفتح الذين من الممكن أن يكونوا متأثرين بها عن طريق أساتذتهم أومعايشتهم للبيئة نفسها : فسعيد بن جبير أخذ من ابن عباس (٧) ، والكسائي أخذ عن حمزة (٨) ، وعليه اعتماده ، وقد وقفت في الفقرة (١١) على تلقي حمزة عن الامام جعفر الصادق ، ويحيى بن وثاب عرض على السلمي الذي عرض على علي (عليه السلام) (٩)

---

(١) ينظر لهجة تميم : ١٢٩، ١٤٢ .

(٢) ينظر في اللهجات : ٩١

(٣) اللهجات العربية في التراث: ١/ ٢٥٢ .

(٤) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن : ١١٥ .

(٥) كشف المشكل : ٢/ ٢٩٥، وينظر : السبعة : ٧٢ـ ٧٣ ، طبقات القراء : ١/ ١٩٦ .

(٦) اللهجات العربية : ٢٧

(٧) طبقات القراء : ١/ ٣٠٥ .

(٨) نفسه : ١/ ٥٣٥ .

(٩) نفسه : ٢/ ٣٨٠ .

وماكان من أمر ٱلْحسن ٱلْبصريّ فقير بعيدٍ تأثّره بٱلْحجاز لولادته في ٱلْمدينة (١)، وقد أثرَ هذا السّلوك احدى بطون تميم،وهم بٱلْحرث بن كعب (٢)، وأيضاً بنو عامر وهم مجاورون للحجاز (٣) .

١٣- أبرز ٱلْبحث في هذا ٱلْفصل بشكل واضح ٱلْأثر ٱلّذي سبّبه ٱلتّداخل اللهجيّ في ٱلدّرس ٱللّغويّ ،فقد أوجد ثراءً كبيراً لأطراف ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة وخاصّة ماكان في مظاهر ٱلتّعاملية من ٱلإدغام، وٱلإبدال، وغيرها، وفي ٱلْجانب ٱلصّرفيّ، فقد سبّب هذا ٱلتّداخل تكاثراً يكاد يعسر على ٱلْباحثين تحديد أثره، بما في ذلك تعدّد ٱلْبنى ٱللّغويّة في أثناء ٱلْاستعمال، وفي حالة ٱلْاستقلال، وعند ٱلْوقف .

١٤ • انماسبق من النتائج (رقم ٣ - ١٤) وهي ٱلخاصة بالبحث الثّالث يمكن ان تعمّم على مجمل التّراث العربيّ في هذا ٱلمجال ،لأنّ ماذكره الرّضيّ من مادّة ههنا ماهو إلاّ ثمرة تراكم معرفيّ سابق عبر مئات ٱلسّنين .

---

(١) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن : ١٣٠ .

(٢) اللهجات العربيّة : ١٨٥ .

(٣) اللهجات العربيّة الغربيّة : ٥٠ .

+ + + + + + + + + + + +
+ + + + + + + + + +

نتائج الدّراسة : بعد هذه الرّفقة مع رضيّ الدّين الأستراباذي بكتابيه شرح شافية ابن الحاجب وشرح كافيته ، خرجتْ الدّراسة بالآتي من النّتائج ؛ وتعدّ خاتمات الفصول المتقدّمة روافد لبعضها ، أمّا بعضها الآخر ، فلم يُذكر سابقاً ، وهي تحت عنوان نتائج موازنة بين ملاحظات جداول الإدغام والإبدال للعربيّة المشتركة ولهجاتها ؛ والنتائج هي :

١ ـ جاء مفهوم الرّضيّ من مصطلحي " أحوال الأبنية " و " لاأبنية ولا أحوال أبنية " إدراكا واعياً للنّاحية الصّوتيّة لمحتوياتهما ، إذ أدخل في الاول : الإبتداء ، والإمالة ، وتخفيف الهمزة ، والإعلال ، والإبدال والحذف ، والإدغام في الكلمة الواحدة ، والتقاء السّاكنين فيها أيضاً ، وأدخل في الثّاني : بقية الإدغام وهو الّذي بين كلمتين ، وكذا التقاء السّاكنين والوقف .
وقد زدتُ إلى الموضوعات السّابقة موضوعاً أدخله الرّضيّ في الأبنية وهو " القلب المكانيّ " ، وبذلك تكوّن مواضع الدّراسة الصّوتيّة عشرة موضوعات من موضوعات شرح الشّافية .

٢ ـ أفرز الوقوف على منهج الرّضيّ تعسفاً في فهم الظّاهرة الصّوتيّة عنده ، لما وجدتُ من اختلاط الأنماط اللغويّة الفنية للغة العربيّة المشتركة ، وكذلك اختلاط الأنماط اللغويّة الأدائيّة (اللهجات) بالعربيّة المشتركة .

٣ ـ افرز البحث ثروة اصطلاحيّة صوتيّة ضخمة بما لم يتيسّر لكثير من الباحثين ، وقد سبقتها بالمنهج الّذي ينبغي التّمسك به عند رصد المصطلحات ، والوقوف على مفهوماتها الدّقيقة ، وجاءت الثروة الاصطلاحية بـ (١١٣) مصطلحاً صوتياً ؛ ابرز بعضها أصالةً للرّضيّ في وضع الإصطلاحات بما وضعه لفظاً ومفهوماً أو أحدهما وهي : المستفلة (مخرجيّاً) / آلة الحروف / آلة الصّوت / آلة الضّمّة / الأعلى / الأنزل / أوضاع آلة الحروف / فضيلة الحرف / شبه النّفخ / أحوال الأبنية / لاأبنية ولاأحوال أبنية / الإعتدال / بين بين المشهور / بين بين البعيد / التّبيين / تنافر الحذف نسياً / الحرف المناسب (المتوسط) / نسق واحد / الصّوت السّاذج / جوهر (الحرف) / مادة الحرف / مُرَكّبُ الصّوت / النّبر / التّفشي والرّخاوة / مفهومه للجهر والهمس / مفهومه للإدغام / الخفاء / السلاسة / الازدواج / وما قدمته لمفهومي الساكن والمتحرك .

٤ـ أعتقد أنّ بحث المصطلحات أفرز تكاملاً في النّظرة إلى التّراث الاصطلاحيّ بما وضعته في الحواشي ممّا أطلقت عليه "حاشية المصطلح" حيث جرى فيها توثيق المصطلحات المستعملة سابقاً أو تعضيد أصالة الرّضيّ بذكرها عن المتأخرين عنه .

٥ـ الوقوف على المفهوم من دلالة الجهر والهمس عند الرّضي، وقد تبين أنّ ذلك يتم من خلال إطارين : الأوّل : مفهوم الآليّة المخرجية، فالجهر يعني استمرار خروج مُركب الصّوت (النّفس)، أوما يعني (بالموجة الأساس عند المعاصرين)، مع حبس الصّوت أو عدمه أي مع الشّدّة أو الرّخاوة .

الثّاني : مفهوم وظيفيّ : (الجهر = الهمس + صفة قوة)، وفي صفة القوّة تدخل اعتبارات صوتيّة غير خالصة واعتبارات اجتماعيّة، والهمس خلافه في كلّ ذلك

٦ـ اعتماداً على ماتقدّم من مفهومات الجهر والهمس، رأيتُ رأياً جديداً يفسّر وجود أصوات (الهمزة والقاف والطّاء) في المجهورات عند الرّضيّ وبقيّة الأقدمين، ويدخل هنا اعتبار الشّدّة صفة القوة المشار إليها سابقاً، كذلك امتلاك الهمزة للنبرة أمام صوت الهاء، وقرب القاف من الأصوات الّتي تحتاج إلى اعتماد قويّ (أعني : الحلقيّة)، والطّاء والقاف من المستعليات، وهي صفة قوّة أمام المنخفضة، وكذا الإطباق أمام الإنفتاح .

٧ـ تمَّ معالجة ظاهرة القلب المكانيّ معالجةً تأخذ بعين الإعتبار دور الأصوات الّتي تكوّن الكلمة المقلوبة والمتطلبات المقطعيّة للكلمة المفردة بعدّه ظاهرةً (صوتيّةً ـ صرفيّةً)، وذلك ممّا أُهمل عند الدّارسين إلاّ شيئاً مفرداً عن برجشتراسر، وتبعه هنرى فليش في القلب الخاص، (افتعل) .

٨ـ أكّد البحث أنّ المقاطع العربيّة عند الأداء هي الأربعة الأولى المشار إليها من مكانها مع كراهيّة واضحة للمقطع الرّابع (ص م ص)، وأبرز البحث أنّ الرّضيّ عامل صوت المدّ المركّب (فتحة + وْ أو فتحة + يْ) معاملة الأصوات المدّيّة كما في (خُوَيْصّة ودويبّة)، ويعني هذا قبولاً بالمقطع الخامس (ص ح ص ص) .

٩ـ لقد أبرزت الدّراسة تفاعلاً واضحاً بين النّظام الصّوتيّ مع النّظامين النّحوي والصّرفيّ، ووقفتْ على تصوّرات الرّضيّ منها، وبيّنتْ عمق إدراكه من خلال رصد المواضع البارزة لهذا التّفاعل فمع النّحو وقفتْ على (١) الحركات دالة المعنى الوظيفي (وقد سمّاه الطّارئ)، حيثُ ذهب إلى القول : بأنّ الرّفع علم العمدة

والنّصب علم الفضلة والجرعلم الإضافة،واعتماده على الأساس الصّوتيّ (التّهيئة المخرجيّة) في جمع : الضّم والواو والالف تحت مصطلح الرّفع،وكذا في النّصب، والجر •

٢) التّنوين علامة التّمام النّحويّ (٣) حالة الوقف •

ومع الصّرف وقفتُ على (١) الحركات والبنى الصّرفيّة ، حيثُ أبرزتُ إشاراته إلى الدّور الواضح للحركات في التّنبيه على البنية (٢) التّغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ ، أُبرز فيه أنّ مفهومه للتّصريف ينسجم مع المفهوم من هذا التّغيير،وجرى في أغلب تلك المواضع الخضوع لمتطلّبات النّظام الصّوتيّ دونَ النّظامين الآخرين

١٠ • بيّن البحث الأخير أنّ بني تميم أكثر ميلاً للإنسجام الصّوتيّ من غيرهم، من خلال ماقمتُ به من رصد الظّواهر الصّوتيّة اللّهجيّة الّتي وردتْ عند الرّضيّ ، وهي كسر حرف المضارعة والتّخفيف والمماثلة بأنواعها والاتباع •

١١ ـ أكثر ماتمّ في الظّواهر اللّهجية يُسجّل موقفاً تجاه الصّوائت للقبائل العربيّة،كما في:الميل نحو الكسر ـ والضّمّ،والفتح،والتّخفيف،والإتباع،والوقف،والتّرنم،والإدغام بين المتماثلين •

١٢ ـ تأكيد ميل تميم إلى الكسر والحجاز إلى الضّمّ مع ربط الأوّل منهما بالبيئة البدويّة، والثّاني بالبيئة الحضريّة •

١٣ ـ مثّلت القراءات القرآنيّة الّتي قدّمها الرّضيّ انعكاساً للهجات العربيّة على قراءة القرآن الكريم •

١٤ ـ أبرزتْ الدّراسة في الفصل الثّالث منها خاصة الأثر الّذي سبّبه التّداخل اللّهجيّ في الدّرس اللّغويّ العربيّ القديم،فقد أوجد ثراءً لأطراف الدّراسة الصّوتيّة، ومنها مظاهر التّعامليّة خاصة،وفي الجانب الصّرفيّ سبّب هذا التّداخل تكاثراً يكاد يعسر تحديده من قبل الدّارسين ،وإنّ أبرز آثاره تعدّد البنى اللّغويّة للمفردة الواحدة بين الإستعمال،والإفراد ،وعند الوقف (وينظر هنا الفقرة الخاصة بتفريعات لهجة تميم) •

ـ نتائج موازنة بين جداول حالتيْ الإبدال والإدغام للعربيّة المشتركة وللهجاتها(عُمِلتْ هذه الموازنة للوقوف على اعتبارات العربيّة في نظام التّمايز بين الأصوات)وتبيّن لي ما يأتي :

١ ـ تدخل صفتا الرّخاوة والشّدّة عاملاً فعّالاً في هذا النّظام باتفاق الحالات المتقدّمة للحفاظ عليهما بشكل عامّ •

٢ ـ وبشكل عامّ،لاتشكّل صفة الجهر عاملاً في عملية التّمايز،لِمَا كان من اتفاق الحالات على التّنازل عنها •

٣ ـ إنّ الدّور الّذي أعطاه الرّضيّ للصّفات الفضيلة لاتؤيّده نتيجة الموازنة،إذ إنّ اللهجات اتفقت على التّنازل عنها في الإبدال والادغام بنسبة (٥٠٪)،أمّا الفصحى فكانت (٣٥٪) في الإبدال مع التّنازل عنها الواضح في حالات الإدغام الخارجة عن الجدول: (إدغام حرف في مجموعة ، وإدغام المجموعات).

٤ ـ يُعتمد نظام التمايز على منطقة مخرجية ضيقة لانقطة مخرجيّة محدّدة،لماكان من حالات التّنازل الواضحة جداً الكثيرة في الحالتين السّابقتين في اللهجات،ودونه قليلاً في العربيّة المشتركة •

ثبت المظان

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة / علي مزهر الياسري /دار الرشيد / دار الحرية / بغداد ١٩٧٩ .
٣ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبوعمرو بن العلاء) / د . عبد الصبور شاهين / مكتبة الخانجي / مط المدني / القاهرة / ط ١ / ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م .
٤ـ اثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية / د .يحيى القاسم /أبحاث اليرموك (سلسلة الاداب واللغويات) / جامعة اليرموك / مج ١١ ع ٢/ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م .
٥ـ إحياء النحو / ابراهيم مصطفى / لجنة التاليف والترجمة والنشر / ١٩٥٩ م .
٦ـ إدغام القرّاء/ أبو سعيد السّيرافيّ (٣٦٨ هـ)/تح : د . محمّد علي عبد الكريم الرّديني / دار اسامة / مط الرّازي / ط ٢/ ١٩٨٥م .
٧ـ أداة التّعريف في العربية ـ دراسة تأريخيّة / د . غالب فاضل المطلبيّ/ المورد / مج ١٩ ، ع ٢/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
٨ـ ارتشاف الضّرب من لسان العرب / أبوحيان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) / تح : د .مصطفى أحمد النمّاس / مط النّسر الذّهبيّ / ط ١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .
٩ـ أسباب حدوث الحروف (رسالة)/ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ـ ٤٢٨هـ)/ تح : محمّد حسّان الطّيان ويحيى مير علم / مجمع اللغة العربيّة بدمشق /دار الفكر/ دمشق / ط ١/ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
١٠ـ أسس علم اللغة / ماريوباي / ت : د . احمد مختار عمر /منشورات جامعة طرابلس/ كلية التربية / ١٩٧٣م .
١١ـ أصوات العربيّة بين التّحوّل والثّبات / د . حسام سعيد النّعيميّ/ مط دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل/ ١٩٨٩ م .
١٢ـ الأصوات اللغويّة/ د . إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو مصريّة / مط دار وهدان/ ط ٥/ ١٩٧٩ م .
١٣ـ أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة / د . نايف خرما / عالم المعرفة رقم (٩) / المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب / الكويت / مط . اليقظة / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
١٤ـ إعجاز القرآن / أبو بكر محمد بن الطّيّب الباقلانيّ (٤٠٣هـ) / تح : السيد أحمد صقر / دار المعارف/ مصر / ١٩٧٧ .
١٥ـ إعراب القرآن المنسوب إلى الزّجاج / تح : إبراهيم الأبياريّ / دار الكتاب اللبنانيّ/ بيروت / ط ٣/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .
١٦ـ الأقتراح في علم أصول النّحو (كتاب) / جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)/ تح : د . أحمد سليم الحمصيّ و د . محمّد أحمد القاسم/جروس برس/ ط١/ ١٩٨٨م .
١٧ـ الأقيسة الفعليّة المهجورة / د . إسماعيل أحمد عمايرة / دار الملاحي /مط الفيصل /ط ١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
١٨ـ الألسنيّة العربيّة / ريمون طحّان / المكتبة الجامعية/ دار الكتاب اللبنانيّ / بيروت ط ٢/ ١٩٨١ .

١٩ـ الألسنيّة (علم اللغة الحديث) «قراءات تمهيديّة / د ٠ ميشال زكريـــا / المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ط ١/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ٠
٢٠ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين والكوفيين /كمال الدين عبد الرحمن أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) / ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف /محمّد محي الدّين عبد الحميد / المكتبة العصرية /بيروت / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠
٢١ـ الإيضاح في شرح المفصّل / أبو عمرو عثمان بن عمرو بن الحاجب (٦٤٦هـ) / تح : د ٠ موسى بناي العليلي/مط العاني / بغداد / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م٠
٢٢ـ أين موقع اللغة في الدّماغ / كاترين بيلي / ت : د ٠ مجيد الماشطة / آفـاق عربيّة / س ٩ ، ع ٨ / ١٩٨٤م ٠
٢٣ـ بحث في فونولوجيا اللغة العربيّة / أوديت بتي / الفكر العربيّ / معهد الإنماء القوميّ /لبنان/ س ١ ، ع ٨ ـ ٩ / ١٩٧٩م٠
٢٤ـ البنية المقطعيّة العربيّة / عبد العزيز حليلي / المجلة العربية للدراسات اللغوية/ معهد الخرطوم الدّوليّ للغة العربيّة / مج ٤ ، ع ٢/ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م٠
٢٥ـ البيان والتّبيين / أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ دار الجيل ودار الفكر / بيروت ٠
٢٦ـ تاريخ اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين/ جورج مونين/ت : بدر الدّين القاسم / مط جامعة دمشق / ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م٠
٢٧ـ تاريخ اللغات السّاميّة /أ ٠ ولفنسون/دار القلم/ ط١/ ١٩٨٠م٠
٢٨ـ التّبصرة في القراءات السّبع (كتاب) / مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) / تح : د ٠ محمد غوث الندويّ / الدّار السّلفيّة / الهند / ط ٢/ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م٠
٢٩ـ التّحديد في الإتقان والتّجويد / أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّانيّ الأندلسيّ (٤٤٤هـ)/تح : د ٠ غانم قدّوري الحمد / دار الأنبار/ مط الخلود / ط ١ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م ٠
٣٠ـ تحليل الظّواهر الصّوتيّة في قراءة يعقوب الحضرميّ / د ٠ سمير شريف ستيتيّة / مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ / س ١٨ ع ٤٧/ ١٤١٤ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م
٣١ـ التّشكيل الصّوتيّ في اللغة العربيّة (فونولوجيا العربيّة) / د ٠ سلمان حسن العانيّ / ت : ياسر الملاح /النادي الثّقافيّ السّعوديّ/ مط دار البلاد / ط ١ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ٠
٣٢ـ التّصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث / الطّيب البكوش / تونس/ ط١/١٩٧٣م٠
٣٣ـ التّصريف الملوكيّ / ابن جنّي (٣٩٢هـ) / تح : محمد سعيد النعسان / تح : أحمد الخانيّ ومحي الدّين الجراح / دار المعارف / ط ٢/ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ٠
٣٤ـ التّطور اللغويّ ، مظاهره وعلله وقوانينه/ د ٠ رضان عبد التّواب / الخانجيّ بالقاهرة والرفاعيّ بالرياض/ مط المدني/ ط ١/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م٠
٣٥ـ التّطور اللغوي التاريخيّ/ د ٠ إبراهيم السّامرائيّ/ دار الأندلس / بيروت / ط ٢/ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ٠
٣٦ـ التّطور النّحوي للغة العربيّة / برجشتراسر / ت : د ٠ رمضان عبد التّواب/الخانجيّ بالقاهرة والرفاعيّ بالرّياض/ مط المجد / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م٠
٣٧ـ التّعريفات / أبو الحسن علي المعروف بالسّيد الشّريف الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ)/تح : د ٠ أحمد مطلوب / دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة / بغداد /١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م٠

٣٨ـ التّفسير الكبير / الفخرالرازي / مؤسسة المطبوعات العربيّة / مط البهية / مصر .
٣٩ـ التّفكيرالصّوتيّ عند الخليل / د • حلمي خليل/ دار المعرفة الجامعيّة / الفنيّة للطباعةوالنشر / ط ١/ ١٩٨٨ م •
٤٠ـ التّفكير الصّوتيّ عند العرب من خلال سرّصناعة الإعراب / هنري فليش / مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة / ج ٢٣/ ١٩٦٨ •
٤١ـ التّفكير اللساني في الحضارة العربيّة/ د • عبد السّلام المسدّي /الدّار العربيّة للكتاب/ ليبيا / مط الشّركة التّونسيّة / تونس/ ١٩٨١م •
٤٢ـ التّمهيد في علم التّجويد / شمس الدّين أبو الخير محمّد بن الجزري(٨٣٣ هـ) / تح : د • غانم قدّوري الحمد / مؤسسة الرسالة / بيروت/ ط ١/ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٣ـ تهذيب اللغة / أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ(٣٧٠هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ الدّار العربيّة للتّأليف والتّرجمة/ دار القوميّة العربيّة / ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
٤٤ـ جمهرة اللغة (كتاب) / ابن دريد (٣٢١ هـ) / تح : د • رمزي منير بعلبكي/ دار العلم للملايين / ط ١ / ١٩٨٧م •
٤٥ـ جهود الكوفيين في علم الأصوات / د • خليل إبراهيم العطيّة/ مجلة كليّة الآداب / جامعة البصرة/ س ٢٤ ع ٢٢/ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م •
٤٦ـ حاشية ابن جماعة شرح الجاربردي / ابن جماعة / ضمن مجموعة الشّافية من علمي الصّرف والخط/ عالم الكتب/ بيروت •
٤٧ـ حاشية الصّبان على شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك ومعه شرح الشّواهد للعينيّ/ محمد بن علي الصّبان/ دار إحياء الكتب العربيّة / مط عيسى البابي الحلبي •
٤٨ـ الحركات بين المعايير والخصائص النّطقيّة / د • سمير ستيتية / البلقاء للبحوث والدّراسات / جامعة عمان الأهلية / مج ٢ ع١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٩٢م •
٤٩ـ الحروف (كتاب)/أحمد بن محمّد بن المظفر بن المختار الرّازيّ (ت بعد ٦٣٨هـ) / ضمن : ثلاثة كتب في الحروف / تح :د • رمضان عبد التّواب / مكتبة الخانجيّ بالقاهرة ودار الرّفاعي بالرّياض/ ط١/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م •
٥٠ـ الحروف والأصوات العربيّة في مباحث القدماء والمحدثين / د • هادي نهر/ مجلة آداب المستنصريّة / ع ٨/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م •
٥١ـ الحقائق التّأريخيّة وأثرها في النّظم اللغويّة والوصفيّة / د • عبد الرّحمن أيوب/ المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة / جامعة الكويت / ع ١١ مج ٣/ ١٩٨٣م•
٥٢ـ الخصائص / أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٥ هـ)/تح : محمد علي النّجار/ دار الهدى /بيروت •
٥٣ـ خواطر وآراء صرفيّة / د • فوزي الشّايب / مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ/ ع٤٧ س ١٨ / ١٤١٤ـ ١٤١٥) هـ ـ ١٩٩٤م•
٥٤ـ الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد / د • غانم قدّوري الحمد / وزارة الأوقاف (العراق) / مط الخلود /ط١/١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م •
٥٥ـ الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة / عبد الحميد الهادي الاصيبعيّ / كليّة الدّعوة الإسلاميّة/ليبيا/ط ١/ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٩٢ م •
٥٦ـ دراسات في علم أصوات العربيّة / د • داود عبدة/ مؤسسة الصّباح / الكويت .
٥٧ـ دراسات في علم اللغة /القسم الأوّل/ د • كمال محمّد بشر/ دار المعارف/ مصر/ ١٩٦٩م•

٥٨ـ الدّراسات اللغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث / د . محمّد حسين آل ياسين / دار مكتبة الحياة / ١٩٧٩
٥٩ـ الدّراسات اللهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنّيّ / د . جسام سعيد النّعيميّ / وزارة الثقافة والفنون / دار الرشيد / بغداد / ١٩٨٠ .
٦٠ـ دراسة الصّوت اللغويّ / د . أحمد مختار عمر / عالم الكتب / مطا سجل العرب / مصر / ط ١ / ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .
٦١ـ دقائق التّصريف / القاسم بن محمّد بن سعيد المؤدّب (القرن الرّابع الهجريّ) / تح : د. أحمد ناجي القيسي و د . حاتم الضّامن و د . حسين تورال / مط المجمع العلميّ العراقيّ / ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .
٦٢ـ دروس في الألسنيّة العامّة / فردينان دي سوسير / ت : صالح القرماديّ ومحمّد شاوش ومحمّد عجينة / الدّار العربيّة للكتاب / ليبيا / ١٩٨٥ م .
٦٣ـ دروس في علم أصوات العربيّة / جان كانتينو / ت : صالح القرماديّ / مركز الدّراسات والبحوث / الجامعة التّونسيّة / ١٩٦٦ م .
٦٤ـ الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة / أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧ هـ) / تح : د . أحمد حسن فرحات / دار عمّار / الأردن / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .
٦٥ـ السّبعة في القراءات (كتاب) / ابن مجاهد (٣٢٤ هـ) / تح : د . شوقي ضيف / دار المعارف / مصر / ط ٢ / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .
٦٦ـ سرّ صناعة الإعراب / أبو الفتح بن جنّيّ / تح : مصطفى السّقا ومحمّد الزّفزاف ود . إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين / إدارة إحياء التّراث القديم / مط البابيّ الحلبيّ وأولاده / مصر / ط ١ (الجزء الأول) / ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م .
٦٧ـ سرّ الفصاحة / أبو محمّد عبد الله الحلبيّ الخفاجيّ (٤٦٦ هـ) / تح : عبد المتعال الصعيديّ / مط محمد علي صبيح وأولاده / مصر / ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .
٦٨ـ الشّافية / ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) / ضمن كتاب : أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب / د . عصام نور الدّين / المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع / بيروت / ط ١ / ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
٦٩ـ شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك / علي بن محمد الأشمونيّ / ينظر (حاشية الصّبان) .
٧٠ـ شرح الحدود النّحويّة / عبد الله بن أحمد الفاكهيّ (٩٧٢ هـ) / تح : د . زكي فهمي الآلوسيّ / مط . دار الكتب / جامعة الموصل / ١٩٨٨ م .
٧١ـ شرح شافية ابن الحاجب / محمّد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذي (٦٨٨ هـ) / تح : محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محي الدّين عبد الحميد / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .
٧٢ـ شرح الشّافية / الجاربردي / ينظر : حاشية الجاربردي لابن جماعة .
٧٣ـ شرح شواهد الشّافية / عبدالقادر البغداديّ (١٠٩٣ هـ) / وهو الجزء الرّابع من شرح شّافية ابن الحاجب لرضي الدّين (ينظر) .
٧٤ـ شرح العلامة رضي الدّين على متن الشّافية لابن الحاجب في فن التّصريف / محمّد بن الحسن رضي الدّين الاستراباذي (٦٨٨ هـ) / تح : عبد الرّحمن خليفة / مط محمد علي صبيح وأولاده / مصر / ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م .

٧٥ـ شرح الكافية (كتاب) الكافية في النّحو/ محمد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذي دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٤٠٥ـ ١٩٨٥م ٠

٧٦ـ شرح المراح في التّصريف / بدر الدين محمود بن أحمد العينيّ (٨٥٥هـ) / تح : د ٠ عبد السّتار جواد /مط الرّشيد / ١٩٩٠م ٠

٧٧ـ شرح المفصل / موفق الدّين ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)/عالم الكتب / بيروت ٠

٧٨ـ الصّاحبيّ في فقه اللغة وسنن العربيّة في كلامها / أبو الحسين بن أحمد بن فارس/ تح : مصطفى الشويمي/ مؤسسة أ ٠ بدران للطّباعة والنّشر / بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م ٠

٧٩ـ الصّناعتين (الكتابة والشعر) (كتاب) / الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكريّ (٣٩٥ هـ / تح : محمّد علي البّجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصريّة / بيروت/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م ٠

٨٠ـ الضّاد العربيّة : مثال للتّطور الصّوتيّ/ د ٠ يحيى أحمد / مجلة حوليات كلية الإنسانيّات والعلوم الإجتماعيّة / جامعة قطر / ع ١٦ / ١٩٩٣م ٠

٨١ـ ظاهرة كراهيّة توالي الأمثال في العربيّة / د ٠ عبد القادر مرعي خليل / مؤتة للبحوث والدراسات أ ـ العلوم الانسانية والاجتماعية/مج ٩ ع ١/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ٠

٨٢ـ ظاهرة الوضوح السّمعي في الأصوات (جهاز مبتكر لقياسها)د ٠ سمير شريف ستيتيّة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويّات)/ مج ٦ ع ١/ ١٩٨٨ ٠

٨٣ـ الظّواهر اللغويّة في قراءة الحسن البصريّ / د ٠ صاحب جعفر أبو جناح / مركز دراسات الخليج العربيّ / مط جامعة الموصل/ ط ١/ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٨٤ـ العربيّة الفصحى نحو بناء لغويّ جديد / هنري فليش / دار الشّرق / المطبعة الكاثوليكيّة/ بيروت / ١٩٨٣م ٠

٨٥ـ العربيّة وعلم اللغة البنيوى (دراسة في الفكر اللغوي العربيّ الحديث /د ٠حلمي خليل خليل / دار المعرفة الجامعيّة /مط ٠ الفنية / مصر / ١٩٨٨ ٠

٨٦ـ العربيّة ولهجاتها / د ٠ عبد الرّحمن أيوب/ مكتبة الشباب / مطا سجل العرب/ القاهرة ٠

٨٧ـ العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث / د ٠ محمّد حماسة عبد اللطيف / جامعة الكويت / ط ٠ أمّ القرى / ط ١/ ١٩٨٤م ٠

٨٨ـ علم الأصوات/ برتيل مالمبرج / ت : د ٠ عبد الصّبور شاهين / مكتبة الشباب / مط التقدم / القاهرة / ١٩٨٥م

٨٩ـ علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربيّة)/بسّام بركة/مركز الانماء القومي / لبنان ٠

٩٠ـ علم الأصوات عند سيبويه وعندنا / أ ٠ شادة / صحيفة الجامعة المصريّة / س ٢ ع ٥ وع ٦ / ١٩٣١م

٩١ـ علم اللغة / د ٠ علي عبد الواحد وافي / دار نهضة مصر / ط ٩ ٠

٩٢ـ علم اللغة العام (القسم الثّاني: الأصوات)/د ٠ كمال محمّد بشر / دار المعارف/ مصر / ١٩٧٣م

٩٣ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ د ٠ محمود السّعران / دار النّهضة العربية/ بيروت ٠
٩٤ـ العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)/تح : د ٠ مهدي المخزومي و د ٠ إبراهيم السامرائيّ/وزارة الثّقافة والفنون / مط الرّسالة / الكويت/١٩٨٠م. (العراق)
٩٥ـ غاية النّهاية في طبقات القرّاء/ شمس الدين أبو الخير بن الجزري (٨٣١هـ)/ تح : برجشتراسر / دار الكتب العلمية /بيروت / ط ٢/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.
٩٦ـ فصول في فقه العربية / د ٠ رمضان عبد التّواب/مكتبة الخانجي بالقاهرة / ودار الرفاعي بالرياض/سفنكس للطّباعة / ط٢/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م٠
٩٧ـ الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرّفع المتّصلة «دراسة صرفصوتية / تغريد السّيد غنبر/ المجلة العربية للدّراسات اللغوية/معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/ مج ٢ ع ٢ / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦٠
٩٨ـ فقه اللغات السّاميّة / كارل بروكلمان / ت : د ٠ رمضان عبد التّواب / جامعة الرّياض/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٠
٩٩ـ الفونيم بين النّحو العربيّ القديم وعلم اللّغة الحديث / د ٠ عبد المنعم ناصر/ آفاق عربيّة/ دائرة الشؤون الثقافيّة / س ١٥ ع ٨ / ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠ م.
١٠٠ـ في الأصوات اللغويّة (دراسة في أصوات المدّ العربية) د ٠ غالب فاضل المطلبيّ/ وزارة الثقافة والفنون / دار الحريّة/ بغداد / ١٩٨٤م.
١٠١ـ في البحث الصّوتيّ عند العرب/ د ٠ خليل إبراهيم العطيّة / الموسوعة الصغيرة/ دار الحرية / بغداد ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م٠
١٠٢ـ في حقيقة الادغام / د ٠ جعفر عباينة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب اللغويّة)/ جامعة اليرموك / مج ٣ ع ٢/ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥ م ٠
١٠٣ـ في اللهجات العربيّة / د ٠ إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو مصريّة / مط الفنية الحديثة / مصر/ ط ٤/ ١٩٧٣م٠
١٠٤ـ في النّحو العربيّ « نقد وتوجيه/د ٠ مهدى المخزوميّ/ المكتبة العصريّة/ لبنان / ط ١/ ١٩٦٤٠
١٠٥ـ القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / د ٠ عبد الصّبور شاهين/ مكتبة الخانجي بالقاهرة / ١٩٦٦٠
١٠٦ـ القرآئن النّحوية وأطراح العامل والإعرابين التّقديريّ والمحليّ/ د ٠ تمّام حسّان/ اللسان العربي / مكتب تنسيق التّعريب بالرّباط / مج ١١ ج ١ (أبحاث ودراسات)/ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ٠
١٠٧ـ قواعد تحويليّة للغة العربية / د ٠ محمد علي الخوليّ/ دار المريخ /السّعوديّة / ط ١/ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م٠
١٠٨ـ الكتاب بين الوصفيّة والمعياريّة / د ٠ أحمد سليمان ياقوت / دار المعرفة الجامعيّة / الإسكندريّة / ط١/ ١٩٨٩٠
١٠٩ـ كتاب سيبويه / سيبويه/ تح : عبد السّلام هارون /عالم الكتب / بيروت ٠

١١٠ـ الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسيّ (٤٣٧ هـ)/تح : د٠ محي الدّين رمضان / مؤسسة الرّسالة / ط ٣ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م٠

١١١ـ كشف المشكل في النّحو/ علي بن سليمان الحيدرة اليمنيّ (٥٩٩ هـ)/تح : د٠ هادي عطية مطر / وزارة الأوقاف/ مط الإرشاد / بغداد / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م٠

١١٢ـ الكلام ، إنتاجه وتحليله / د٠ عبد الرّحمن أيوب / جامعة الكويت /مط ذات السلاسل / الكويت /ط١/ ١٩٨٤م٠

١١٣ـ كلام العرب (من قضايا اللغة العربية) / حسن ظاظا / دار النّهضة العربية/ بيروت / ١٩٧٦م٠

١١٤ـ لسان العرب / ابن منظور جمال الدّين محمّد بن مكرم الأنصاريّ (٧١١هـ)/ صورة عن ط٠ بولاق / الدار المصريّة للتّأليف والتّرجمة / مط كوستاتسوماس وشركائه ٠

١١٥ـ اللسانيّات وعلم المصطلح العربيّ/ د٠ عبد السّلام المسدّيّ / اللسانيات في خدمة اللغة العربية/ سلسلة اللسانيات ـ ٥ ـ / الجامعة التّونسيّة / ١٩٨١م٠

١١٦ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدّين القسطلاني / تح : عامر السّيد عثمان ود٠ عبد الصّبور شاهين/ لجنة إحياء التّراث / مط٠ الأهرام/ مصر/ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م٠

١١٧ـ اللغات السامّية / تيودورنولدكه/ ت : د٠ رمضان عبد التّواب/ دار النّهضة العربية بالقاهرة / مط الكمالية / ١٩٦٣م٠

١١٨ـ اللغة / فندريس / ت : عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصاص / مكتبة الأنجلومصريّة/ مط لجنة البيان العربيّ/ ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م٠

١١٩ـ اللغة العربيّة معناها ومبناها / د٠ تمّام حسّان / مط الهيئة المصريّة للكتاب/ ط ٢/ ١٩٧٩م ٠

١٢٠ـ اللغة وعلم النفس (دراسة للجوانب النّفسية للغة)/د٠ موفّق الحمدانيّ /مديريّة دار الكتب / جامعة الموصل ٠

١٢١ـ اللغة والفكر/ د٠ نوري جعفر/ مكتبة التّومي / الرّباط / ١٩٧١ م٠

١٢٢ـ اللهجات العربية الغربية القديمة/ حايم رابين/ ت : د٠ عبد الرّحمن أيوب/ ذات السلاسل/ الكويت / ١٩٨٦م٠

١٢٣ـ اللهجات العربيّة في التّراث / د٠ أحمد علم الدّين الجنديّ/ الدّار العربيّة للكتاب / ج ١ ١٩٨٣م/ ج ٢ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م٠

١٢٤ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنيّة/ د٠ عبده الرّاجحيّ / دار المعارف /مصر/ ١٩٦٨ م٠

١٢٥ـ لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة / د٠ غالب فاضل المطلبيّ / وزارة الثقافة والفنون/ دار الحرية / بغداد / ١٩٧٨م٠

١٢٦ـ ماذكره الكوفيون من الإدغام / أبو سعيد السّيرافيّ (٣٦٨ هـ) تح :د٠ صبيح التّميميّ/ مط دار الشّهاب/ الجزائر ٠

١٢٧ـ مجالس ثعلب / أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ دار المعارف/مصر/القسم الاول/ ط ٥ /١٩٨٧/القسم الثاني / ط ٤ / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م٠

١٢٨ـ محاضرات في اللغة (القسم الأوّل)/ د • عبد الرّحمن أيوب / جامعة بغداد/ مط المعارف/ بغداد / ١٩٦٦ م •
١٢٩ـ محاولة ألسنية في الإعلال / د • أحمد الحمو/ عالم الفكر/ مج ٢٠ ع ٣/ ١٩٨٩م•
١٣٠ـ المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها / محمّد الانطاكيّ/ دار الشرق العربي / بيروت/ ط ٣ •
١٣١ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البّحث اللغوي/ د • رمضان عبد التّواب /مكتبة الخانجي بالقاهرة / مط المدني/ط ٢/ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م•
١٣٢ـ مدرسة براغ اللغويّة/ د • أحمد مختار عمر /مجلة كلية الآداب والتّربية /جامعة الكويت/ ع ١١/ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م•
١٣٣ـ مراكز الدّراسات النّحويّة/ د • عبد الهادي الفضليّ/ مكتبة المنار/ الأردن/ط١/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م•
١٣٤ـ المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة / عبد العزيز سعيد الصّيغ /رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة بغداد / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م•
١٣٥ـ المصطلح اللغوي عند ابن جنّيّ من خلال الخصائص / د • هادي نهر / قدّم إلى مؤتمر النّقد الأدبي الخامس في جامعة اليرموك /الأردن/ ١٩٩٤م•
١٣٦ـ الصوتيات عند علماء العربيّة / د • غانم قدّوري الحمد / مجلة كلية الشّريعة/ جامعة بغداد / ع ٥/ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م •
١٣٧ـ مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم / أحمد بن مصطفى طاش كبري زادة / تح : كامل كامل بكري و عبد الوهاب أبو النّور/ مط الاستقلال الكبرى •
١٣٨ـ مفتاح العلوم / أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر السّكاكي (٦٢٦ هـ)/ تح : أكرم عثمان يوسف/ جامعة بغداد /مط دار الرّسالة / ط ١/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٦م
١٣٩ـ المفصّل في علم العربيّة / أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨ هـ)/ ويذ يله كتاب المفضّل في شرح أبيات المفصّل/ محمد بدر الدّين النّعساني الحلبيّ/ دار الجيل / بيروت / ط ٢/ ١٣٢٣ هـ •
١٤٠ـ المقتصد في شرح الإيضاح (كتاب)/عبد القاهر الجرجاني / تح : د • كاظم المرجان/
١٤١ـ المقتضب (كتاب)/أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)/تح : محمّد عبد الخالق عضيمة / لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ/مصر/ •
١٤٢ـ المقرب/ علي بن مؤمن ابن عصفور (٦٦٩هـ)/تح : أحمد عبد السّتار الجواريّ ود • عبد الله الجبوريّ / وزارة الأوقاف/مط العاني بغداد / ١٩٨٦م •
١٤٣ـ مقطع الضارعة بين العربيّة واللغات الساميّة / د •اسماعيل عمايرة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويّات) / مج ١٢ ع ٢ / ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م•
١٤٤ـ منازل الحروف /أبو الحسن علي بن عيسى (الرّماني (٣٨٨هـ)/ ضمن (رسالتان في اللغة)/تح : د • إبراهيم السّامرائيّ /دار الفكر/ عمّان/ ١٩٨٤ م•
١٤٥ـ مقاطع البحث في اللغة / د • تمام حسان /دار الثّقافة / مط النّجاح الجديدة / الدّار البيضاء/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩•
١٤٦ـ من فكر الفراء الصّوتي (قراءة جديدة في تراثنا الصّوتي)/د • صبيح التّميمي/ المورد / مج ١٩ ع ٢/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م •
١٤٧ـ منهاج التوفيق إلى معرفة التّجويد والتّحقيق/ علم الدين أبو الحسن علي السّخاويّ / (٦٤٣هـ) / تح : د • صالح مهدي عباس/ المورد / مج ١٧ ع ١٤٠٩/٤ هـ ـ ١٩٨٨م•

١٤٨ـ منهج البحث الأدبيّ/ د ٠ علي جواد الطّاهر / مط أسعد / بغداد / ط٣/ ١٩٧٦م٠
١٤٩ـ منهج البحث النّحويّ في القرن الثّالث الهجريّ/ د ٠ محمد علي العباسيّ/ مجلة كلية التربيّة للبنات/ جامعة بغداد/ع ٤/ ١٩٩٣ م٠
١٥٠ـ الموضح في التّجويد / عبد الوهاب بن محمّد القرطبي (٤٦١ هـ) / تح : د ٠ غانم قدوري الحمد / معهد المخطوطات العربيّة/ الكويت / ١٩٩٠م٠
١٥١ـ ميكانيكية النّطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية / د ٠ سمير شريف ستيتيّة / مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق / مج ٦٢ ج ٣/ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م٠
١٥٢ـ النّحاة العرب القدامى وعلم اللغة الحديث / أ٠ د ٠ ولفكانغ روشل / الاستشراق/ دار الشّؤون الثّقافيّة / بغداد / ع ٤/ ١٩٩٠م٠
١٥٣ـ النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) د ٠ عبده الرّاجحي / دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٩٠
١٥٤ـ نشأة النّحو العربيّ في ضوء كتاب سيبويه / أ ٠ جيرار تروبو / مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ/ مج ١ ع ١ / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م٠
١٥٥ـ النّشر في القراءات العشر / أبو الخير محمّد بن محمّد ابن الجزريّ الدّمشقيّ / (٨٣٣ هـ)/تح : علي محمّد الضّباع/ دار الكتب العلمية /بيروت ٠
١٥٦ـ النّظريات الصّوتية في كتاب سيبويه / الطيب البكوش / حوليات الجامعة التونسيّة/ ع ١١/ ١٩٧٤م٠
١٥٧ـ النّظريّة التحويليّة واللغة العربيّة / د ٠ محمّد عليّ الخوليّ/ مجلة دراسات كلية التربية / جامعة الرياض/ ع١ / ١٩٧٧م٠
١٥٨ـ النّظرية اللسانيّة والشّعريّة في التّراث العربيّ من خلال النّصوص / د ٠ عبد القادر المهيري و د ٠ حمادي صمود و د ٠ عبد السّلام المسديّ / الدار التّونسيّة / ط ـ العربية / ١٩٨٨م٠
١٥٩ـ هديّة العارفين (أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين) / إسماعيل بن باشا البغداديّ/ مكتبة المثنى بغداد / وكالة المعارف / مط إستنبول / ١٩٥٥م٠
١٦٠ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربيّة / جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٩١١هـ)/تح : السّيد محمّد بدر الدّين النّعسانيّ / دار المعرفة / بيروت ٠

+++++++++

Al-Kadi depended on aslmple stanza basis represented by silent and moving letter , and the study was enable in his submitted information in the wtwo subjects of begii-ning and the two silents meeting in Al-Shafeh explanation to appear with the stanza system concerned with the per-formance process in arabic language and it has been shown from this study that Al-Kadi has treated semi extension ((w,y) as he treated the extension sounds (i: , a:) across what has he saw of the lack of extension , and that accompained by an idea considered as an old expression of the depthong .

The results of the study was also amature theory on the sound and grammar levels in the work of grammairum discriminators which is the functioning of agroup of high sounds and punctuation to work as semantics for the gra-mmarion meanings in the nouns which they are :

1.Them and rhem case in the main part of the sentence .
2.Redundancy case residule .
3. Phrase case at the end of the word grammarim Indeendence .
4. Nunation is a mark of system perfection .

It also showed the realization of Al-Kadi of the role of vecalization in the morphological aspect .

The variation of the dialects sound behaviour en-rich the linguistic subject matter obviously that this subject matter has showed astand of the details towards agroup of phanomena concerning the sound developments and their morphological , stanza and grammarium systems .

This study submitted a schema represents the speech system and the distribution of linguistic sounds on its members according to what has been submitted by Al-kadi, in his seperated word , about the phonetics and his accurate division of the teeth .

The study submitted also ajustification consisdered by the reseacher to describe the sounds : Al-Hamza, Al-ta, Al-Kaf) inpublicity in opposition of the modern lesson and the researcher has depended on what have been showed by him of the two concepts of publicity and whisporing of Al-kadi whom they are saw them as exposed to the overlaping of many sound views with social views which make the two concepts remote of what have been known to the moderns of the two semantic of the former terms .

The most important results of the study are : the most prominent results depended on the tables of amalgmation and substitution conditions in the common Arabic and its dialects showed that the two adjectives of stop and flexibility (continuity) are considered as on active factor in the system of their discrimination in opposition to what have been happened with the two adjectives of bublicity and whispering and also the virtue adjectives (tubaq , whistling soft, nasal speech , repetition , longitudity , displeasure , dissemination and flaccidity).

The depending in arabic language and the rest of its levels on the phonatic region in sound discrimination and not phonetic point .

ABSTRACT

This is a study in the phonology of the fluent arabic language , the language of the sacred divine text (The Holy Koran) , and pre-Islamic poetry until the mid of the second century of the prophet Muhammad Higera (God blessd him and grant him salvation) and it emphasizes on the effort of one of its prominent scholars the late Radi Al-din Muhammad Bin Al-Hassan Al-Astrabathi Dead 688 H. in Iraq and his efforts was limited separately between his two famous books: Shafeh Ibn -hagib explanation in morphology and Calligraphy and Kafeh explanation in Grammer , and the researcher has followed in his study the way of moderns whom they are carrying out the product of the old accross the dialectic between the old and the modern to show the **features** of the arab sound theory which didn't get its independence to be as Independent science like other linguistic sciences .

The most prominent results of this study is the richness of this scholar in sound terms and the researcher has discovered through some of his terms the important perceptions in the second sound ideas such as the terms sound structture , stress , structures adverbs (niether structures nor structures adverbs) , letters system sound system , damma system (Lip) letter virtue, integration and the letter material .

The Sound Lesson of Radi - Al-Din Al-Astrabathi (688 A.H.)

A Thesis Submitted by :

Hassan Abdul-Al-Shani Jawad Al-Asadi

To the Council of College of Arts in Al-Mustansiriyah University which ia a part of M.A. Degree Requirments in Arabic Language

Under the Supervision of

Professor : Hadi Nahar (Ph.D)

1995 A.D. 1416 H.